

شريف سامي

# الماسونية والمؤامرة كما يراها الغرب



دار كُون

رحلة بحثية من واقعة  
مفومات ووثائق عالمية

الماسونية والمؤامرة  
كما يراها الغرب

شريف سامي: الماسونية والمؤامرة كما يراها الغرب، كتاب

الطبعة العربية الأولى: يناير ٢٠٢٥

رقم الإيداع: ٢٦٤٨ / ٢٠٢٥ - التقييم الدولي: 9 - 475 - 806 - 977 - 978

جَمِيعُ حُقُوقِ الطَّبْعِ وَالتَّشْرِيرِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشِرِ  
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة  
بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب  
لا تُعبر عن رؤية الناشر بالضرورة  
وإنما تعبر عن رؤية الكاتب.  
© دار دؤن

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

عضو اتحاد الناشرين العرب.

القاهرة - مصر

Mob +2 - 01020220053

info@dardawen.com

www.Dardawen.com

شريف سامي

الماسونية والمؤامرة  
كما يراها الغرب

دُون



للنشر والتوزيع

في هذا الكتاب

تنويه ٧

إهداء ٩

مقدمة ١١

الفصل الأول: نظرية المؤامرة

١ - مفهوم نظرية المؤامرة ١٤

٢ - نظريات المؤامرة في المجتمع العربي ٢٠

٣ - نظريات المؤامرة في المجتمع الغربي ٢٨

٤ - نظرية المؤامرة الماسونية ٦٠

الفصل الثاني: مهد الماسونية (الماسونية العملية)

١ - الدراسات المبكرة لتاريخ الماسونية ٦٩

٢ - مخطوطات الدساتير الماسونية المبكرة ٧٤

٣ - مخطوطات الطقوس الماسونية المبكرة ٨٩

٤ - تفسير مخطوطات الطقوس المبكرة ١٠٠

٥ - أساطير أخرى روجها الماسونيون ١١١

٦ - رومانسية رامزي وأسطورة فرسان الهيكل ١٢١

الفصل الثالث: صحوة الماسونية (الماسونية الرمزية)

١ - نظرة عن كثب للمناخ الأوروبي ١٣٣

٢ - رسمية المحافل الماسونية ١٤٢

٣ - التوسع والانتشار ١٥٧

٤ - جذور الماسونية القارية ١٧٢

٥ - الانشقاق العظيم ١٨٣

٦ - الماسونية الأنجلوأمريكية ١٩٢

الفصل الرابع: الماسونية المعاصرة (بين النهوض والمعارضة)

١ - في بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا ٢٠٩

٢ - في أوروبا القارية ٢٣٠

٣ - في أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا ٢٥٩

٤ - الماسونية في بلاد العرب والمسلمين ٢٧٤

٥ - الماسونية والمرأة ٢٩٦

الفصل الخامس: الهيكل والممارسات (ما بين السرية والعلنية)

١ - الطقوس والعضوية والدرجات ٣٠٢

٢ - رموز الماسونية ٣١٤

٣ - دين الماسونية ٣٢٩

٤ - نظرية مؤامرة النظام العالمي الجديد ٣٤٨

٥ - قائمة الأحداث المرتبطة بالماسونية ٣٧٢

الخاتمة ٣٨٥

التواصل مع الكاتب ٣٩٨

إذا كنت تتوقع استقبالك في مدخل هذا الكتاب بعبارات مثل: «أهلاً بك في عالم الغموض» ومثلها من الجمل الاستعراضية؛ فهذا الكتاب لن يناسبك..

هذا الكتاب لا يهدف إلى تقديم مادة مشوقة للتسلية أو أي إثارة مُفتعلة؛ بل هو محاولة استكشاف وجمع وتحليل ما تم تداوله عبر الثقافات الغربية والعالمية حول موضوع الماسونية ونظرية المؤامرة، كدعوة للتأمل والتساؤل بعيداً عن التصورات السطحية، ويرنو إلى تفكيك الحفايا التي أحاطت بالماسونية؛ من خلال نهج تحليلي يجمع بين الدقة والتفكير النقدي، بعيداً عن خطابات الإثارة المصطنعة أو غبار الغموض المُختلق. هو ببساطة محاولة لُصنع بحث استقصائي جاد عن الماسونية من وثائق وملفات الغرب أنفسهم؛ سواء مناهضين صارخين، أو مناصرين متحمسين؛ وحتى المحايدون الصامتين، لوضع الماسونية تحت عدسة الدراسة، بغرض الكشف عن أسرارها وحقائقها، لكن دون تقزيم شبهاتها من ناحية؛ أو التهويل بغرض الإثارة من ناحية أخرى، فموضوع الكتاب نفسه لا يحتاج تكلفاً أو مبالغة.. لذا؛ وجب التنويه..

«إِلَى مَنْ تَدْعُمُنِي فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ كَمَا تُهْدِيهِ رُوحِي: هَذَا الْكِتَابُ لَا يَتَحَدَّثُ عَنْكَ؛ لَكِنَّهُ نَتَاجُ شَيْءٍ مِنْ  
الرَّاحَةِ وَالسَّعَادَةِ الَّتِي تَنْشُرِينَهَا حَوْلِي»  
إِلَيْكَ زَوْجَتِي الْحَبِيبَةِ..

منذ القَدَم؛ سعى الإنسان لفهم ما يجري حوله من أحداثٍ كُبرى، وتحولاتٍ مفاجئة، وحينما كان التفسيرُ البسيط بعلمه المحدود غير كافٍ؛ ظهرت «نظرية المؤامرة» كوسيلةٍ لسدِّ فجوات الفهم، وتبرير ما يبدو غامضًا أو خارقًا للعادة، وأصبحت هي أولى أدواته للتحريِّ والتقصِّي والاستنتاج، وحينًا بعد حينٍ؛ بدأ لهذه النظرية أثرٌ ووجود ملحوظ، خاصةً مع ظهور جماعات وأفكار اكتنفها الغموضُ، وأحاط بها الجدل؛ ومن بين جميع النظريات التي حيكت حول جماعات وأفراد؛ لا توجد نظرية أكثر إثارة للجدل من تلك التي ارتبطت بالماسونية..

وبين المزاغم والحقائق بخصوص نظرية المؤامرة والماسونية، وبين الأساطير والوثائق؛ يظل السؤال قائمًا:

ما الحقيقة التي تُراوغنا؟

هذا الكتاب ليس دعوةً للإيمان بنظرية المؤامرة أو دعوةً للتشكيك فيها، فوجودها واضحٌ، لكنه محاولة لفهمها كظاهرةٍ تاريخية وثقافية، نستعرض من خلاله ماذا قالت الروايات التي تتحدث عن القوى الخفية، وكيف لعبت نشاطات الماسونية دورًا محوريًا في تشكيل هذا التصور؛ من خلال الغوص في المخطوطات والوثائق الغربية، لنُدرك كيف يرى الغربُ الماسونية بأعينهم، وكيف تشكّلت رؤيتهم تجاهها عبر العصور، (دون تأثر الكتاب بنظرة العرب والشرق الأوسط لها)، هذا؛ من خلال تتبع مسار تاريخ نظريات المؤامرة، وتاريخ الماسونية من بداياتها المبهمة وحتى دورها المعاصر.. من أولى تجمعاتها الغامضة المريية إلى وجودها في قلب التحولات الكبرى التي شهدتها العالم؛ وذلك فقط من الملفات والوثائق الغربية، لنقفَ في منطقة راصدة.. كما نتبع بعض الأساطير التي روّجها أتباعها لإضفاء الشرعية التاريخية على ممارستهم من ناحية؛ والأساطير الأخرى التي نشرها مُناهضوها فيما يُعرف بنظرية المؤامرة من ناحيةٍ أخرى..

شريف سامي..

## الفصل الأول

### نظرية المؤامرة

دائمًا ما ترتبط الماسونية بما يُعرَف بـ«نظرية المؤامرة»، وهو مصطلح شائع ومُنْتَشِر يُسْتخدَم على نطاق واسع في مختلف الأوساط؛ وفي غالبية المجتمعات الإنسانية، لكن تتفاوت نسبة انتشاره من مجتمع إلى آخر.

فما هو مفهوم هذا المصطلح أولًا؟

يُستخدَم هذا المصطلح لتفسير حدث أو مجموعة أحداث بمنظور تشكيكي (غالبًا ما يكون غير مدعوم بأدلة عينية)، والاعتقاد بوجود شخص أو نخبة مُستترة ذات قوّة فعّالة، تُحرِّك الحدث - وأحيانًا الأحداث - في الخفاء. وتتفاوت النظرية من مفهوم شخصي إلى جماعي، وغالبًا ما يعتقد الشخص أو الجماعة أن لهذه القوّة أذرعًا سرّية ومخططات خفية للتأثير على مجريات الأحداث، خاصّة التاريخية والسياسية<sup>(١)</sup>، وفي بعض الأحيان التحكُّم الكلي من جميع الجوانب: سياسيًا، واقتصاديًا، واجتماعيًا، ودينيًا؛ وحتى علميًا.

#### سيكولوجية نظريات المؤامرة

تتنوع «نظريات المؤامرة» من البسيطة إلى المُعقّدة، وتقدّم تفسيرات بديلة لما يعتقدُه معظم الناس حول مجريات هذه الأحداث، وتدّعي أن النتائج الواقعة هي في الحقيقة نتيجة مخططات سرّية مُسبقة، وهذه النظريات غالبًا ما تتحدّى السرديات الرسمية؛ وتقدّم تفسيرات مُعقّدة ومُتشعّبة تربط أحداثًا تبدو غير مرتبطة بشكل مباشر ببعضها، وتستند هذه النظريات في الغالب إلى الشكّ والريبة، وتعمل على استغلال الفجوات في المعلومات المُتاحة للعامة إذا لم تكتمل أوراق القضايا؛ أو التشكيك فيها إن اكتملت، أي أن المصطلح له دلالة سلبية بشكل عام، مما يعني أن جاذبية «نظرية المؤامرة» تستند إلى: «التحيز أو الإدانة العاطفية، وأحيانًا عدم كفاية الأدلة»<sup>(٢)</sup>.

«نظريات المؤامرة» ليست جديدة على الإطلاق؛ بل موجودة منذ قديم الأزل، وتمتد جذورها عبر التاريخ إلى الأزمنة القديمة، حيث كانت شائعة في غالبية الثقافات التاريخية العابرة؛ إن لم يكن كلها<sup>(٣)</sup>، لكن في العقود الأخيرة ازدادت شعبيّتها بشكل شائع الانبثاق، بعد دعمها مع انتشار الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي وسهولة الوصول إلى المعلومات.. ومن أبرز ما يتداوله أنصارها في الوقت المعاصر؛ أن هناك نخبة سرّية من القوى العالمية، مثل قادة الحكومات والبنوك والشركات متعدّدة الجنسيّات، تحاول إنشاء حكومة عالمية واحدة تسيطر على جميع جوانب الحياة البشرية، إن لم تكن قد أنشأتها بالفعل سرًا (وهذا سنناقشه بالتفصيل)، وغالبًا ما يتم ربط هذه النظريات بمنظمات مثل «الماسونية».

يرى بعض الباحثين الغربيين أن هذا التفسير يعتمد على فكرة مفادها أنه كلما كانت الأدلة ضد «نظرية المؤامرة» أقوى؛ فإن من يؤمنون بها سيردّون على هذه الأدلة القوية ضدّهم بالمكابرة والعناد؛ وبالتالي يُكثّفون جهودهم ويضعفون قواهم لإقناع الآخرين بأن هذا تأكيدٌ على أن نظريتهم صحيحة<sup>(٤)</sup>، أي أن المؤمنين بهذه النظرية سيقولون إن الأدلة التي تنفي المؤامرة هي نفسها جزء اكتمالي طرحه المتآمرون كمبررٍ لأفعالهم حالة كشفهم، وأنه ركن من أركان المؤامرة نفسها، وهكذا تدور الدائرة؛ كلما أقتعتهم بالعكس يجادلون بعكس العكس، وبهذا يستمرّون في تعزيز نظريتهم، نتيجة لذلك:

«تصبح المؤامرة مسألة إيمان بدلًا من شيء يمكن إثباته أو دحضه بالمنطق»<sup>(٥)</sup>.

وبالتالي يصبح من المستحيل تقريبًا إقناعهم بخطأ نظريتهم؛ لأنهم يعاملون كل محاولة لدحض المؤامرة

على أنها تأكيد للمؤامرة نفسها.

العوامل المؤدية إلى انتشار نظريات المؤامرة

بحسب الدراسات؛ هناك عدة عوامل لانتشار «نظريات المؤامرة» في شتى المجتمعات الإنسانية، منها على سبيل المثال:

١ - عدم الثقة في السلطات

عندما يفقد الناس ثقتهم في الحكومات والمؤسسات الرسمية، يكونون أكثر عرضة لتصديق «نظريات المؤامرة»، وربطت الدراسات بين الإيحاء ب«نظريات المؤامرة» وعدم الثقة في السلطة، والسخرية السياسية منها، بها فيها الدول المتقدمة والقوية والدول ذات الحريات<sup>(6)</sup>.

٢ - الفوضى وعدم اليقين

في وقت وقوع الأحداث الغامضة، أو في فترات الأزمات مثل: التوترات السياسية والحروب والكوارث الطبيعية أو الأزمات الاقتصادية والصحية وغير ذلك؛ يميل الناس إلى البحث عن تفسيرات بسيطة للأحداث المعقدة، وهنا تبرز «نظريات المؤامرة» لتقدم إجابات تجعل الأمور تبدو أكثر وضوحًا لإرضاء مخيلتهم، حيث خلصت إحدى المراجعات التاريخية ل«نظريات المؤامرة» إلى أن: «الأدلة تشير إلى أن المشاعر المنفردة التي يشعر بها الناس عندما يمرون بأزمات كالخوف، وعدم اليقين، والشعور بالخروج عن السيطرة؛ تحفز الدافع لفهم الموقف حتى وإن كان مصطنعًا، مما يزيد من احتمالية إدراك المؤامرات الوهمية»<sup>(7)</sup>.

٣ - التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي

كانت «نظريات المؤامرة» مقتصرة في السابق على جماهير هامشية، ثم بزغت كظاهرة ثقافية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين<sup>(8)</sup>، حتى تطوّرت بشكل لافت مع ظهور الإنترنت وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي<sup>(9)</sup>، وأصبح من السهل مشاركة وتداول المعلومات غير المؤكدة، فالأفراد الذين يعتقدون في نظرية معينة يمكنهم الآن بسهولة العثور على مجتمع داعم ومتوافق جدًا مع أفكارهم مهما كان تصنيفها؛ مما يزيد من انتشار تلك النظريات كالنار في الهشيم.

٤ - الطبيعة النفسية والعقلية

تقول الدراسات: إنَّ بعض الأشخاص يميلون بطبيعتهم وتكويناتهم النفسية الخاصة إلى الشكّ وعدم الثقة في أي شيء يدور حولهم، مما يجعلهم أكثر عرضة لتصديق الأفكار التي تتحدّى الروايات الرسمية، بالإضافة إلى ذلك؛ توفر «نظريات المؤامرة» نوعًا من الشعور بالتحكّم والإحساس بالرضا العقلي للشخص ذاته، حيث تقدّم لعقله تفسيرات للأحداث غير المفهومة أو المخيفة، وهو شكل من أشكال التحيز المعرفي

يُسمّى «إدراك النمط الوهمي»، ومعناه المبسّط:

«الميل إلى إدراك الروابط ذات المغزى بين الأشياء غير ذات الصلة؛ لصنع مبرّر يرضى عنه عقله الخاص»<sup>(10)</sup>.

تنتشر هذه النظريات في كل المجتمعات، لكنها متواجدة بشكل كبير في العالم العربي والدول النامية، نظرًا للظروف الحساسة التي مرّوا، ويمرّون بها.

\*\*\*

«نظريات المؤامرة» في الشرق الأوسط والعالم العربي تحديداً، تُعتبر من الظواهر المنتشرة التي تساهم في تشكيل الرأي العام، والتأثير على الفهم المجتمعي للأحداث<sup>(11)</sup>. تختلف هذه النظريات في طبيعتها ومجالاتها؛ إلا أن الكثير منها يركز على القوى الخارجية ومحاولاتها للسيطرة على الشؤون الداخلية للعالم العربي، سواء من خلال التدخلات السياسية، أو التخريب الاقتصادي، أو الحروب الثقافية، أو السيطرة على النفط، أو التواجد العسكري بحجة الحرب على الإرهاب، أو إحداث الوقائع والفتن بين الإخوة، وطبعاً لا يمكن نسيان الإيوان بوجود دعم كامل للكيان الصهيوني في المنطقة<sup>(12)</sup>، على سبيل المثال «بروتوكولات حكماء صهيون» - هي وثيقة سيئة السمعة تنتشر حولها الاتهامات في الوطن العربي (وأماكن أخرى كثيرة في العالم كذلك) - تدّعي أنها وثيقة مسربة لمحاضر «دير صهيون» لوضع خطة يهودية للهيمنة على العالم<sup>(13)</sup>، حتى وصل الأمر إلى توغل بعض الباحثين الغربيين في دراسة هذه الظاهرة، وتهكم بعضهم بسبب انتشارها والإيوان بها بشكل تام في الوطن العربي، ك«روجر كوهين» الصحفي والمؤلف الأمريكي؛ الذي قال: «إن شعبية نظريات المؤامرة في العالم العربي هي الملجأ النهائي للضعفاء»<sup>(14)</sup>.

قبل مناقشة هذا الادعاء ومعرفة إن كان العرب محقون في تبني «نظرية المؤامرة» أم لا، دعنا نتعرف أولاً على أسباب انتشارها بين العرب.

أسباب انتشار نظريات المؤامرة في العالم العربي

هناك عدة أسباب عينية لانتشار «نظريات المؤامرة» في العالم العربي، واضحة وبارزة أمام الجميع؛ منها:

١ - التاريخ السياسي المعقد

العالم العربي بالذات، شهد سلسلة لا حصر لها من التدخلات الخارجية والصراعات الداخلية؛ بدءاً من فترة الحملات الصليبية ثم الاستعمار الأوروبي، حتى الأزمات الحديثة مثل: الحروب الأهلية والصراعات الإقليمية.

هذا التاريخ المتوتر يجعل فكرة أن القوى الأجنبية تتلاعب بالشؤون الداخلية جذابة للعقل العربي، خاصةً أن هناك عوامل - أصبحت واضحة مع الوقت - تثبت صدق هذه النظريات، وتؤكد التآمر بشكل كبير على مقدرات وطنه، على سبيل المثال:

يُنظر إلى الحروب والصراعات الإقليمية على أنها جزء من مؤامرات غربية أو صهيونية تهدف إلى إضعاف الدول العربية.

في بادئ الأمر، كانت وجهات نظر هامشية؛ لكن في العقود الأخيرة، وبعد التحالفات المكشوفة لدعم أطراف النزاع، ترسخت الفكرة في عقول غالبية العرب - إن لم يكن جميعهم - بعد بروز بعض هذه المؤامرات بوضوح.

تعاني العديد من الدول العربية من مشكلة فقدان الثقة بين المواطنين والمؤسسات العامة - سواء ملكية أو جمهورية - وتشكيكهم في الشفافية وتحليل الأوضاع بحيادية، وهذا بدوره يؤدي إلى شعور عام بعدم الثقة في الحكومات والمؤسسات نفسها، وعندما تكون المؤسسات العامة غير قادرة على تفسير الأزمات بشكل مقنع؛ حتى وإن كانت ظروفًا وأحداثًا عالمية لا دخل للحكومات المحلية بها؛ يميل الناس إلى تصديق أن هناك «قوى خفية» مسؤولة عن تلك الأزمات، حتى تتسبب العلاقة الطردية في انعدام الثقة؛ وبالتالي اللجوء إلى براهين بديلة تفسر الظواهر السلبية أو الأحداث الغامضة.

### ٣- الإعلام والتأثيرات الثقافية

في العالم العربي؛ تلعب وسائل الإعلام دورًا كبيرًا في نشر وترويج «نظريات المؤامرة»، سواء عبر الإعلام التقليدي أو وسائل التواصل الاجتماعي؛ وسواء تبنتها الحكومات أو معارضوها، حيث يتم تداول أخبار ومعلومات مفادها وجود تحديات منسوجة من خلال مؤامرات خارجية. في بعض الأحيان يتأكد المواطن من صدق أخبارهم بعد تفسير بعض الأحداث؛ أو الإشارات التي تدل على كلامهم، وعلى نطاق واسع تتداول بعض البرامج التلفزيونية والمقالات الصحفية والفيديوهات المصورة - وحتى الكتب - ترويجًا لهذه النظريات بطرق مباشرة أو غير مباشرة؛ مما يجعلها جزءًا من الثقافة اليومية.

### ٤- الأزمات الاقتصادية والاجتماعية

الفقر والبطالة وتراجع التنمية في العديد من الدول العربية؛ أسبابٌ عُليا تجعل المواطنين يبحثون عن تفسيرات معقولة لأوضاعهم الصعبة، خاصةً أثناء مقارنتهم بأوضاع مواطني العالم الأول أو الدول القوية، فبكل بساطة «نظريات المؤامرة» تقدم إجابات سريعة ووافية لهذه الأوضاع المعقدة، على سبيل المثال: يتم ربط الأزمات الاقتصادية أحيانًا بمؤامرات دولية تهدف إلى تدمير الاقتصاد المحلي أو السيطرة عليه، ومع تفسير المواطن العربي للأحداث برؤيته وتحيّزه الخاص، يقتنع بذلك.

### ٥- العولمة والمنافسة الدولية

مع تصاعد العولمة والاعتماد على الاقتصاد العالمي، ظهر شعور لدى العديد من الشعوب العربية بأن العولمة هي شكل من أشكال المؤامرة الدولية للسيطرة على مواردهم وثرواتهم، حيث يُنظر إلى الشركات الكبرى أو المؤسسات العالمية مثل: «صندوق النقد الدولي» و«البنك الدولي»، على أنها أدوات قوى خارجية تفرض سيطرتها على الدول النامية، مع عدم بحث أو دراسة طبيعة أعمالهم الأخرى بشكل أعمق.

### أشهر نظريات المؤامرة في المجتمع العربي

يتداول مواطنو العالم العربي نظريات عديدة على نطاق واسع؛ تفيد بأن أوطانهم مستهدفة من القوى

الغربية، منها على سبيل المثال:

١ - المؤامرة الصهيونية والغربية ضد العالم العربي

هذه النظرية تعتبر واحدة من أكثر النظريات انتشارًا في العالم العربي، حيث يُنظر إلى القوى الغربية والصهيونية على أنها تسعى للسيطرة على المنطقة من خلال تفريقها وتقسيمها إلى دويلات ضعيفة، وأن الغرب يسعى لتفتيت العالم العربي للحفاظ على هيمنته من ناحية؛ ومن ناحية أخرى اقتطاع جزء كبير من أراضيه التاريخية لصالح الكيان المحتل لإقامة دولتهم الكبرى المزعومة.

٢ - نظرية المؤامرة حول الربيع العربي

يربط البعض ما يُعرف بـ«ثورات الربيع العربي» بمؤامرة الغرب لإسقاط الأنظمة القومية في المنطقة وزعزعة الاستقرار الداخلي، ويعتقد البعض أن القوى الغربية استخدمت وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي لتحريك الشارع العربي ضد الأنظمة القومية الحاكمة؛ بهدف تدمير الدول وتحقيق مصالحها الاقتصادية والجوسياسية.

٣ - التدخل في السياسات الاقتصادية

هناك اعتقاد شائع بأن المؤسسات المالية العالمية، تعمل على فرض سياسات اقتصادية على الدول العربية، تخدم مصالح الدول الكبرى وتؤدي إلى إفقار الشعوب، وتُتهم هذه المؤسسات بأنها تهدف إلى تمكين الشركات الأجنبية والشركات متعددة الجنسيات من السيطرة على الموارد المحلية.

تأثير نظريات المؤامرة على المجتمع العربي<sup>(15)</sup>

لهذه النظريات التي أصبحت راسخة في عقل المواطن العربي تأثيرات واضحة، منها على سبيل المثال:

١ - تقويض الثقة في الحكومات العربية

يمكن أن تؤدي «نظريات المؤامرة» إلى تقويض الثقة في الحكومات والمؤسسات الرسمية، عندما يعتقد الناس أن حكوماتهم تعمل بالتواطؤ مع قوى خارجية، أو أنهم وطنيون لكنهم ليسوا بقوة وكفاءة الدول الغربية؛ وبالتالي يفقدون الثقة في قدرة الحكومات على اتخاذ قرارات مستقلة، ويؤثرون على صناعتها للقرار المناسب في بعض الأحيان.

٢ - إعاقة الحلول العقلانية

تؤدي «نظريات المؤامرة» إلى تعطيل البحث عن حلول عملية ومنطقية للمشاكل، فبدلاً من مواجهة التحديات الاقتصادية أو السياسية بطرق علمية وعملية؛ يتم إلقاء اللوم على «المتآمرين».

٣ - عملاقة القوى الغربية

تؤدي «نظريات المؤامرة» التي تدّعي قوة أسطورية للغرب، إلى الشعور التام بالضعف العربي، وعدم التقدم تجاه خطوات مرنة نحو المستقبل؛ وبالتالي تزداد القوة المزعومة للغرب تعملقاً أكثر في عيون منافسيها، وبهذا الشكل قد يؤدي تبني «نظريات المؤامرة» إلى حالة من اللامبالاة بين الأفراد والمجتمعات، حيث يشعر الناس بأنهم عاجزون أمام هذه «القوى الخفية»، وظهور ما يُعرف بالتبليد أو التكاسل؛ بسبب الاعتقاد باتساع فجوة التنافس، مما يجعل من الصعب تحسين الأوضاع؛ وبالتالي لا تظهر أي محاولات لتغيير الواقع.

٤ - خلق العداة والفرقة بين العرب أنفسهم

تعزز «نظريات المؤامرة» الانقسامات داخل المجتمع العربي بين الدول العربية نفسها، فعلى سبيل المثال يُروّج في بعض الأحيان لفكرة أن دولاً عربية تتآمر ضد بعضها لتحقيق مصالح غربية، مما يُضعف التعاون العربي؛ أو حتى فكرة الإقبال عليه.

وبعيداً عن التأثيرات، تعتبر «نظرية المؤامرة» من الأمور التي تتمتع بشعبية ورواج كبير في الشارع العربي، وترتبط أحياناً بكل أنماط الحياة. وهنا يظهر سؤال جوهري.

- هل المواطن العربي محق في تبنيه «نظريات المؤامرة»؟

في الحقيقة لا يمكننا الإجابة ب«لا النافية»، فكثرة ما عاشه العرب من تحديات، وانفصاح الأسرار الكثيرة التي تؤكد التآمر عليهم، جعلت الإيمان ب«نظريات المؤامرة» نتاجاً طبيعياً لذلك؛ لكن الخطورة تكمن في اعتبارها هي المبرر المرضي للتقاعس والخمول، والزهد في محاولة تحدي الصعاب كما تحداها الأسبقون، أو حتى كما تحداها الغرب أنفسهم؛ فلو قارنا المجتمع العربي بنظيره الغربي من حيث انتشار «نظريات المؤامرة»، سنجد أنها كانت - وما زالت - موجودة كذلك في الغرب وبشكل واسع النطاق؛ رغم رؤية العرب للغرب دائماً على أنهم هم المتآمرون!

- في العالم الغربي؟

- نعم، وبشكل كبير جداً!

فكما سبق وذكرنا؛ نظريات المؤامرة هي طبيعة دفينية في عقول الإنسان منذ قديم الأزل وإلى الآن، الأمر لا يقتصر على العالم العربي فقط، ف«نظريات المؤامرة» راسخة كذلك بنسبة كبيرة في عقول مواطني الغرب؛ بما فيهم الدول الأكثر قوة؛ بل بما فيهم الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا والدول التي يُنسب إليها غالبية الشرور في نظريات المؤامرة، فعلى عكس ما يعتقد البعض أن الغرب لا يحتاجون إلى ترسيخ فكرة «نظريات المؤامرة»؛ نظراً لأن التحديات غالبيتها حالياً تصب ناحية الشرق؛ وأن الغرب هم المتحكمون في العالم إلى آخره.. مع دراسة العقل الغربي ستجد أنها عالقة في أذهان نسبة كبيرة من مواطني الغرب، ولها يقين وإيمان تام لدى نسبة أكبر.

\*\*\*

بعكس ما هو شائع، «نظريات المؤامرة» ليست حكرًا على المجتمع العربي والدول النامية؛ بل إنها ظاهرة منتشرة على نطاق واسع في المجتمعات الغربية أيضًا، تطورت هذه النظريات في المجتمع الغربي على مر العصور، وغالبًا ما ترتبط بالأحداث السياسية والاجتماعية والدينية، واغتيالات الزعماء، والحروب، والأوبئة، والعلوم المتقدمة. وفي حين اعتُبر أصحاب «نظريات المؤامرة» في الماضي أقليات هامشية؛ أشارت بعض الأدلة إلى أن مجموعة واسعة من سكان الولايات المتحدة - على سبيل المثال لا الحصر - تؤمن الآن بـ«نظريات المؤامرة» بإحصائيات متصاعدة، وأصبح قطاع عريض من المواطنين الأمريكيين يُعطي مصداقية كبيرة لبعض «نظريات المؤامرة»<sup>(16)</sup>، وبالتالي أصبح الإيمان بهذه النظريات موضوعًا يثير اهتمام علماء الاجتماع وعلماء النفس والخبراء؛ الذين ربطوا «نظريات المؤامرة» في الغرب بالقومية المفرطة والأصولية الدينية غالبًا<sup>(17)</sup>.

تتنوع «نظريات المؤامرة» في المجتمع الغربي، وانتشر على نطاق واسع الكثير من النظريات الغربية التي تسللت منه إلى باقي المجتمعات.. وإذا كان العالم العربي يؤمن بنظريات ترى أن هناك أشخاصًا أو حكومات يتآمرون على مقدراته، فالعالم الغربي تجاوزت نظرياته هذا الحد، ووصلت إلى الماورائيات والسحالي والفضاء.

أشهر نظريات المؤامرة في العالم الغربي

١ - المنطقة ٥١ والتجارب الفضائية

يعتقد كثيرون أن «المنطقة ٥١» في نيفادا، التابعة للقوات الجوية الأمريكية، هي منشأة حكومية سرية يتم فيها إجراء أبحاث على كائنات فضائية وأطباق طائرة تم العثور عليها، خاصة بعد حادثة روزويل الشهيرة في عام ١٩٤٧ م.

اعترفت وكالة المخابرات المركزية علنًا بوجود القاعدة في ٢٥ يونيو ٢٠١٣ م، بعد سنوات من طلب قانون حرية المعلومات (FOIA) المقدم في عام ٢٠٠٥ م، لرفع السرية عن الوثائق التي تُوضح تاريخها وغرضها<sup>(18)</sup>.

السرية الشديدة التي تحيط بالقاعدة جعلتها موضوعًا متكررًا لنظريات المؤامرة، ومكونًا أساسيًا من فولكلور الأجسام الطائرة المجهولة. ورغم ذلك تُنكر الإدارة الأمريكية أنها قاعدة سرية من الأساس، لكنها تقول إن الأبحاث نفسها هي التي تحتوي على معلومات حساسة وسرية للغاية<sup>(19)</sup>.

٢ - مركز قيادة العالم القاطن خلف الجدار الجليدي

نظرية المؤامرة حول الأشخاص الذين يُعتقد أنهم يحكمون العالم من «خلف الجدار الجليدي»، ترتبط غالبًا بمعتقدات بعض الأفراد والمنظمات الذين يؤمنون بنظرية الأرض المسطحة، التي تتعارض مع أكثر من

ألقي عام من الإجماع العلمي القائم على خطوط متعددة من الأدلة المؤكدة على أن الأرض كروية<sup>(20)</sup>، ويؤمنون بأن القطب الجنوبي محاط بجدار جليدي يمنع اكتشاف أراضٍ أو عوالم مخفية، ويدّعي المؤمنون بهذه النظرية أن هذا الجدار الجليدي يخفي قوى أو كيانات (أحياناً غير بشرية) تتحكم في العالم من خلف الكواليس، وأن الحكومات والمؤسسات العلمية تتواطأ لإخفاء الحقيقة بأوامر من هذه القوى.

٣ - نظرية رواد الفضاء القدماء

تعتقد هذه النظرية أن حضارات قديمة مثل المصريين القدماء والمايا وغيرهم، تلقت مساعدات من كائنات فضائية متطورة لبناء معالم عظيمة مثل الأهرامات وصروح ستونهنج. تروج لهذه الفكرة برامح وثائقية مثل Ancient Aliens، والمفهوم الشائع لدى الأنصار: هو أن الآلهة في معظم الأديان (إن لم يكن كلها) من أصل فضائي، وأن التقنيات المتقدمة التي جلبها رواد الفضاء القدماء إلى الأرض تم تفسيرها على أنها دليل على المكانة الإلهية الموجودة قبل البشر الأوائل<sup>(21)</sup>، ويؤمن أتباع هذه النظرية بأن هناك مؤامرة كبيرة لإخفاء هذه الحقيقة، فبحسب دراسة أجراها مركز Pew Research: فإن حوالي ٦٥٪ من الأمريكيين يعتقدون بوجود حياة ذكية لكائنات أخرى خارج كوكب الأرض من قبل إعمارها، وهو ما يعكس إيماناً واسع النطاق بفكرة الكائنات الفضائية، وتواصلها مع البشر منذ عصر الحضارات القديمة، وأن أتباعهم ورسلمهم يحاولون إنكار ذلك<sup>(22)</sup>.

٤ - نظريات المؤامرة حول الأجسام الطائرة المجهولة

هي مجموعة فرعية من نظريات المؤامرة التي تزعم أن الحكومات والسياسيين المختلفين على مستوى العالم - وخاصة حكومات الولايات المتحدة - يقومون بقمع الأدلة على أن الأجسام الطائرة المجهولة يتم التحكم فيها بواسطة ذكاء غير بشري؛ أو تم بناؤها باستخدام تكنولوجيا فضائية<sup>(23)</sup>. تؤمن نظريات المؤامرة هذه عادةً بأن حكومات الأرض تتواصل أو تتعاون مع زوار من خارج الأرض وتقدم لهم الكثير من التنازلات، علاوة على ذلك؛ تزعم بعض هذه النظريات أن هذه الحكومات تخالف عهدها مع الفضائيين، وتسمح باختطاف بعض الكائنات الفضائية، وربما سيؤدي ذلك في القريب العاجل إلى حرب انتقامية بين البشر والفضائيين<sup>(24)</sup>.

وتقول الإحصائية من نفس المركز المذكور سابقاً: إن ٥١٪ من سكان الولايات المتحدة يعتقدون أن الأجسام الطائرة المجهولة (UFOs) التي أبلغ عنها العسكريون، قد تكون دليلاً على وجود كائنات ذكية خارج الأرض وهي المتحكمة في حياة البشر، ويرى القليل منهم أنها تمثل تهديداً كبيراً للأمن القومي.. أما عالمياً؛ فالدراسات الدقيقة متباينة، ولكن الإيمان بفكرة الكائنات الفضائية شائع؛ خاصة في الدول الغربية، ويرتبط غالباً بمشاهدات الأجسام الطائرة المجهولة والنظريات الميتافيزيقية حول الكون؛ بحسب نفس المركز<sup>(25)</sup>.

عليك أن تتخيل أن في الولايات المتحدة فقط؛ أظهرت بعض الدراسات أن حوالي ٤٪ من الأمريكيين يؤمنون بنظرية «الكائنات الزاحفة» أو «الأشخاص الساحلي»، أو «الأرشونات» أو «العظائيات»، التي تدعي أن مخلوقات زاحفة من خارج الأرض تحولت إلى بشر لتتحكم في العالم، وهي تشمل فكرة أن شخصيات مؤثرة في المجتمع مثل: السياسيين وقادة الدول؛ قد يكونون من هذه الكائنات متغيرة الشكل - منهم رؤساء للولايات المتحدة - وقد أظهرت دراسة أجريت لمؤسسة Public Policy Polling في عام ٢٠١٣م؛ أن حوالي ١٢.٦ مليون أمريكي يعتقدون أن هذه الكائنات تسيطر على السياسة<sup>(26)</sup>!

- نعم الرقم لم يُكتب بالخطأ، ١٢.٦ مليون نسمة هي نسبة الـ ٤٪ المؤيدين، من أصل ٣١٦ مليون أمريكي (تعداد الولايات المتحدة أثناء الدراسة)، وهذا الرقم في الولايات المتحدة فقط، بالإضافة إلى مؤيدين في ٤٧ دولة أخرى.

ووفقاً لمنظر المؤامرة البريطاني: «ديفيد آيك»، الذي طرح هذه المؤامرة لأول مرة عام ١٩٩٩م؛ في عمله الذي يحمل عنوان «السر الأكبر»، فإن البشر الزواحف طويلي القامة الذين يشربون الدماء، ويغيرون شكلهم من «نظام النجوم ألفا دراكونيس»<sup>(27)</sup>، والذين يُختبئون الآن في قواعد تحت الأرض؛ هم القوة وراء مؤامرة عالمية ضد الإنسانية<sup>(28)</sup>، ويزعم أن معظم زعماء العالم القدامى والحديثين مرتبطون بهؤلاء الزواحف، بما في ذلك سلالة ميروفنجيان، وعائلة روتشيلد، وعائلة بوش، والعائلة المالكة البريطانية<sup>(29)</sup>.

وعشرات النظريات الأخرى الشائعة: كالإيمان بوجود مخلوقات خارقة للطبيعة مثل: «بيج فوت» أو «وحش بحيرة لوخ نيس» وغيرهم، ورغم عدم وجود تفسيرات لبعض الظواهر الخارقة التي زُعم أنها حدثت؛ اتهم العلماء هذه النظريات بأنها تُشكك في العلم والمؤسسات الرسمية، وقالوا إنها غالباً ما تفتقر إلى أدلة تدعمها علمياً، ووصفوها كشكل من أشكال إنكار العلم<sup>(30)</sup>، وكما هو متوقع؛ اعتبر أنصار تلك النظريات أن هذا تعميم متعمد، وبالتالي؛ تمسكوا بنظرياتهم أكثر.

في الولايات المتحدة - التي نستخدمها كرمز بسبب أنها قوة مهيمنة - يُفترض أن مصطلح «نظرية المؤامرة» تم ترويجه في الأساس من قبل «وكالة المخابرات المركزية الأمريكية» نفسها؛ من أجل تشويه سمعة المؤمنين بالمؤامرات التي نسجتها الوكالة ضد أفراد الشعب؛ حيث ابتدعته لأول مرة كردّ على منتقدي «لجنة وارن»، التي تم تشكيلها عام ١٩٦٣م؛ للتحقيق في اغتيال رئيس الولايات المتحدة الأسبق «جون ف. كينيدي»، من خلال جعلهم هدفاً للسخرية<sup>(31)</sup>.

وتأكيداً لذلك؛ نشر عالم السياسة «لانس دي هافن سميث» في كتابه «نظرية المؤامرة في أمريكا» عام ٢٠١٣م، أن المصطلح دخل اللغة اليومية في الولايات المتحدة بعد عام ١٩٦٤م، وهو العام الذي نشرت فيه «لجنة وارن» نتائجها بشأن اغتيال «كينيدي»؛ حيث نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» خمس قصص في ذلك العام باستخدام هذا المصطلح الذي ظهر وقتها لأول مرة<sup>(32)</sup>.

من ناحية أخرى، تذكر المؤرخة وأستاذة التاريخ «كاثرين إس أولمستيد»، الأسباب المقنعة التي تجعل الأمريكيين يميلون إلى الإيمان بنظريات مؤامرة الحكومة الأمريكية على المواطن الأمريكي، سنلخصها بوضوح فيما يلي:

أسباب انتشار نظريات المؤامرة في الولايات المتحدة

تبلورت دراستها حول ثلاثة أسباب رئيسية:

١ - التجاوزات والسرية الحقيقية التي مارستها الحكومة أثناء الحرب الباردة

استشهدت «كاثرين» بأعمال فادحة قامت بها الحكومة الأمريكية سرًا، وعندما تم فضح هذه الممارسات؛ سخرت الحكومة من الفاضحين وأطلقت عليهم «أنصار نظرية المؤامرة»، لكن مع الوقت اتضح صدق ادعاءاتهم بعد فضح هذه الأعمال، وأصبحوا مصابين بالشك وعدم الثقة بعدما تأكدوا من صدق «نظريات المؤامرة» في بعض الأحيان، أشهرها:

ممارسات وانتهاكات كـ «فضيحة ووترغيت»، أكبر فضيحة سياسية في تاريخ أمريكا، عندما قرر الرئيس «ريتشارد نيكسون» التجسس على مكاتب الحزب الديمقراطي المنافس في مبنى ووترغيت، إذ كان المرشح الديمقراطي «جورج ماكغفرن» هو الأقرب للفوز، وأدت الفضيحة إلى استقالة «نيكسون» في عام ١٩٧٤م<sup>(33)</sup>، لتكون المرة الأولى التي يستقيل فيها رئيس أمريكي، وتمت محاكمته بسبب الفضيحة، قبل أن يخرج بعد ذلك بعفو رئاسي.

كذلك استشهدت بـ «تجربة الزهري في توسكيغي»، وهي التجربة السرية البشعة غير الإنسانية، التي أُقيمت بين أعوام ١٩٣٢ و ١٩٧٢م لدراسة التطور الطبيعي لحالات الزُّهري غير المعالج؛ على الرجال ذوي البشرة السمراء في ريف ولاية ألاباما<sup>(34)</sup>.

«مشروع إم كي ألترا» أيضًا شمله الاستشهاد، والذي كان عبارة عن تجارب سيئة السمعة على البشر، قامت بتنظيمها «وكالة المخابرات المركزية الأمريكية»، بهدف تحديد وتطوير وابتكار عقاقير وإجراءات يستخدمونها مع الأفراد في عمليات الاستجواب والتعذيب، غرضها إضعاف الذهن وانتزاع الاعترافات من خلال السيطرة على العقل<sup>(35)</sup>.

كذلك استشهدت «كاثرين» بمحاولات الاغتيال السرية لزعيم الثورة الكوبية: «فيدل كاسترو» من قبل: «وكالة المخابرات المركزية» بالتعاون مع رجال العصابات. وجميعها مؤامرات حقيقية قامت بها الحكومات الأمريكية، واخترعت مصطلح «أنصار نظرية المؤامرة» للسخرية من المتهمين والتشكيك في ظنونهم.

٢ - الحكومة الأمريكية نفسها هي السبب في إرساء قواعد نظريات المؤامرة الرسمية لأغراض الدعاية

استشهدت «كاثرين» بمزاعم التسلسل الألماني إلى الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية، وكذلك

الادعاء الذي تم فضحه بأن «صدام حسين» لعب دورًا إرهابيًا في هجمات ١١ سبتمبر، وأن الوكالة هي التي اخترعت «نظريات مؤامرة وهمية».

٣ - انعدام الثقة الذي عززه تجسس الحكومة على المعارضين ومضايقتهم

تقول «كاثرين» أيضًا إنه في الوقت الذي سخرت فيه الحكومات الأمريكية من المعارضين ووسمتهم بـ«أصحاب نظرية المؤامرة» على سبيل السخرية؛ استخدمت هي نفسها «نظرية المؤامرة» كمبرر للحد من الحريات وتنفيذ أغراض حكومية، وحاكمت الساخرين منها، وبررت «كاثرين» على ذلك بادعاء الحكومات الأمريكية بأن هناك مؤامرات كانت تُحاك ضدها كمبرر لممارستها، ك«قانون التحريض على الفتنة عام ١٩١٨م» الذي وسع نطاق «قانون التجسس على المواطنين» ليشمل مجموعة أوسع من الجرائم؛ لا سيما الكلام والتعبير عن الرأي الذي يلقي بظلال سلبية على الحكومة أو المجهود الحربي أو التدخل في بيع السندات الحكومية، ووصف الحكومة للمعارضين بالمتآمرين<sup>(36)</sup>.

أبرز هذه الممارسات: «برنامج مكافحة الاستخبارات السرية»، وهو عبارة عن سلسلة من المشاريع السرية وغير القانونية<sup>(37)</sup> التي أجراها مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي (FBI) بين أعوام ١٩٥٦ و١٩٧١م، بهدف مراقبة واختراق وتشويه سمعة وتعطيل منظمات النخب السياسية الأمريكية، التي اعتبرها مكتب التحقيقات الفيدرالي تخريبية، واستهدف خلالها منظمات كثيرة من المجتمع المدني ومعارضين وأحزابًا؛ كجزء من «الخوف الأحمر»، واعتبار المعارضين لها متآمرين مدعومين من الشيوعية<sup>(38)</sup>، فمصطلح «الخوف الأحمر» هو مصطلح أُطلق على أشكال الذعر الأخلاقي الناجم عن الخوف من صعود الأيديولوجيات<sup>(39)</sup> اليسارية في المجتمع الأمريكي، وخاصة الشيوعية، وحمل اسم «الخوف الأحمر»؛ أي الخوف من الشيوعية الحمراء.. وبعيدًا عن التعليق على صدق هذا الادعاء من عدمه، فتاريخيًا أدى «الخوف الأحمر» إلى الاضطهاد السياسي الجماعي، وإلقاء اللوم على كبش فداء من قبل الحكومة الأمريكية؛ أثناء استخدامها لمبررات ظهرت على شكل «نظريات مؤامرة».

من ناحية أخرى؛ استخدم النخبة والساسة بالولايات المتحدة أنفسهم الكثير من «نظريات المؤامرة» مرات عديدة، لإقناع العامة بحقائق وهمية تقدم مصالحهم ومصالح أنصارهم السياسية؛ على سبيل المثال: أشار مقدم البرامج الإذاعية الأمريكي اليميني «ألكسندر إيميريك جونز» - منظر المؤامرات البارز - إلى العديد من «نظريات المؤامرة»؛ لإقناع أنصاره بتأييد المرشح المحتمل «رون بول» على «ميت رومني» في الانتخابات التمهيدية الرئاسية للحزب الجمهوري عام ٢٠١٢م، وكذلك «دونالد ترامب» على «هيلاري كلينتون» في الانتخابات الرئاسية للولايات المتحدة عام ٢٠١٦م<sup>(40)</sup>، كما أنه أيد «نظرية مؤامرة» شهيرة جدًا تم استخدامها في السنوات القليلة الماضية، تزعم أن «ترامب» يقاتل ضد عصابة من الديمقراطيين (الحزب المنافس) الذين يعتدون جنسيًا على الأطفال ويعبدون الشيطان<sup>(41)(42)</sup>.

وبهذا الشكل؛ يتضح توغل «نظريات المؤامرة» في ثقافة المواطن الغربي بشكل عام، وقد استشهدنا

بالمواطن الأمريكي كمثال؛ لأن الولايات المتحدة يُشار إليها دائماً بأصابع الاتهام.. لكن بالإضافة إلى ذلك؛ هناك قائمة طويلة لـ «نظريات المؤامرة» سائدة في غالبية دول الغرب لا يسعنا ذكرها، لكن منها على سبيل المثال لا الحصر:

نظريات المؤامرة في الدول الغربية غير الولايات المتحدة

بعيداً عن نظريات «المؤامرة الخارقة» أو «الماورائيات»؛ هناك «نظريات مؤامرة» سياسية واجتماعية واقتصادية، منتشرة في جميع الدول الغربية بلا استثناء، وتأخذ أشكالاً مختلفة بناءً على الثقافة والسياسة والتاريخ الخاص بكل بلد، في أوروبا وكندا وأستراليا مثلاً: تنتشر «نظريات المؤامرة» بشكل واسع، وغالباً ما تكون لها تأثيرات كبيرة على الرأي العام والسياسات المحلية، هذه النظريات تُعبّر في كثير من الأحيان عن الشكوك الجماعية تجاه الحكومات والمؤسسات الدولية، والشخصيات البارزة، وتُستخدم لفهم الأحداث المعقدة التي يصعب تفسيرها من وجهة نظر المواطن الغربي.

١ - بريطانيا: النظريات الملكية والسياسية

في المملكة المتحدة، تتركز الكثير من «نظريات المؤامرة» حول العائلة المالكة والسياسة.. إحدى أشهر النظريات هي تلك التي تحيط بوفاة «الأميرة ديانا».

مؤامرة: موت الأميرة ديانا

هناك العديد من «نظريات المؤامرة» التي تسللت إلى قصة وفاة أميرة ويلز: «ديانا فرانسيس سبنسر»؛ إثر حادث مأساوي مع صديقها «دودي الفايد» في ٣١ أغسطس ١٩٩٧م، وبرغم أن التحقيقات الرسمية في كل من بريطانيا وفرنسا أقرت بأن «ديانا» توفيت بطريقة تتفق مع التقارير الإعلامية التي أعقبت حادث السيارة المميت في باريس؛ نشرت صحيفة «ديلي إكسبريس» البريطانية<sup>(43)</sup> ادعاءات رجل الأعمال المصري «محمد الفايد» (والد دودي)، الذي انضم إليها الكثير من المواطنين للتشكيك في الرواية الرسمية للأحداث. أشهر «نظرية مؤامرة» تخص هذه القضية تدّعي أن حادث وفاة «الأميرة ديانا» لم يكن مجرد حادث سيارة عادي؛ بل كانت مؤامرة مدبرة من قبل بعض الجهات، ومنها أفراد من العائلة المالكة البريطانية، وبرروا السبب بأن «ديانا» رغم أنها كانت شخصية محبوبة جداً، كانت كذلك شخصية «مزعجة» لبعض الناس بسبب حياتها الخاصة وعلاقتها الشخصية، وخاصة علاقتها مع «دودي الفايد»، وانتشرت أقوال تدّعي أن العائلة المالكة لم تكن راضية عن فكرة ارتباطها بشخص مسلم، مع بزوغ مخاوف من إنجاب شخص من أصول عربية؛ يُحدث بظلاله تأثيراً على مستقبل الملكية البريطانية، وعلى هذا الأساس؛ ظهر الاعتقاد بأن الحادث كان مدبراً.

«نظرية مؤامرة» أخرى تقول: إن «الأمير تشارلز» هو من أمر بتدبير هذا الحادث، وتعززت هذه النظرية في عام ٢٠٠٣م، بعدما نشر الحارس الشخصي لـ «ديانا» «بول بوريل»، رسالة ادعى أنها كتبتها لصديقتها في

عام ١٩٩٣م، حيث تقول الرسالة التي تُعرف باسم «رسالة ديانا»؛ أنها تخشى أن يتم «التخلص منها» في حادث سيارة مخطط له، وتضمنت الرسالة جملة تقول فيها:

«إن زوجي الأمير تشارلز يخطط لحادث سيارة، بسبب رغبته في الزواج من شخص آخر» (44)(45).

ويُزعم أنها أعربت عن مخاوف مماثلة في أكتوبر ١٩٩٥م إلى اللورد «ميشكون» محاميها؛ حيث صرّحت له بأن «مصادر موثوقة» أخبرتها أنها و«كاميلا» سيتم استبعادهما؛ ليتزوج «تشارلز» من المربية الملكية لأبنائهم «تيجي ليج بورك» (46).

والجدير بالذكر، أن التحقيقات الرسمية التي استمرت لسنوات - بما في ذلك التحقيق البريطاني المعروف باسم «عملية باغيت» - أكدت أن الواقعة كانت مجرد حادث مؤسف بسبب سائق السيارة الذي كان تحت تأثير الكحول وقيادته بسرعة عالية، ورغم ذلك؛ لا تزال نظرية المؤامرة هذه راسخة، ويشكك البعض في التفاصيل، ويعتقدون أن هناك حقائق لم تُكشف.

مؤامرة: تسيّد بريطانيا

نظريات أخرى تشمل الشكوك حول تأثير الاتحاد الأوروبي قبل خروج بريطانيا (بريكست)؛ حيث كان هناك اعتقاد واسع بأن النخب الأوروبية كانت تخطط لتحويل بريطانيا إلى «دولة تابعة»، هذا الاعتقاد ساهم في تعزيز المشاعر المعادية للاتحاد الأوروبي، والتي أدت إلى التصويت لصالح البريكست في ٢٠١٦م، والانسحاب من الاتحاد.

ونظريات أخرى سياسية واجتماعية متعلقة بالماسونية؛ سنُحقق فيها بتمعن لاحقاً.

٢- فرنسا: نظريات مؤامرة سياسية واجتماعية

فرنسا تمتلك تاريخاً طويلاً من «نظريات المؤامرة»، يعود بعضها إلى الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر، أشهرها نظريات مثل: «المؤامرة اليهودية» التي انتشرت خلال «قضية دريفوس».

قضية: دريفوس

هي فضيحة سياسية شهيرة في نهاية القرن التاسع عشر، أدت إلى انقسام الجمهورية الفرنسية الثالثة من عام ١٨٩٤م حتى حلها في عام ١٩٠٦م، أي أنها استمرت ١٢ عاماً. بدأت الفضيحة في ديسمبر ١٨٩٤م، عندما أُدين بالخيانة ضابط المدفعية الكابتن «ألفريد دريفوس» صاحب الـ ٣٥ عاماً، لتسليمه أسراراً عسكرية فرنسية إلى السفارة الألمانية في باريس.

- وما المشكلة؟

- المشكلة أنه كان يهودياً، وفي ذلك الوقت كان الجو العام في فرنسا مليئاً بمعاداة اليهود، وانتشار «نظرية مؤامرة» مفادها أنهم يعملون سراً على التحكم في سياسات المجتمع الفرنسي واقتصاده؛ فالقضية تحولت بسرعة من مجرد قضية خيانة إلى مسألة عرقية ودينية، وانقسم المجتمع الفرنسي إلى قسمين:

- قسم يدافع عن «دريفوس» ويقول إنه بريء وإنه ضحية العنصرية.  
- وقسم آخر مقتنع تمامًا أنه مذنب.

الصحف والسياسيون والجمهور أشعلوا الأجواء، ولم تصبح قضية رأي عام فقط؛ بل أصبحت بمثابة حدث وطني ضخمة<sup>(47)</sup>.

حُكم على الضابط اليهودي بالسجن مدى الحياة، وأُرسل إلى الخارج، وتحديدًا المستعمرة العقابية في جزيرة الشيطان المعزولة في غويانا الفرنسية آنذاك<sup>(48)</sup>، وأمضى السنوات الخمس التالية مسجونًا في ظروف قاسية للغاية.. وبعد محاكمات طويلة ومعركة قانونية وسياسية مريرة؛ تم إثبات براءة «دريفوس» في النهاية عام ١٩٠٦م، وأعاد له الحكومة رتبته العسكرية وكرّمته بوسام الشرف، وأصبحت القضية رمزًا يُقتدى به عن الظلم والتمييز في فرنسا ومستعمراتها، والأضرار التي يجلبها المشي وراء «أنصار نظريات المؤامرة»<sup>(49)</sup>. وأحدث منها نظريات أخرى عديدة تتعلق بشخصيات سياسية معاصرة.

مؤامرة: مجموعات خفية تتحكم بفرنسا

على سبيل المثال: ظهرت شكوك حول تدخلات خارجية في انتخابات فرنسا، ودور مجموعات خفية مثل: البنوك الدولية والمؤسسات المالية في التأثير على السياسات الاقتصادية، وفي العصر الحديث؛ نجد أن نظريات المؤامرة في فرنسا ترتبط بشكل خاص بالعملة والسياسة الأوروبية؛ حيث يعتقد الكثير من الفرنسيين أن الاتحاد الأوروبي والبيروقراطيات العالمية<sup>(50)</sup> يتآمرون ضد سيادة فرنسا، وأن المؤسسات المالية الكبرى تتحكم في السياسات المحلية لصالح نخبة عالمية.

مؤامرة: الاستبدال العظيم وأسلمة فرنسا

أزمة الهجرة إلى أوروبا ولدت العديد من النظريات حول «استبدال السكان»، أشهرها نظرية: «الاستبدال العظيم» ذات الأصل الفرنسي، التي تزعم أن هناك مؤامرة ديموغرافية تستهدف تغيير هوية البلاد بشكل جذري<sup>(51)</sup>.

«الاستبدال العظيم» هي نظرية مؤامرة قومية بيضاء<sup>(52)</sup> يمينية متطرفة<sup>(53)</sup>، تبناها المؤلف الفرنسي «رينو كامو» صاحب الـ٧٨ عامًا؛ في كتابه «الاستبدال العظيم» الصادر عام ٢٠١١م، وتنص النظرية الأصلية على أنه بتواطؤ أو تعاون النخب «الاستبدالية»؛ يتم سرًا استبدال السكان الفرنسيين العرقيين والأوروبيين عمومًا ذوي البشرة البيضاء ديموغرافيًا وثقافيًا، بشعوب غير بيضاء - تشير أصابع الاتهام غالبًا إلى البلدان المسلمة - من خلال الهجرة الجماعية والنمو الديموغرافي وانخفاض معدل المواليد بين الأوروبيين البيض<sup>(54)</sup>، ومنذ ظهور هذه النظرية تسللت فكرتها إلى دول غربية أخرى وتبنتها على أرضها، منهم على سبيل المثال: ألمانيا والولايات المتحدة وغيرها<sup>(55)</sup>.

وبرغم انتشار هذه النظرية، رفض العلماء هذه الادعاءات، واعتبروها متجذرة بسبب سوء فهم

الإحصاءات الديموغرافية، واستنادها إلى نظرة عنصرية غير علمية؛ فوفقاً ل«الموسوعة البريطانية»: «فإن نظرية الاستبدال العظيم سُخِرَ منها على نطاق واسع بسبب سخافتها الصارخة»<sup>(56)</sup>.  
وبرغم ذلك يؤمن أنصار هذه النظرية بوجودها تماماً، معتبرين أن هذا النفي جزء من المؤامرة ذاتها، كما سبق وحللنا.

٣ - ألمانيا: نظريات المؤامرة التاريخية والمعاصرة

ألمانيا تحمل تاريخاً مليئاً ب«نظريات المؤامرة»، فقبل الحرب العالمية الثانية استخدمها «أدولف هتلر» بقوة وعلى نطاق واسع، أما بعد سقوط النازية؛ انتشرت نظريات تتعلق بمؤامرات دولية قيل إنها تهدف إلى إبقاء ألمانيا تحت السيطرة السياسية والعسكرية لقوى أجنبية مثل: الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي، وحالياً هناك عدة نظريات منتشرة، منها: مؤامرة «الاستبدال العظيم» أيضاً.

مؤامرة: الاستبدال العظيم وأسلمة ألمانيا

ألمانيا هي الأخرى متخوفة من «الاستبدال العظيم»، ففي السنوات الأخيرة انتشرت «نظريات مؤامرة» في ألمانيا حول اللاجئين والهجرة، حيث يدّعي بعض الألمان أن الحكومة والاتحاد الأوروبي يشاركان في مؤامرة لتغيير التركيبة السكانية في البلاد.. حركة «PEGIDA» (بيغيدا) المناهضة للإسلام من أبرز الحركات التي استندت إلى هذه النظرية، تحت شعار: «الأوروبيون الوطنيون ضد أسلمة الغرب»<sup>(57)</sup>.  
«بيغيدا» هي حركة سياسية متطرفة يمينية مناهضة للإسلام على مستوى عموم أوروبا وليس ألمانيا تحديداً<sup>(58)</sup>، وتعتقد أن هناك مخططاً لاستبدال الثقافة الألمانية الأصلية بتركيبة سكانية جديدة عبر استقبال اللاجئين - خاصة المسلمين - وتعتقد أن ألمانيا تحديداً تتعرض لأسلمة متزايدة<sup>(59)</sup>.

مؤامرة: فيروس كورونا

كذلك أدى انتشار الحركات اليمينية المتطرفة خلال «جائحة كورونا»، إلى ظهور «نظريات مؤامرة» حول الفيروس، حيث اتهمت هذه الحركات الحكومة باستخدام الجائحة كذريعة للسيطرة على المواطنين وتقييد الحريات<sup>(60)</sup>.

٤ - إيطاليا: النظريات المتعلقة بالماфия والسياسة

في إيطاليا، «نظريات المؤامرة» تتداخل كثيراً مع التاريخ الطويل للماфия والجريمة المنظمة، وتأثير الولايات المتحدة والفايكان على البنية السياسية الإيطالية.

مؤامرة: المافيا على السياسة الإيطالية

هناك اعتقاد واسع بأن المافيا لا تزال تمتلك نفوذاً قوياً في الحكومة والاقتصاد، وأن هناك تواطؤاً بين الطبقة السياسية والجريمة المنظمة، لضمان استمرار مصالحهم المشتركة<sup>(61)(62)</sup>.

منذ عقود؛ انتشرت في إيطاليا «نظريات مؤامرة» حول تدخلات دولية في شؤون البلاد، خاصة من قبل الولايات المتحدة والفاتيكان، وهي من النظريات التي كانت تُثار حول تأثير الكنيسة الكاثوليكية وسياسات الدول الكبرى - مثل الولايات المتحدة - في تشكيل السياسات الداخلية لدول مثل إيطاليا، وأن الولايات المتحدة قد تأمرت مع المافيا والفاتيكان لإسقاط حكومات يسارية في إيطاليا خلال فترة الحرب الباردة. مثل هذه النظريات تركّز عادة على تداخل الدين في السياسة، وتحديدًا على نفوذ الفاتيكان الذي يقع في قلب روما، وتأثير الولايات المتحدة كقوة عالمية.

«عملية غلاديو» تُعتبر جزءًا مهمًا من بعض النظريات المتعلقة بتأثير القوى الخارجية على إيطاليا، و«عملية غلاديو» هي الاسم الرمزي للعمليات السرية «البقاء خلف الكواليس» للمقاومة المسلحة التي نظمها حلف «ويسترن يونيون» أو «الاتحاد الغربي» (WU) (تأسس عام ١٩٤٨م)، قبل أن يُصبح حلف شمال الأطلسي (تأسس عام ١٩٤٩م) مع وكالة المخابرات الأمريكية المركزية<sup>(63)(64)</sup>، بالتعاون مع العديد من وكالات الاستخبارات الأوروبية أثناء الحرب الباردة<sup>(65)</sup>، بهدف إنشاء قوات مقاومة سرية في الدول الأوروبية، بما في ذلك إيطاليا، لمواجهة أي اجتياح سوفياتي محتمل أو انتشار للشيوعية في أوروبا، حيث يُعتقد أن الولايات المتحدة استخدمت هذه الشبكة السرية لدعم الأحزاب السياسية اليمينية في إيطاليا، وخاصة الحزب الديمقراطي المسيحي، وذلك بهدف تقويض أي نفوذ للأحزاب اليسارية أو الشيوعية. وعلى الرغم من أن «عملية غلاديو» تُستخدم كاسم غير رسمي لجميع منظمات «البقاء خلف الكواليس» التابعة لحلف شمال الأطلسي في عموم أوروبا<sup>(66)</sup>؛ إلا أنها ترمز في كثير من الأحيان إلى الفرع الإيطالي، وتُستخدم كدليل على أن هناك قوى خفية كانت تؤثر على السياسة الإيطالية في تلك الفترة، مما يعزز فكرة أن إيطاليا لم تكن حرة بالكامل في تقرير مصيرها، وأن الولايات المتحدة والفاتيكان كان لهما دور كبير في توجيه الأمور، وأن عماد السياسة الإيطالية الحالية مؤسس على ما بناه الفاتيكان والأمريكان.

في كندا؛ ظهرت «نظريات مؤامرة» تتعلق بالقضايا البيئية والصحية.

انتشرت هذه النظرية بكثرة بعد توقيع الحكومة على اتفاقيات دولية متعلقة بالمناخ مثل «اتفاقية باريس»، التي تمت في ٢٢ ديسمبر ٢٠١٥م، بعدما توصلت كندا و١٩٤ دولة أخرى إلى اتفاق لمكافحة تغير المناخ، بغرض تعزيز الجهود الرامية إلى الحد من ارتفاع متوسط درجة الحرارة العالمية إلى أقل من درجتين مئويتين، ومواصلة الجهود الرامية إلى الحد من الزيادة إلى ١.٥ درجة مئوية<sup>(67)</sup>.

بعض النقاد الكنديين المؤمنين ب«نظريات المؤامرة»، يعتقدون أن هذه الاتفاقيات هي جزء من مخطط

عالمي لفرض سيطرة دولية على الموارد الطبيعية الكندية.

مؤامرة: فيروس كورونا

في خضم أزمة الجائحة، ساهمت تطبيقات ومنصات التواصل الاجتماعي في انتشار معلومات تطعن في تقارير جائحة كورونا، وظهرت «نظريات مؤامرة» تبناها بعض المواطنين الكنديين، الذين يعتقدون أن الحكومة الكندية تتبع أجندة سرية لفرض نظام رقابة جماعي باستخدام اللقاحات، وأفادت شبكة مكافحة الكراهية الكندية (CAHN) بأن «نظريات المؤامرة» المتعلقة بكوفيد-19، بدأت منذ اليوم الأول لظهور الفيروس<sup>(68)</sup>، وصرحت في ١٦ مارس ٢٠٢٠م بأن الجماعات اليمينية المتطرفة في كندا تستغل مناخ القلق والخوف المحيط بكوفيد؛ لإعادة تدوير أشكال مختلفة من «نظريات المؤامرة» التي بدأت منذ التسعينيات، والتي شاركها الناس آنذاك عبر الراديو الموجي القصير<sup>(69)</sup>، وقالت إن معظم المعلومات المضللة انتشرت بسرعة فائقة بسبب تداولها عبر الإنترنت بشكل غير مقصود من قبل المشاركين المتحمسين الذين ينشطون سياسياً<sup>(70)</sup>.

كما انتشرت نظريات تتعلق بتقنيات الجيل الخامس (5G) تدّعي أنها تؤثر على الصحة العامة.

٦ - أستراليا: نظريات المؤامرة المتعلقة بالمؤسسات العالمية

في أستراليا أيضاً؛ انتشرت «نظريات مؤامرة» تتحدث عن تدخلات من الهيئات الدولية، وكذلك من دول إقليمية كبيرة.

مؤامرة: المؤسسات الدولية وتسيّد أستراليا

تركز «نظريات المؤامرة» في كندا على الهيئات الدولية مثل الأمم المتحدة، ومنظمة الصحة العالمية، حيث يرى بعض الأستراليين أن هذه المؤسسات تخطط للسيطرة على سيادة أستراليا، من خلال اتفاقيات وتوصيات تتعلق بالتغير المناخي والصحة العامة.

مؤامرة: الصين تخترق أستراليا

نظرية أخرى تهاجم نفوذ الصين المتزايد في أستراليا، حيث يعتقد البعض أن الحكومة الأسترالية تتعرض لضغوط من الصين للتأثير على السياسات الاقتصادية والدبلوماسية.

في البداية؛ كشفت بعض السجلات عن تبرعات سياسية ضخمة من الصينيين العرقيين المرتبطين بـ«الحزب الشيوعي الصيني»، والتي كانت تُستخدم لمحاولة تغيير سياسة الأحزاب السياسية الأسترالية الرئيسية تجاه الصين، بدأت النظرية في الانتشار بعد أن طُرد أحد الساسة الشعبيين من البرلمان الأسترالي؛ بعد الكشف عن أنه كان يغازل وسائل الإعلام الناطقة باللغة الصينية، بشأن سياسة بحر الصين الجنوبي، وحرّر راعيه السياسي المرتبط بالحزب الشيوعي الصيني من المراقبة الحكومية.

حينها فُتحت القضية للرأي العام، وجاءت الأسئلة حول النفوذ المتزايد للصين في الجامعات الأسترالية،

وحول الجهود المرتبطة بالحزب الشيوعي الصيني لاستقطاب وسائل الإعلام الناطقة باللغة الصينية والجماعات المدنية في المجتمع الأسترالي الصيني.

أشعلت هذه الفضائح عاصفة نارية في السياسة الأسترالية، واصطف سياسيون بارزون - حاليون وسابقون - ومعلقون بارزون، وقادة أعمال وجامعات، وعلماء، وأصوات في المجتمع الأسترالي؛ على جوانب مختلفة من المناقشة الوطنية، حول مدى خطورة التحدي الذي يفرضه النفوذ الصيني على الديمقراطية الأسترالية، وقد ذكر الخبراء أن هذه الفضائح حوّلت أستراليا إلى «طائر الكناري في منجم الفحم»، وهو مصطلح تحذيري ينعت الطرق التي تسعى بها الصين سرّاً إلى التأثير والتدخل في العملية السياسية في الديمقراطيات المتقدمة<sup>(71)</sup>.

٧ - الدول الاسكندنافية: نظريات حول السيطرة الاقتصادية والاجتماعية

الدول الاسكندنافية (مثل السويد والنرويج والدنمارك)، رغم شهرتها بالاستقرار الاجتماعي، شهدت كذلك انتشاراً لـ«نظريات المؤامرة».. أحد الأمثلة الشهيرة هي نظرية «التبديل السكاني» أو «الاستبدال العظيم» سابقة الذكر، والتي تزعم أن حكومات هذه الدول تدعم سياسات هجرة تهدف إلى تغيير التركيبة العرقية للسكان.

مؤامرة: الاستبدال العظيم

الدول الاسكندنافية هي الأخرى تتبنى «نظرية المؤامرة» هذه بشكل واسع النطاق، ففي الدنمارك على سبيل المثال؛ كان مصطلح «الاستبدال العظيم» شائعاً في الخطاب السياسي الدنماركي اليميني، حيث ادعى «راسموس بالودان» زعيم حزب «هارد لاين» المتشدد - متبني نظرية الاستبدال العظيم - في أبريل ٢٠١٩م<sup>(72)</sup>؛ أنه بحلول عام ٢٠٤٠م سيقرب الشعب الدنماركي العرقي من أن يصبح أقلية في الدنمارك، بعد أن يفوقه عدد المسلمين وأحفادهم<sup>(73)</sup>، وأثناء مناقشة انتخابات البرلمان الأوروبي لعام ٢٠١٩م؛ استخدم «بالودان» المفهوم لتمرير اقتراح بحظر الهجرة الإسلامية وترحيل جميع المقيمين المسلمين من البلاد، ووُصف ذلك بـ«تبشير بالودان بنظرية الاستبدال العظيم»<sup>(74)</sup>.

كذلك؛ بعدها بشهرين، وتحديدًا في يونيو ٢٠١٩م؛ استشهدت رئيسة البرلمان الدنماركي السابقة وزعيمة حزب الشعب الدنماركي آنذاك «بيا كيرسجارد» بـ«نظرية المؤامرة» هذه، بادعائها أن هناك تشجيعاً للمجتمعات المسلمة على «التصويت باللون الأحمر» ضد حزبها، ووجهت سؤالاً لصالح الديمقراطيين الاجتماعيين قائلةً:

«ماذا سيحدث؟ استبدال الشعب الدنماركي!»<sup>(75)</sup>.

مؤامرة: التدخلات الدولية في شؤون الاسكندنافيين

بالإضافة إلى ذلك؛ هناك نظريات تتعلق بالتدخلات الاقتصادية الدولية، والسيطرة على القطاعات

الرئيسية في هذه الدول، وتركز هذه النظريات عادةً على دور الشركات الكبرى مثل: المنظمات المالية الدولية والاتفاقيات التجارية؛ في التأثير على الاقتصادات المحلية بطرق تخدم مصالح خارجية، فعلى الرغم من أن الدول الاسكندنافية تعتبر من بين الاقتصادات الأكثر استقرارًا واستقلالية في العالم؛ إلا أن فيها بعض النظريات التي تتعلق بمواضيع مثل: «هيمنة الشركات متعددة الجنسيات»، حيث يُزعم أن هذه الشركات تمارس نفوذًا كبيرًا على الحكومات وتفرض سياسات تخدم مصالحها التجارية. وفي هذا السياق تُعتبر شركات التكنولوجيا الكبرى مثل Google و Microsoft وغيرها، أمثلة على الشركات التي تدخل الأسواق المحلية الاسكندنافية لفرض معايير وقوانين تخدم مصالحها، مما يضعف القدرة التنظيمية المحلية؛ على حد زعمهم.

كما أن لديهم مخاوف من تأثير «صندوق النقد الدولي» و«البنك الدولي» وحتى «البنك المركزي الأوروبي» على السياسات الاقتصادية للدول الاسكندنافية، من خلال فرض شروط مالية أو اقتصادية معينة كجزء من القروض أو برامج التعاون، ويعتقد بعض المنظرين أن هذه المؤسسات تُستخدم كأدوات للسيطرة على اقتصادات تلك الدول من الخارج، ويُزعم أن الضغوطات التي تُفرض على الدول الاسكندنافية تهدف إلى إضعاف سياسات الرفاه الاجتماعي المتميزة التي تشتهر بها - مثل الرعاية الصحية الشاملة والتعليم المجاني - لضمان المزيد من الانفتاح الاقتصادي والخصخصة التي تخدم مصالح الشركات الكبرى.

وعن الاتفاقيات التجارية وتأثيرها على الاستقلال الاقتصادي؛ تُشير بعض النظريات إلى أن الاتفاقيات التجارية الدولية - مثل تلك التي تُبرم بين الدول الاسكندنافية والاتحاد الأوروبي أو الولايات المتحدة - تستهدف تقليص استقلالية الدول في اتخاذ قرارات اقتصادية وطنية. وفي هذا السياق، يمكن أن يتم تصوير الاتفاقيات التجارية متعددة الأطراف أو التكتلات الاقتصادية، كأدوات تُستخدم للهيمنة على أسواق معينة هناك، مثل سوق الأخشاب والورق أو الثروة السمكية التي تُعتبر من الموارد الحيوية للدول الاسكندنافية. التحكم في قطاع الطاقة أيضًا من المواضيع التي احتوتها «نظريات المؤامرة»، فالنرويج على وجه الخصوص؛ تعتبر من أكبر الدول المصدرة للنفط والغاز الطبيعي في أوروبا، ويزعم بعض أصحاب «نظريات المؤامرة» أن شركات النفط الكبرى مثل ExxonMobil أو Shell تتدخل في سياسات الطاقة المحلية لضمان استمرارية وصولها إلى موارد النفط النرويجية والهيمنة على السوق الأوروبية.

تأكيدًا على المفهوم الذي وصلك مما ذكرنا؛ أعزز لك أنه كما يعتقد العرب أن الغرب يتآمرون عليهم، يعتقد الغرب نفس الاعتقاد، فترى غالبية كبيرة منهم أن العرب والمسلمين يمثلون خطرًا توسعيًا، ليس من خلال الهجرات وحسب؛ بل لديهم خوف من احتمالية استفاقة قوتهم العسكرية، واسترجاع ما أسموه ب«عصر الاحتلال»، والمقصود من وجهة نظر المسلمين؛ الفتوحات التي قاموا بها أثناء ازدهار القوة العسكرية الإسلامية، وقد استغلت شخصيات وطوائف كبيرة في المجتمع الغربي هذا الهاجس وركزت

عليه، حتى ظهر ما يُسمى بـ«الإسلاموفوبيا»، وهو مصطلح يشير إلى الخوف غير المبرر أو العداء أو التحيز ضد الإسلام والمسلمين<sup>(76)</sup>، وتعكس «الإسلاموفوبيا» مجموعة من الأفكار النمطية السلبية والمفاهيم المغلوطة عن الإسلام كدين والمسلمين كأفراد أو جماعات، كنتيجة للتصورات المشوهة التي تتكون بسبب عوامل سياسية واجتماعية وإعلامية «موجهة»<sup>(77)</sup>، أو الخلط بين المسلمين والإسلاميين، رغم أن الفارق الفكري بينهم مختلف.

وبهذا الشكل؛ يتضح أن «نظريات المؤامرة» في الدول الغربية تعكس قضايا محلية وتاريخية محددة لكل بلد، لكنها تشترك في العديد من القواسم مع «نظريات المؤامرة» العالمية المتعددة، مثل: الشكوك تجاه النخب والمؤسسات الدولية، والتفسيرات المعقدة للأحداث الجارية، وأن هناك قوة خفية تدير الأحداث، أو أن هناك استبداداً سكانياً مزعوماً.

ومن فرنسا إلى أستراليا، تعبر هذه النظريات عن مشاعر عدم الثقة والتوترات الاجتماعية والسياسية، وغالباً ما تنتشر في أوقات الأزمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وقد قام الباحثون بدراسة هذه الظاهرة في جميع المجتمعات، وخرجوا علينا بتصنيفات لتلك النظريات، فنجد الأكاديمي المتخصص في التطرف السياسي والديني والعلاقة بين الدين والعنف: «مايكل باركون»، قد حدّد ثلاثة تصنيفات لنظرية المؤامرة، تلخصت فيما يلي<sup>(78)</sup>:

١ - نظريات المؤامرة المتعلقة بالأحداث

وهي نظرية تُشير إلى أحداث محدودة ومحددة بدقة فائقة، مثل تلك المتعلقة باغتيال «كينيدي»، وهجمات ١١ سبتمبر، وانتشار الإيدز.

٢ - نظريات المؤامرة النظامية

وهو مصطلح يُشير إلى المؤامرة التي تحمل أهدافاً واسعة النطاق، وعادة ما يتم تصورهما على أنها تأمين السيطرة على بلد أو منطقة؛ بمعنى أن هناك منظمة شريرة واحدة تنفذ خطة للتسلل إلى المؤسسات القائمة في البلد المستهدف وتقويضها.

٣ - نظريات المؤامرة الفائقة

وهي النظريات التي تُشير إلى مؤامرات عالمية مزعومة متعددة على نحو هرمي، وفي القمة توجد قوة شريرة بعيدة ولكنها قوية للغاية، كالماسونية على سبيل المثال<sup>(79)</sup>.

أسباب انتشار نظرية المؤامرة في المجتمع الغربي

هناك أربعة أسباب متفق عليهم، هم:

١ - التشكيك في السلطات والمؤسسات

هناك تاريخ طويل من التشكيك في المؤسسات الكبرى في المجتمع الغربي، بما في ذلك الحكومات والشركات الكبرى والمؤسسات الإعلامية، هذا التشكيك يغذيه اعتقاد أن هذه المؤسسات تعمل لصالح نخبة صغيرة على حساب العامة.

٢ - التطور التكنولوجي وانتشار المعلومات

كما في العالم العربي بل أشد وطأة؛ مع ظهور الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، أصبحت المعلومات تنتشر بسرعة أكبر وبطرق غير منظمة، مما أدى إلى زيادة في تداول الأفكار غير المدعومة رسميًا، وأصبحت المنصات الإلكترونية مراكز لنشر «نظريات المؤامرة»؛ فقد سمحت الطبيعة المفتوحة للإنترنت بتشكيل مجتمعات صغيرة، تدعم وتعادي الأفكار الغربية التي كانت تُعتبر في الماضي غير مهمة أو غير مقبولة على نطاق واسع.

٣ - التغييرات السياسية والاجتماعية

في المجتمعات الغربية، شهدت الفترات الأخيرة تغييرات سياسية واجتماعية كبرى مثل صعود «الشعبوية»<sup>(80)</sup>، فغالبًا ما يصور الشعبويون أنفسهم على أنهم يمثلون صوت الجماهير العريضة أو «الغالبية الصامتة»، ويعارضون النخب السياسية والاقتصادية أو الثقافية، فالمجتمع الغربي من الداخل ليس بالقوة الحديدية التي يتخيلها المجتمع العربي، حيث أدت الانقسامات السياسية وحركات الاحتجاج؛ إلى فقدان الثقة في السياسات التقليدية، وزادت من جاذبية «نظريات المؤامرة» كوسيلة لفهم العالم.

٤ - الأزمات الصحية والعالمية

هناك تاريخ طويل لمخاوف الشعوب الغربية من اللقاحات والتطعيمات، كالحصبة بشلل الأطفال التي قيل إنها وسيلة للإصابة بالعقم لتقليص عدد سكان الكوكب، وغيرها من الأمصال التي قيل إنها تصيب بالسعار أو النكاف أو الحميرية أو تفشي الأمراض عمومًا. ونظرًا للمخاوف من اللقاحات وانتشار «نظريات المؤامرة»؛ عادت أمراض تقليدية من السهل السيطرة عليها إلى الظهور بقوة، كالحصبة التي أودت بحياة ٢٠٧,٥٠٠ شخص في العالم سنة ٢٠١٩م - بحسب منظمة الصحة العالمية - بسبب الامتناع عن أخذ اللقاحات، كردّ فعل للمخاوف المضللة التي نشرها المعارضون لللقاحات، مثل تلك التي ارتبطت بحركة «اللقاحات تسبب التوحد»، وهي نظرية تم تنفيذها علميًا لكنها لا تزال تؤثر على بعض الأسر.

الحادث الأبرز هو تفشي «فيروس كورونا»، حيث وفرت الجائحة ساحة خصبة لانتشار «نظريات المؤامرة»، سواء المتعلقة بأصل الفيروس أو فعالية اللقاحات، واكتسبت «نظرية المؤامرة» وقتها زخمًا في الغرب، حيث نُظر إلى شركات الأدوية والحكومات على أنها تسعى لتحقيق مصالح مالية على حساب الصحة العامة، إن لم تكن افتعلت الفيروس من أجل استئثارها في بيع اللقاحات من الأساس؛ ناهيك عن المزاعم التي قالت إن اللقاحات احتوت على مواد كيميائية للسيطرة على العقل البشري.

وكما اتضح؛ فالإيمان بـ«نظريات المؤامرة» هو بمثابة فطرة إنسانية لدى المؤمنين بها، سواء كان هؤلاء في بلاد العرب أو بلاد الغرب؛ لكن ما هو متفق عليه تقريباً في كل المجتمعات الغربية بلا استثناء، هو الاعتقاد بوجود تحديات خارجية، ووجود نخبة غامضة تتحكم بالأحداث في الخفاء، فهناك أعداد غفيرة ترى أنها ليست حرة في تحديد مصيرها - رغم سياسات الرفاه المنتشرة في غالبيتها - مما يُعزز نظرية أخرى منتشرة في الغرب، وُلدت من رحم «نظريات المؤامرة» هذه، لكنها أكثر دقة، إنها «نظرية المؤامرة الماسونية»!

\*\*\*

لا يوجد توصيف واحد متفق عليه لـ «الماسونية»، فاللغظ وتضارب الآراء والتأويل هي أول ما يلتفت انتباه أي باحث.

- قد تراها مجرد منظمة أخوية غرضها نشر التحاب والسلام: إذا رأيتها بعيونهم هم، أو كما حاولوا تقديم أنفسهم في بداية نشأتهم..

- وقد تراها بوابة لعالم الغموض والفانتازيا: إذا رأيتها بعيون تلك الكتب التي تعتبرها مادة خامًا للتشويق، والتي تضيف الكثير من الرتوش لنيل إعجاب محبي الألغاز والإثارة، وهي آراء في غالبها لا تستند إلى وقائع حقيقية بقدر ما هي خيالات وبنات أفكار الكُتّاب أنفسهم في بعض المواضع..

- وربما تراها مجرد أكذوبة ووهم، إذا رأيتها من خلال كتب الواقعيين الذي يبغضون «نظريات المؤامرة»..

وبين هذه التعريفات المتناقضة؛ تفق حائرًا متعطفًا لتفسير يُقرب لك الحقيقة، وإذا سألت البعض عن الحقيقة، ربما تتلقى ردودًا مختلفة من شخص لآخر، فبمجرد أن تذكر «الماسونية» في أي نقاش، تتبادر إلى الأذهان فورًا سلسلة من المؤامرات الكبرى والخطط السرية التي ينسجها رجال غامضون بهدف السيطرة على العالم، وفي أحيان أخرى تصبح مجالًا للسخرية والتهكم، بوصفها واحدة من «نظريات المؤامرة» الخيالية التي لا توجد إلا في عقول من يصدقونها، لكن الواقع يقول: «إن للماسونية وجودًا».

وإن سمعتها السيئة جاءت نتيجة الغموض الشديد الذي يحيط بأنشطتها، واعتمادها على رموز وممارسات غريبة، بالإضافة إلى الاختبارات الصعبة التي يمر بها أعضاؤها؛ مما يجعل من الصعب تصديق أن هدفها الأساسي هو نشر السلام والإخاء بين الناس كما يدّعون، لكن السؤال الذي سنطرحه سويًا:

هل الماسونية تحمل كل هذا الشر؟

لا تتعجب إذا أخبرتك أن الكثير من الماسونيين أنفسهم لا يملكون إجابة دقيقة على هذا السؤال؛ فبسبب الغموض والسرية الكبيرة داخل «الماسونية» نفسها، عليك أن تتخيل أن الكثير من الماسونيين أنفسهم لا يعرفون الكثير عن منظماتهم ذات الشهرة العالية، لأن الماسوني الأدنى في التدرج النظامي بها؛ لا تُتاح له سوى المعلومات المسموح له بمعرفتها فقط، وكلما ترقى عرّف أكثر عن هذا العالم الغامض؛ فما بالنابمن هم خارج المنظمة تمامًا، لذلك سنستقي معلوماتنا من:

١- ما هو متاح ومعلن من قبل الماسونيين أنفسهم كي تصحّ المقارنة.

٢- المعلومات البحثية التي وُثقت من خلال أشخاص انشقوا عنها.

٣- أبحاث الباحثين الغربيين في شؤون الماسونية.

٤- كذلك سنهاها بعيون المواطن الغربي سواء كان مؤيداً لها أو محايداً، أو حتى متبنيًا لـ «نظرية المؤامرة» بما فيها من تكهنات واستنتاجات وتخوفات، فمع نظرتنا لـ «الماسونية» بعيون غربية، سنجد أنه منذ ظهور المنظمة للعلن، برزت مئات من نظريات المؤامرة حولها<sup>(81)</sup>، وعادةً ما تنقسم هذه النظريات إلى ثلاث فئات رئيسية:

#### فئات نظرية المؤامرة الماسونية

##### ١- الفئة الأولى: المؤامرات السياسية

تتضمن عادةً مزاعم بالسيطرة على الحكومات، خاصة في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وتُعتبر إحدى أبرز الأفكار فيها أن الماسونيين يهدفون لتنفيذ مخطط «النظام العالمي الجديد» (New World Order)، وهو مصطلح يُستخدم للإشارة إلى مجموعة خفية من القوى التي تسعى لخلق حكومة عالمية واحدة تحت سيطرتها، ويؤمن الكثيرون بأن «الماسونية» تمثل العمود الفقري لهذا النظام، وأن أعضاءها يتمتعون بنفوذ قوي في المجالات السياسية والاقتصادية العالمية، حيث يزعم بعض المؤرخين وأصحاب النظريات؛ أن الماسونيين قد لعبوا دورًا في أحداث عالمية كبيرة مثل الثورات والحروب، ومن أشهر النظريات؛ تلك التي تزعم أن الماسونيين كانوا وراء الثورة الفرنسية وأنهم استخدموا قوتهم لتدمير الأنظمة الملكية وإقامة أنظمة جمهورية في الغرب، بل وفي العالم كله، وأحداث أخرى حساسة سنذكرها لاحقًا.

كذلك يرون أن الدرجة الثالثة والثلاثين من الطقوس الاسكتلندية الماسونية (والتي سنشرحها لاحقًا)، هي درجة خطيرة أكثر من كونها مجرد درجة فخرية، إلى جانب الشعور بالريبة والشكوك لأن معظم الماسونيين من الدرجات الدنيا أنفسهم لا يدركون شيئًا عن هذه الدرجة، وأنها عبارة عن هيئات حاكمة خفية أو سرية داخل منظماتهم، تحكمهم وتتحكم بهم من الأعلى كعرائس ماريونيت صماء، وأن هذه الهيئات تُجري طقوسًا خفية أخرى دونهم، وتتحكم في مناصب مختلفة من السلطات الحكومية العالمية<sup>(82)</sup>، بل يؤمنون بوجود هيئة مركزية عالمية تسيطر على جميع المحافل الكبرى الماسونية؛ وبالتالي؛ فإن جميع المحافل الماسونية في جميع أنحاء العالم رغم اختلافهم الظاهري، يعملون باطنياً بطريقة موحدة دون أن يعلم معظم أعضاء الماسونية أنفسهم.

في العصر الحديث؛ تشير بعض النظريات إلى أن العديد من الشخصيات البارزة في السياسة والاقتصاد هم أعضاء في الماسونية أو يتبعون أجندتها، وتُشير هذه النظريات إلى أن الماسونيين يشغلون مواقع نفوذ في الحكومات والمؤسسات المالية العالمية مثل «البنك الدولي» و«صندوق النقد الدولي».

##### ٢- الفئة الثانية: المؤامرات الدينية

تتضمن هذه الفئة عادةً مزاعم بمعتقدات أو ممارسات معادية للمسيحية والإسلام في الغرب، وُصفت في كثير من الأحيان بأنها نوع من أنواع «عبادة الشيطان»، كما يُرى أن الماسونية تتعامل مع «الغيبات»؛ للإشارة إلى نطاق معين من السحر والتنجيم الذي يتضمن معتقدات شيطانية أو معادية للمسيحية.. وتستند

هذه الأفكار إلى تفسيرات مختلفة لعقيدة الماسونية<sup>(83)</sup>، فالغالبية تعتقد أن للماسونية دينًا خاصًا بها؛ حيث تشترط الإيمان بإله ماسوني فريد، وأن الإيمان بهذا الإله الماسوني يتعارض مع تعاليم المعتقدات السائدة المختلفة، مع التركيز على كونه يتعارض بشكل خاص مع المعتقد المسيحي<sup>(84)</sup>.

٣- الفئة الغالفة: المؤامرات الثقافية

تتضمن عادةً مزاعم بمحاولة السيطرة على التراث الشعبي ووسائل الإعلام والترفيه وغسيل المخ، بالإضافة إلى نظريات مختلفة تركز على تضمين الرموز في أشياء عادية دون أن يشعر سكان العالم، مثل: المنصات الترفيهية الكبرى والبرامج والأنشطة الثقافية، وكذلك أنماط الشوارع والأختام الوطنية وشعارات الشركات، كالهرم على الدولار، وما إلى ذلك. والفئات الثالثة سنشرحهم ونحللهم لاحقًا.

ملخصًا؛ «نظرية المؤامرة الماسونية» تُعتبر جزءًا من مجموعة من النظريات التي تعكس قلقًا مجتمعيًا عميقًا من التغيرات السياسية والاقتصادية الكبرى، التي يعتقد الكثير من مواطني الغرب بأنها خيوط في يد نساجين خفيين، وعلى الرغم من أن هذه النظريات يتسللها بعض الخيالات والتهويلات والتفسيرات غير الدقيقة في بعض الأحيان، إلا أنها تظل جزءًا من الحوار الشعبي في المجتمعات الغربية. وقد أعددتُ لك بابًا كاملًا في نهاية هذا الكتاب، يرصد الأحداث والوقائع التي شملت «نظرية المؤامرة الماسونية»، والتي نُسب غالبيتها لمخطط «النظام العالمي الجديد»، الذي بُرر على أنه من صُنع تلك «القوة الخفية»، والتي تتحكم في مصير سكان الأرض كلهم.

وقبل الوصول لهذه الأحداث، هيا بنا نتجول في تاريخ الماسونية المزعوم منذ بداية أساطيرهم القديمة، من خلال ما يتداوله الغرب أنفسهم سواء كانوا مؤيدين أو معارضين، لنرى الماسونية بعيونهم هم.. نرى الماسونية بعيون غريبة!

\*\*\*

## الفصل الثاني

### مهد الماسونية

#### (الماسونية العملية)

ما معنى مصطلح «ماسوني»؟

يرمز مصطلح «ماسوني» في الوثائق الإنجليزية الرسمية القديمة (التي سنسردها الآن) إلى: «البناء الحر»، وهو إشارة للعامل النحات في الحجر المنحوت أيام العصور الوسطى، سواء كان حجراً رملياً أو حجراً جبرياً، المهم أن يكون خالياً من الحبيبات ومناسباً للبناء الزخرفي، وقد يفهم أيضاً أن صفة «حر» في هذا السياق تشير إلى أن الماسوني ليس مستعبداً أو مقيداً إقطاعياً<sup>(85)</sup>.

ومع البدء في تناول تاريخ «الماسونية»؛ لكي نرتب أفكارنا سوياً يجب علينا وضع خط فاصل للأحداث، وهو (القرن الثامن عشر)، التاريخ المعروف لانفتاح «المحافل الماسونية القديمة» على العالم وإعلانهم عن أنفسهم، وهو التاريخ الفاصل بين التاريخ الأسطوري والتاريخ الحديث المعلوم لهذه المحافل..

ما معنى مصطلح محفل ماسوني؟

كلمة «محفل» تعني: نزل أو ملتقى أو اجتماع يتم فيه التجمع لأجل هدف معين، وغالباً ما يرتبط بالأحداث الرسمية أو الاجتماعية أو الثقافية أو السياسية، الأمر كذلك مع «المحفل الماسوني»، هو اجتماع ذو أسس وقوانين وطقوس، وهو الوحدة التنظيمية الأساسية للماسونية، حيث يجتمع أعضاء الماسونية في هذا المحفل لممارسة طقوسهم ومناقشة شؤونهم وتبادل الأفكار والمعارف، بمعنى ثانٍ: «المحفل الماسوني» بمثابة نادٍ خاصٌّ بأعضاء الماسونية، يجتمعون فيه بشكل دوري لممارسة ومناقشة أمورهم السرية التي تقتصر عليهم كتنظيم، ويتبعون فيه قواعد وطقوساً رسمية خاصة بهم.

نواة المحافل الماسونية

يُعتقد أن المحافل الأولى بدأت كجمعيات للحرفيين البنائين في العصور الوسطى، الذين كانوا يعملون في بناء الكاتدرائيات والهياكل الكبرى ضمن «عصر الفن القوطي» الشهير، والذي بدأ منذ بدايات القرن الثاني عشر، حتى نهاية القرن السادس عشر.

في البداية؛ تجتمع هؤلاء البنائون في تجمعات من أجل ترتيب أعمالهم وتبادل المعرفة المهنية، وفي هذا الوقت الذي اتسم بالنهضة المعمارية، تحولت التجمعات الحرفية بشكل جدي إلى ما يشبه الجمعيات التأمينية التي تكفل المصابين وضحايا المهنة مقابل اشتراكات مادية، مما أكسبها تقديراً وإعجاباً آنذاك؛ بسبب أهدافها النبيلة وتقديرها لنفسها وانغلاقها التام على أعضائها، ومع اكتسابها وجاهة اجتماعية مميزة؛ أخذت شكلاً شبه رسمي عُرف بـ «المحافل الماسونية»، وبشكل سريع؛ استقطبت شخصيات بارزة وملوكاً داعمين، حتى أصبحت لا تقبل الأعضاء إلا بعد إجراءات معقدة، ولا يُعد اجتياز الإجراءات مؤشراً على القبول؛ ففي

النهاية يجب موافقة الأعضاء على العضو الجديد بالإجماع، ولو قام ثلاثة منهم برفضه؛ لن يحق له الانتساب للماسونية للأبد.

ولرصد تفاصيل هذا التاريخ القديم (قبل القرن الثامن عشر)، ستجد أن هناك أغطاً عديدة وأبحاثاً متضاربة غير دقيقة، ومزاعم شفاهية تميل للأساطير، لذلك سنحدد مصادرنا التي سنسرد منها تاريخهم أولاً، قبل أن نحكي ادعاءاتهم التاريخية المثيرة.

\*\*\*

التاريخ المبكر للماسونية انشغل به علماء الماسونية أكثر من غيرهم، ولا يوجد للعلماء المحايدون دور واضح سوى في التعليق والنقد أكثر من التأريخ والتدوين؛ باستثناء القليل من غير الماسونيين الذين عثروا على بعض الوثائق الماسونية وقاموا بتحليلها فيما سيرد ذكره، لذلك ليس بأيدينا سوى دراسة التاريخ المبكر للماسونية من وثائقهم ومزاعمهم هم، لكن لن يمنع ذلك ذكر آراء النقاد والمعارضين في بعض المواضع. كانت اللوائح القديمة لمحافل الماسونيين القدامى عبارة عن وثائق تصف واجبات كل عضو، وكان يُشترط على كل عضو ماسوني وافد القسّم على جزء من هذه اللوائح عند القبول، ولهذا السبب كان لدى كل محفل نسخة من لوائحهم، مكتوبة أحياناً في بداية كتاب المحاضر، وغالباً ما تكون على شكل لفافة مخطوطة منفصلة من الرّق<sup>(86)</sup>؛ قبل أن تحل «الديساتير المطبوعة» محلها مع ظهور المحافل الكبرى بعد عام ١٧١٧م، لكن المحافل القليلة التي ظلت مستقلة في اسكتلندا وأيرلندا الراضية للاتحاد؛ احتفظت باللوائح المكتوبة بخط اليد باعتبارها السلطة التي تتولى الاجتماع كمحفل، وبذلك اعتُبرت هذه اللوائح والمخطوطات المسماة بـ «الديساتير القديمة» أو «الديساتير القوطية»؛ بمثابة وثائق اعتمد عليها باحثو الماسونية كخريطة زمنية لتحديد مهد الماسونية.

بعد تطور المحافل وظهورها بشكل أخوي نظامي عام ١٧١٧م؛ تم الاهتمام بهذه الوثائق النادرة، وظهرت بعض الدراسات التي اعتنت بتدوين قصة «البنائين الأوائل» لتتبع تاريخ الماسونية، وأصبح هناك مصادر وأبحاث أساسية لقراءة تاريخ الماسونية، منها:

ديساتير الماسونيين الأحرار لأندرسون

بعد فترة وجيزة من تشكيل «المحفل الأعظم الأول لإنجلترا» في عام ١٧١٧م واكتسابه زخماً واضحاً، تم تكليف الكاتب والواعظ والكاهن الاسكتلندي الماسوني: «جيمس أندرسون» (حوالي ١٦٩١/١٦٩٠ - ١٧٣٩م)، بهضم هذه المخطوطات التي عُثر عليها في شكل حديث مقبول، ومن خلالها قام بسرد تاريخ متصل ومؤرّخ، مبني على محتويات هذه المخطوطات<sup>(87)</sup>، وهذا هو المصدر الأول. أما مصدرنا الثاني لدراسة تاريخ الماسونية، فهو:

الدراسات الماسونية الحديثة

بعد انتشار الماسونية في القرن التاسع عشر، حاول عدة باحثين تقديم دراسات عن تاريخ الماسونية القديمة في قالب (عقلاني)، نتيجة لاختلاط الأسطورة بشكل كبير في القصة، أشهرهم عمل الطبيب الماسوني وجامع الكتب وهاوي شراء مكتبات الأديرة بعد حصوله على درجات الماسونية، الألماني «جورج كلوس»، حيث نُشرت أول دراسة له عام ١٨٤٧م باسم «تاريخ الماسونية الحرة في إنجلترا وأيرلندا واسكتلندا»<sup>(88)</sup>، تلا ذلك بأعوام قليلة كتابات للقس الماسوني «أدولفوس فريدريك ألكسندر وودفورد» في إنجلترا، وكذلك «موري ليون» في اسكتلندا، ثم قام كبير الشامسة في «المحفل الأعظم بإنجلترا» «ويليام

جيمس هيوغان»، بجمع وتأريخ وتصنيف دساتير المخطوطات القديمة، بمساعدة كبيرة من القس «وودفورد»<sup>(89)</sup>.

من ناحية أخرى؛ في أمريكا نشط الطبيب والمؤلف الأمريكي «ألبرت جالاتين ماكي»، الذي اشتهر بكتبه ومقالاته حول الماسونية، وخاصة «المعالم الماسونية»، حيث بدأت قائمة أعماله المنشورة في عام ١٨٤٤م ب«معجم الماسونية»، وامتدت إلى «موسوعة الماسونية» الضخمة في عام ١٨٧٤م. كما أدى الاهتمام المتزايد والمشاركة في الدراسات الماسونية في عام ١٨٨٦م، إلى تشكيل «محفلة كواتور كوروناتي» في لندن، وهو أول نُزُل مخصص للأبحاث الماسونية<sup>(90)</sup>، والمعروف ب«المدرسة الأصيلة للبحث الماسوني».

المدرسة الأصيلة للبحث الماسوني

في القرن التاسع عشر، تأسس «محفلة كواتور كوروناتي» بلندن، وتحديدًا في عام ١٨٨٦م، (ترجمة الاسم: الأربعة المُتوجون- على اسم الشهداء القديسين الأربعة فيما سيرد ذكره)، كأول محفلة ماسوني مخصص للأبحاث الماسونية<sup>(91)</sup>، أسسه تسعة ماسونيين (تشارلز وارن، وويليام هاري رايلاندز، وروبرت فريك جولد، والقس أدولفوس فريدريك ألكسندر وودفورد، ووالتر بيسانت، وجون بول رايلاندز، والراند سيسون كوبر برات، وويليام جيمس هيوغان، وجورج ويليام سبث) بعد أن حصلوا على إذن في عام ١٨٨٤م، وأصرروا على استخدام نهج قائم على الأدلة لدراسة تاريخ الماسونية، ثم قام عدد من الباحثين الذين أسسوا هذا المحفلة السابق ذكرهم؛ مثل: «وودفورد» و«هيوغان» و«سيث» و«جولد»، ومعهم الماسوني الألماني الشهير الدكتور «بيجمان»، بجمع وتحليل هذه الدساتير القديمة، وهم من أهم مصادر كتابنا هذا عن شرح ودراسة مخطوطات الدساتير القديمة، وقد أسهم هؤلاء الباحثون بشكل كبير في فهم الغرب لتاريخ الماسونية المحدود وتطورها -بحسب ما هو متاح من مصادر<sup>(92)</sup>، حيث اعتمدت استراتيجيتهم - على حد زعمهم - على أن تُحل النتائج الحقيقية محل الكتابات الخيالية للمؤلفين السابقين حول تاريخ الماسونية؛ حتى أصبحوا سببًا فيما يُعرف الآن ب«المدرسة الأصيلة للبحث الماسوني»، (رغم أن دراستهم أساسًا اعتمدت على المخطوطات التي تحتوي على أساطير!).

وبعدما ذكرنا مصدر الدراسة، قبل أن نلقي نظرة على محتويات هذه المخطوطات المثيرة، يجب أولاً معرفة:

الفرق بين «الدساتير الماسونية المبكرة» و«الطقوس الماسونية المبكرة»

الفرق يكمن في طبيعة كل منهما ووظيفتها داخل النظام الماسوني، كلاهما جزء من الهيكل الذي يشكل التنظيم الماسوني، لكنها يخدمان أغراضًا مختلفة.

- «الدساتير الماسونية المبكرة»: هي الوثائق القديمة التي تحتوي على القوانين واللوائح الأولى التي اتبعتها الماسونيون الأوائل، وتوضح الهيكل التنظيمي والأخلاقي للمحافل والقواعد التي اتبعوها في القدم، والتي

بُني على أساسها الماسونية الحديثة، وستتعرف من خلالها على أسرار تنظيم التجمعات القديمة، من حيث القوانين واللوائح، وكذلك أساطير بداية الماسونية.

- أما «الطقوس الماسونية المبكرة»: فتركز على التجارب الروحية والرمزية التي تعزز الفهم الأخلاقي والفلسفي للأعضاء داخل المحفل؛ والممارسات والشعائر التي تتعلق بالانضمام إلى الماسونية والتقدم في درجاتها.. هذه الطقوس تشمل المراسيم السرية والرموز والاحتفالات التي يتم أدائها. وسنبدأ بذكر مخطوطات الدساتير، ثم يليها مخطوطات الطقوس مباشرة، وفي نهاية الباب سنضع ترتيباً زمنياً مختصراً لما زعمته مخطوطات الدساتير والطقوس على حد سواء، بشكل مدمج.

\*\*\*

لن نتمكن من ذكر جميع المخطوطات لعدم الإطالة، بسبب تكرار الأحداث فيها من المخطوطات الأقدم إلى المخطوطات الأحدث؛ لذلك سنذكر أقدمها وأبرزها، أو تلك المخطوطات التي تقدم معلومة جديدة لم تقدمها المخطوطات التي سبقتها، لنستخلص المعتقدات والأساسيات التي بُني عليها دستور وتاريخ الماسونية المزعوم.

مخطوطة قصيدة ريجيوس

«مخطوطة هاليويل»، أو «مخطوطة ريغال»، المعروفة أيضًا باسم «قصيدة ريجيوس»، هي أقدم الوثائق الماسونية وأهمها، وهي عبارة عن قصيدة باللغة الإنجليزية الوسطى<sup>(93)</sup>، على شكل أبيات شعرية مقفاة، لذلك هي مختلفة عن جميع المخطوطات اللاحقة (والتي نجا منها أكثر من مائة مخطوطة) حيث كان غالبيتها بأسلوب النثر.

تتكون المخطوطات غالبًا - بما فيهم قصيدة ريجيوس - من ثلاثة أجزاء رئيسية:

١ - مقدمة دينية

تبدأ المخطوطات القديمة بصلاة أو استحضر الله أو إعلان عام باستدعاء الله، وتقديس العلوم السبعة الحرة:

(المنطق، والنحو، والبلاغة، والحساب، والهندسة، والموسيقى، وعلم الفلك)، وتمجد الهندسة بشكل واضح فوق غيرها.

٢ - تاريخ الحرفة

الجزء الأوسط من المخطوطات هو الجزء التاريخي، الذي يتناول قصة نشأة حرفة البناء من البداية، ووصولها إلى الجزر البريطانية.

٣ - واجبات وأخلاقيات الماسون

يقدم الجزء الأخير مجموعة من القواعد والقوانين التي يجب على الماسونيين اتباعها، وتشمل الأخلاقيات المهنية والسلوك الشخصي، والتي يلتزم الأعضاء بالحفاظ عليها<sup>(94)</sup>.

أصل مخطوطة هاليويل

هذه المخطوطة بالغة الأهمية؛ أصولها غير واضحة، وما يُعرَف عنها فقط هو أنها تنقلت بين عدة أشخاص حتى وصلت إلى «المكتبة الملكية البريطانية»، ثم قام أمين المكتبة «ديفيد كاسلي» بفهرستها عام ١٧٣٤م، وأدرجها تحت وصف: «قصيدة عن الواجبات الأخلاقية»، ثم انتهى الأمر بتبرع الملك «جورج الثاني» بها للمتحف البريطاني في عام ١٧٥٧م، لتكون جزءًا من نواة المكتبة البريطانية.

وطوال هذه السنوات لم تُثر المخطوطة اهتمام الماسونيين (ربما بسبب إدراج ديفيد كاسلي لها على أنها مجرد قصيدة أخلاقية)، حتى خضعت لتحقيق الباحث الإنجليزي في علم شكسبير وعالم الآثار وجامع الحكايات الخيالية: «جيمس هاليويل» (التي سميت على اسمه)، والذي لم يكن ماسونياً على الإطلاق، ثم قام بتحليلها وكتب بحثاً عن «التاريخ المبكر للماسونية في إنجلترا» استناداً إليها، وقدمه في جلسة للجمعية الملكية بين عامي ١٨٣٨ - ١٨٣٩ م، ثم نشر بحثه في عام ١٨٤٠ م، وبناءً على تحليله تم تأريخ المخطوطة بعام ١٣٩٠ م؛ وهو ما أيده بعض الباحثين الماسونيين، بينما اعتقد آخرون أنها ألفت بعد ذلك بخمسين سنة، إلا أن هذا الرأي لم يحظَ بدعم كبير، من ناحية أخرى؛ اعتقد بعضهم أن كاتب هذه القصيدة ربما كان كاهناً<sup>(95)</sup>.

محتوى مخطوطة هاليويل

«مخطوطة هاليويل» (قصيدة ريجيوس)، تتكون من ٦٤ صفحة، وعلى النقيض من أغلب الدساتير القديمة التي كُتبت على لفائف؛ كُتبت «قصيدة ريجيوس» على صفحات من ورق الرق، وبعد تحطيم المقدمة الدينية السائدة التي تستحضر الله ثم تقدر العلوم السبعة، يحتوي منتصفها على معلومات توثيقية مزعومة عن البنائين الأوائل.

١ - قصة أصل الهندسة

تصف هذه القصيدة كيف زور عالم الرياضيات «إقليدس بن برنيقس الإسكندري» مصطلح الهندسة، وأطلق عليه اسم «البناء»؛ من أجل تشغيل أطفال النبلاء في مصر القديمة.

٢ - انتشار حرفة البناء

ثم تروي صفحات تلك القصيدة، كيف انتشر فن الهندسة في بقاع جديدة، وتوضح كيف تم جلب حرفة البناء إلى مدينة «يورك»، ثم عموم إنجلترا في عهد الملك التقي، ابن الملك «إدوارد الكبير»: «أثيلستان» (ملك الأنجلو ساكسون من ٩٢٤ إلى ٩٢٧ م، وملك الإنجليز من عام ٩٢٧ حتى وفاته عام ٩٣٩ م)<sup>(96)</sup>، وتقول إن فن الحرفة وصل في زمانه ما بين أعوام ٩٢٤ - ٩٣٩ م، وتحكي قصة قدوم جميع البنائين في البلاد إلى الملك «أثيلستان» للحصول على توجيهاته الرشيدة بسبب تعلمه حرفة البناء، وتم ربط الماسونية بابنه «إدوين»، الذي لا يعرفه التاريخ بخلاف ذلك، فلا وجود له في السجلات التاريخية على الإطلاق<sup>(97)</sup>.

٣ - الأوامر التأديبية

يتبع ذلك خمسة عشر أمراً تأديبياً، فيما يتعلق بالسلوك الأخلاقي للبناء، منها على سبيل المثال: (لا تؤو اللصوص، لا تأخذ الرشوة، احضر الكنيسة بانتظام، إلخ).

٤ - التعليمات المهنية للبنائين

يأتي بعد ذلك، تعليمات تخص شؤون العمال في موقع البناء مثل:

(لا تجعل عمال البناء يعملون ليلاً، علم المتدربين بشكل صحيح، لا تتولّ وظائف لا يمكنك القيام بها، إلخ).

تلا ذلك؛ بنود توجيهية أخرى تخص الحرفيين، تخللها بعض التحذيرات لمن يُخالفون المراسيم.

٥ - تقديس الشهداء الأربعة

في هذا الجزء التأديبي تُقدس القصيدة «سيرة الشهداء الأربعة»، التي تتعلق بأربعة قديسين مسيحيين غالباً ما يُشار إليهم في التراث المسيحي باسم القديسين الشهداء الأربعة المتوجين).

تروي القصة: أن هؤلاء القديسين كانوا حرفيين مهرة اشتهروا بتفانيهم ومهارتهم العالية في نحت الحجارة، ووفقاً للرواية التقليدية فقد عاش هؤلاء القديسون كمسيحيين سرّيين في الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الرابع الميلادي.

بدأت معاناتهم عندما طُلب منهم نحت تماثيل لإله وثني، كجزء من واجبهم كحرفيين في الإمبراطورية الرومانية؛ لكنهم رفضوا الامتثال لهذا الطلب بسبب إيمانهم المسيحي الذي يمنعهم من عبادة الأوثان أو المشاركة في صنع التماثيل الوثنية. ونتيجة لرفضهم؛ أُمر بإعدامهم، مما جعلهم شهداء في نظر المسيحيين ونظر البنائين الأوائل كذلك؛ حيث تم ربطهم بالماسونية، بل وسُمي على اسمهم «محفلة كواتور كوروناتي» (محفلة الأربعة المتوجين) أول محفل ماسوني مخصص للأبحاث الماسونية، كما سبق وذكرناه<sup>(98)</sup>، وتبنّى بعد ذلك قصتهم البنّاؤون الحجريون في ألمانيا كقديسين شفعاء لـ «البناء العملي»<sup>(99)</sup>.

٦ - الأمثال الأخلاقية والقيم الماسونية

بعد الانتهاء من تخليد سيرة القديسين في هذه المخطوطة، تظهر سلسلة من الأمثال الأخلاقية، مع التركيز على الانضباط والعمل الجاد، والتشديد على أهمية الأخلاق في الحياة اليومية، وتنتهي ببعض عبارات القيم الروحية والتقوى التي يجب أن يتحلّى بها الماسونيون أثناء قيامهم بأعمالهم الحرفية والمعمارية. بعد ذلك بأكثر من ٢٠ سنة؛ ظهرت مخطوطة جديدة تزعم أن تاريخ الماسونية أقدم مما ذُكر، وهي مخطوطة «ماثيو كوك».

مخطوطة ماثيو كوك

«مخطوطة ماثيو كوك» هي ثاني أقدم مخطوطات الماسونية القديمة أو الدساتير القوطية، وأقدم مجموعة معروفة من المخطوطات التي كُتبت بالنشر.

أصل مخطوطة ماثيو كوك

كُتبت كذلك «مخطوطة كوك» على أوراق من الرّق، وجُلّدت في كتاب، ولا تزال تحتفظ بأغلفة البلوط الأصلية، وقد نشرت هذه المخطوطة في دار نشر لندنية عام ١٨٦١م، عندما حررها السيد «ماثيو كوك» لذلك سُميت باسمه في كتالوج المتحف البريطاني).

عندما ترجم «ماثيو كوك» هذه المخطوطة وقع في بعض الأخطاء؛ لذلك رجح الباحثون وقتها أن تاريخها يعود إلى ما بعد عام ١٤٨٢م، ثم خضعت بعد ذلك للبحث من خلال باحث «محفل كواتور كوروناتي الماسوني»: «جورج ويليام سبث» في عام ١٨٩٠م، والذي افترض أن هذه المصادر كانت أقدم بكثير من المخطوطة، ووضع لها تاريخاً افتراضياً يقارب ١٤٥٠م، أي ما يصل إلى أربعين سنة قبل تأريخ «كوك»، وهي وجهة نظر ظلت دون منازع لأكثر من قرن من الزمان<sup>(100)</sup>، بينما افترض المؤرخ «أندرو بريسكوت» أن «مخطوطات ريجيوس وكوك» على حد سواء تعودان إلى أكثر من ذلك بخمسة وعشرين سنة، حيث اعتقد أن تلك المخطوطتين كانتا جزءاً من صراع البنائين في العصور الوسطى لتحديد رواتبهم، وخاصةً بعد قانون عام ١٤٢٥م؛ الذي حظر جمعيات البنائين، وبرر ذلك بأن البنائين سعوا إلى إظهار أن جمعياتهم حصلت على موافقة ملكية من الملك «أثيلسان» قبل ما يقارب خمسمائة عام، وأنهم ادّعوا أن ابنه كان ماسونياً قائداً لهم<sup>(101)</sup>.

محتوى مخطوطة ماثيو كوك

تحتوي على بعض مما ذُكر في «قصيدة ريجيوس»، لكنها أضافت عليها بعض القصص المثيرة، فهي تسرد كذلك صلاة الشكر والاستحضار لله في الافتتاحية، ثم يعدد النص الفنون السبعة الحرة المذكورة آنفاً، مع إعطاء الأولوية للهندسة أيضاً التي تساويها بالبناء، يلي ذلك إضافات مهمة، أولها حكاية «أبناء لامك» كمؤسسين للماسونية.

١ - أسطورة أبناء لامك الماسونية

«أبناء لامك» المذكورون بشكل موسع في «سفر التكوين العبراني»، حيث ذُكر أن «لامك» هو الابن السادس من «آدم»، وحفيد «قاييل بن آدم» ومن نسله (بموازاة نسل شيث بن آدم الذي خرج منه الأنبياء كما هو في جدول الأمم التوراتي، وكما ذكرنا من قبل في كتابي الأرض بعد طوفان نوح).

هو «لامك بن متوشائيل بن محويائيل بن عيراد بن خنوخ بن قاييل بن آدم»، وقد ظهر هو وأبنائه في هذه المخطوطة العتيقة كجزء من السرد التاريخي والأسطوري المتعلق بأصول الماسونية والحرف الهندسية، فوفقاً للمزاعم الماسونية، اشتهر بكونه والد أربعة أبناء (مثلما ذُكر في سفر التكوين تماماً)، لكن تضيف الأسطورة الماسونية أن كلاً منهم كان رائداً في مهنة أو حرفة معينة، حيث ذكر نص المخطوطة أن أبناءه الأربعة (من ظهر قاييل) كانت حرفهم التي ابتكروها كما يلي:

«يوبال»: هو الذي اكتشف الموسيقى، ويُعتبر أباً لكل من يعزف على القيثارة والمزمار، مما يجعله رمزاً للفنون والموسيقى.

«توبال قايين» (أو يوبال قايين): عُرف بكونه أول من عمل في صناعة الأدوات الحديدية والنحاسية، ويُعد رمزاً للحرف المعدنية، وأول من اكتشف علم المعادن وفن الحدادة.

«نعمة» (قال عنها التراث اليهودي إنها امرأة النبي نوح): تقول المخطوطة إنها كانت رائدة في صناعة

الغزل والنسيج؛ مما يربطها بالفنون المنزلية والحرف النسائية.

«يابال» (وفي تراجم أخرى جبل): ارتبط برعي المواشي وصناعة الخيام، لذلك جعلوه رمزاً لحياة البداوة والتنقل، وذكّر أن «يابال» اكتشف الهندسة في وقت مبكر، وأصبح أستاذ البناء لجدّه «قاييل» الذي عاصره؛ بحسب المخطوطة.

ووفقاً للمخطوطة؛ هؤلاء الأبناء تعلموا مهاراتهم من والدهم «لامك»، وبحسب الماسونية؛ يُعتقد أن هذه المهارات كانت أساسية في تطوير الفنون والحرف التي نشأت لاحقاً.. وفي إطار الفلسفة الماسونية، يعتبر هؤلاء الأبناء رموزاً لنقل المعرفة الحرفية عبر الأجيال، وهي الفكرة التي تتماشى مع أهمية التعليم والتدريب في تقاليد الماسونية.

وبحسب الأسطورة الماسونية: بعد اكتشاف أبناء «لامك» أن الأرض ستدمر إما بالنار أو بالطوفان، نقشوا كل معرفتهم على عمودين من الحجر، أحدهما سيكون محصناً ضد النار، والآخر لن يغرق.

٢ - انتقال الحرفة عبر الأجيال

ثم تسرد المخطوطة أن بعد أجيال من الطوفان، تم اكتشاف العمودين، أحدهما بواسطة العالم «فيثاغورس»؛ والآخر بواسطة الفيلسوف «هيرميس» (هرمس)، ثم انتقلت العلوم السبعة من خلال «المنرود» مهندس «برج بابل العظيم»، حتى وصلت الحرفة إلى «إبراهيم» الذي دخل مصر وعلمها للفلاسفة في مصر - بما فيهم إقليدس - الذي قام بدوره بتعليم البناء لأبناء النبلاء كنظام تعليمي، ثم تكمل الأسطورة أن الحرفة وصلت إلى «بني إسرائيل» بمصر، الذين خرجوا منها بعد التقاطهم فن الحرفة، ثم ترجموا ما تعلموه من المصريين على أرض الواقع أثناء بنائهم «هيكل سليمان» بقيادة الملك «سليمان»، ومن «مملكة بني إسرائيل» وصل فن الحرفة بطريقة ما إلى إنجلترا وفرنسا، حيث القديس «ألبان» (المعروف بكونه أول شهيد بريطاني مبجل في المسيحية) ومن بعده القديسون الأربعة (هناك افتراضات تقول إن القديس ألبان منهم)، ثم وصل سر الحرفة لاحقاً إلى الملك «أثيلستان»، كما تذكر المخطوطة أن الابن الأصغر للملك (لم يتم ذكر اسمه في هذه المخطوطة)، كان أول زعيم ومعلم للماسونيين الأوروبيين.

يتبع ذلك تسع مواد وتسع نقاط تأديبية، ثم تنتهي الوثيقة بطريقة مماثلة لسابقتها.

مخطوطة دولاند

تشابه بعض تفاصيل هذه المخطوطة، كتفاصيل الأجرور المذكورة فيها مع مخطوطات أخرى من القرن السادس عشر.

أصل مخطوطة دولاند

ظهرت «مخطوطة دولاند» لأول مرة في مجلة Gentleman's Magazine عام ١٨١٥م، عندما كتب الصحفي «جيمس دولاند» (الذي أطلق المخطوطة على اسمه) مقالاً لقراءه قال فيه:

«أرسل لي خطاب غريب بشأن الماسونية، ووصل إلى حوزتي منذ فترة ليست طويلة، إنه مكتوب على لفافة طويلة من الرق...»  
ثم أخرج محتواها للعلن.

يُعتقد أن هذه المخطوطة عبارة عن وثيقة ماسونية نُسخت في القرن السابع عشر من نص يعود تاريخه ربما إلى حوالي ١٥٥٠م، مما يجعلها (مؤقتاً) ثاني أقدم دستور ماسوني نشري، لكن المصدر الأصلي الذي تم النسخ منه، مفقود التاريخ والهوية بعد فقدانه هو (102).

محتوى مخطوطة دولاند

تشبه المخطوطة في محتواها محتوى «مخطوطة كوك»، حيث تروي أن الماسونية بدأت بتعليمات «إقليدس» في مصر لأبناء النبلاء المصريين، وانتقلت منها إلى بني إسرائيل، ثم تضيف أن «أفنون»، ابن الملك الفينيقي «أحيرام» ملك صور (الذي أمد «سليمان» ببعض الأدوات والمواد اللازمة لبناء الهيكل على حد زعم اليهود)، كان ماسونياً رئيسياً ضمن الماسونيين الذين شاركوا في البناء، كما تتطرق المخطوطة لأسطورة قصة المهندس الكبير «حيرام أبي» (حورام أبييف).

١- أسطورة حيرام أبي الماسونية

«حيرام أبييف» (أو هيرام أبييف، أو ابن الأرملة)، هو الشخصية المركزية في قصة رمزية تُقدم لجميع المرشحين خلال الدرجة الثالثة في الماسونية، بعد ظهور أسطوره ودمجها في تاريخ الماسونية. تقول القصة: إنه كان مبعوثاً من قبل «أحيرام» ملك صور إلى الملك اليهودي «سليمان» ليشرف على بناء هيكله، فاستقبله «سليمان» بترحيب وعينه كمهندس معماري رئيسي ومدير أعمال البناء بمعبده، وهذا يتوافق كلياً مع المذكور في «سفر أخبار الأيام الأول» العبراني:

(وَالآن أَرْسَلْتُ رَجُلًا حَكِيمًا صَاحِبَ فَهْمٍ «حُورَامَ أَبِي»، ١٤ ابْنَ امْرَأَةٍ مِنْ بَنَاتِ دَانَ، وَأَبُوهُ رَجُلٌ صُورِيٌّ مَاهِرٌ فِي صِنَاعَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ وَالخَشَبِ وَالْأَرْجُوانِ وَالْأَسْمَانُجُونِيِّ وَالْكَتَّانِ وَالْقَرْمِزِ، وَنَقَشَ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ النَّقْشِ، وَاخْتَرَعَ كُلَّ اخْتِرَاعٍ يُلْقَى عَلَيْهِ، مَعَ حُكْمَائِكَ وَحُكَمَاءِ سَيِّدِي دَاوُدَ أَبِيكَ) (103).

وبسبب هذه المخطوطة؛ اشتهرت الشخصية في التقاليد الماسونية التي تقدمه باعتباره المهندس الرئيسي لمعبد الملك «سليمان»، حيث تقول الأسطورة الماسونية: إنه بعد أن تم البناء المذهل، هاجمه ثلاثة من العمال أثناء مغادرته للمبنى مطالبين بأسرار الحرفة، وفي كل مرة رفض فيها الكشف عن المعلومات؛ ضربه أحد المهاجمين الثلاثة بأداة البناء الخاصة به، وقد أصيب على يد المهاجمين الأولين، وضربه المهاجم الأخير بمطرقة الضربة التي طرحته ميتاً (104).

يستمر سرد الأسطورة في وصف كيف أخفى قتلته جثته تحت كومة من الأنقاض، وعودتهم ليلاً لنقل الجثة خارج المدينة من أجل إخفاء جريماتهم.. ونسبة للأسطورة، فقد دفنوه بقبر ضحل وعلموه بغصن من

شجرة أكاسيا مُهمّلة، وفي اليوم التالي؛ اكتشف «سليمان» غيابه، فأرسل مجموعة من البنائين للبحث عنه، فتم اكتشاف شجرة الأكاسيا السائبة عن طريق الخطأ، وبالصدفة اكتشفوا جثته، وتم استخراجها لدفنها بشكل لائق، ثم أمر «سليمان» بالبحث عن القتلة حتى تم العثور على مخبئهم؛ ومن ثمّ تقديمهم للعدالة، حينها أعلن «سليمان» أمام الجميع أن الكلمة السرية لأحد البنائين الرئيسيين قد ضاعت الآن (لم تُحدد كلمة السر في النص)، ثم استبدلها بكلمة بديلة اعتُبرت سرّاً بين الماسونيين.

في «الماسونية القارية» أحد أفرع الماسونية، التي احتضنتها فرنسا - فيما سيرد ذكره - تختلف القصة قليلاً: حيث زعموا أن الكلمة السرية لم تُفقد، لكن «سليمان» أمر بدفنها تحت الهيكل، ونقشها على «قبر حيرام»، وفي هذه النسخة غالباً ما يتم تغيير اسم «حيرام» إلى «أدونيرم»<sup>(105)</sup>.

وبحسب المخطوطة؛ انتقل فن الحرفة من «سليمان» إلى إنجلترا وفرنسا، وتحديدًا إلى القديس «ألبان» كما ذكرت المخطوطات السابقة، ثم عانى علم الصنعة سنوات بسبب الحروب التي أعقبت استشهاد «ألبان»، لكنه لمع مجددًا وتم إحياء الحرفة على يد الملك «أثيلستان» وابنه المسمى الآن «إدوين» (في هذه المخطوطة تم تسميته)، وتقول المخطوطة إن «إدوين» كان خبيرًا بالهندسة، وحصل على ميثاق والده لعقد جمعية سنوية للبنائين في يورك<sup>(106)</sup>، وللتذكرة مجددًا؛ «إدوين» ليس له وجود بالسجلات التاريخية على الإطلاق!

٢ - أسطورة ماموس جريكوس

تضيف هذه المخطوطة قصة أخرى لشخص بنّاء غامض يُدعى «ماموس جريكوس»، يُشار إليه على أنه عالم أو حكيم يوناني، لعب دورًا محوريًا في نقل وتطوير العلوم الهندسية والهندسة المعمارية، هناك نوع من الغموض حول هويته، لكن يُعتقد أن اسمه قد يكون تحريفًا لاسم فيلسوف أو عالم يوناني حقيقي، ربما كان مرتبطًا بتقنيات البناء القديمة أو الحكمة الفلسفية!

ووفقًا للمخطوطة؛ كان «ماموس جريكوس» جزءًا من سلسلة من الشخصيات التاريخية والأسطورية التي نقلت المعرفة الهندسية والفنون المعمارية عبر العصور، ويُعتقد أن له دورًا كبيرًا في نشر المعرفة بين الماسونيين الأوائل، بما في ذلك المهارات الهندسية التي كانت تُستخدم في بناء الهياكل العظيمة في ذلك الوقت.

يستشهد الماسونيون بما ذُكر في تلك المخطوطة على أنه ارتباط واضح بفكرة أن المعرفة القديمة لم تكن مقتصرة على حضارة واحدة، بل كانت تُنقل وتُطور عبر الأجيال والثقافات؛ معززين بذلك روح العالمية للماسونية، خاصة وأن المخطوطة تُبرز دور «ماموس جريكوس» باعتباره شخصية محورية لدى الماسونيين، أسست الانتقال المعرفي، ورمزًا للالتقاء بين الحضارات ونقل الحكمة من اليونان القديمة إلى العالم المسيحي في العصور الوسطى، فإلى جانب ذكره بأنه أبرز المشاركين في بناء «هيكل سليمان»؛ تتحدث عنه المخطوطة عن أنه هو الذي علّم «تشارلز مارتيل» فن البناء وسر الصنعة؛ قبل أن يصبح ملك فرنسا، وبذلك هو الشخص الأول الذي جلب فن البناء إلى أوروبا؛ على حد زعمهم<sup>(107)</sup>.

ظهرت هذه المخطوطة في «وثائق هيوغان القديمة»، وهي وثائق عبارة عن مجموعة من النصوص والمخطوطات التي جمعها الباحث الماسوني: «ويليام جيمس هيوغان» من «محفل كواتور كوروناتي للأبحاث الماسونية».

أصل مخطوطة المحفل الكبير رقم ١

ما يميز هذه المخطوطة أنها تحتوي على تاريخ واضح، وهو ٢٥ ديسمبر ١٥٨٣ م، وهي عبارة عن وثيقة على شكل لفافة من الرق، اشتراها «المحفل الكبير المتحد لإنجلترا» عام ١٨٣٩ م من حفيذة زوجة الماسوني البارز «توماس دونكيرلي» (١٧٢٤ - ١٧٩٥ م)، مقابل خمسة وعشرين جنيهًا إسترلينيًا.

محتوى مخطوطة المحفل الكبير رقم ١

تتشابه محتوياتها مع محتويات «مخطوطة دولاند» لكن مع بعض الإضافات والتعديلات الطفيفة وإضافة بعض الرموز.

١ - الأساطير الماسونية

تقدم هذه المخطوطة نفس السرد المتبع لأساطير أصول الماسونية، بما في ذلك ربط الماسونية ببعض الشخصيات التاريخية أو الأسطورية مثل الملك «سليمان»، مع تكرار قصة نفس البناء الغامض المذكور في «مخطوطة دولاند»، لكن بتحريف طفيف في الاسم؛ حيث ذكرته باسم: «نايموس جريكوس»<sup>(108)</sup>، كذلك أضافت على هذه الأساطير قصة «طوفان نوح».

٢ - نوح وأصل النظام النوحى

من هذه المخطوطة؛ استمدت بعض الفروع الماسونية قصة «طوفان نوح»، وظهر فيها ما يسمى بـ «نظام نوح» (Noachite Rite)، حيث تدعى هذه المخطوطة أن «نوح» هو الأب الرمزي للحكمة القديمة التي حفظتها الماسونية، وأنه الشخص الذي حفظ أسرار الهندسة والعلوم القديمة وأنقذها من الطوفان من خلال بناء السفينة؛ لذلك ارتبط اسمه بتقليد يُعرف باسم «النظام النوحى» أو «الماسونية النوحية».

٣ - الرموز الماسونية

كذلك تُشير المخطوطة إلى استخدام الرموز والشعارات التي تُعتبر جزءًا من الطقوس الماسونية آنذاك، هذه الرموز كانت تمثل القيم الأساسية مثل الإخاء، العدالة، والعمل الجاد (من وجهة نظر المخطوطة). وهي تشكل جزءًا من هوية الماسونية الحديثة، كما تؤكد على استخدام الماسونيين القسم على كتاب مقدس<sup>(109)</sup>.

هذا بالنسبة لأشهر وأهم الدساتير الماسونية الأم، أما بالنسبة للطقوس الماسونية المبكرة فشرحها كما يلي:

\*\*\*

في حين أن هناك أكثر من ١٠٠ مخطوطة تتحدث عن الدساتير القديمة، عرفنا من خلال أشهرها بعضًا من تاريخ الماسونية الأسطوري المزعوم؛ فعلى العكس سنجد الوثائق التي تُفصّل الطقوس والرموز والدرجات الفعلية وتشرحها بوضوح نادرة للغاية، وربما كان السبب في عدم تدوين هذه الطقوس القديمة ومعاملتها بأهمية؛ أن هناك مجموعة متنوعة من الطقوس المختلفة للماسونية الحرفية القديمة، فكل ولاية قضائية ماسونية قديمة كانت حرة في توحيد (أو عدم توحيد) طقوسها الخاصة دون قانون ثابت يحكم الطقوس، ورغم ذلك أوضحت بعض المخطوطات والوثائق تشابهًا محدودًا في هذه الطقوس سنتناولها سويًا، لكن بعد وضع ملحوظة مهمة:

- بالنظر لمخطوطات الطقوس القديمة، سنجدتها تقدم معلومات متقطعة عن طقوسهم الأولى، بعكس مخطوطات الدساتير السابقة التي تقدم تاريخًا مزعومًا متصلًا نسبيًا؛ لذلك سندمج محتوى المخطوطات الطقسية والرمزية في موضوع مكتمل ومتصل بدلاً من ذكرهم متقطعين؛ منعًا للإسهاب؛ لكن هذا لا يمنعنا من أخذ فكرة مبسطة عن أشهر هذه المخطوطات، ومعرفة أصولها.

قوانين راتيسبون

صيغت «قوانين راتيسبون» لأول مرة بصورتها المبدئية في ٢٥ أبريل ١٤٥٩م؛ كقواعد للبنائين الألمان، عندما اجتمع سادة المحافل العاملة في راتيسبون<sup>(110)</sup> بالإمبراطورية الرومانية المقدسة (لذلك سميت القوانين باسم قوانين راتيسبون)، لينتخبوا سيد أعمال «كاتدرائية ستراسبورغ» كرئيس دائم لهم، حيث كانت ستراسبورغ معترفًا بها بالفعل باعتبارها «المحفل الأكبر للبنائين الألمان»، ثم انعقدت الجمعية العامة مرة أخرى بين اعوام ١٤٦٤ و ١٤٦٩م، ووافق الإمبراطور الروماني المقدس «ماكسيميليان الأول» مؤخرًا على القوانين بشكل رسمي في عام ١٤٩٨م، ونظم الشكل النهائي للقوانين نشاط أساتذة البناء، مع ملحق للقواعد الخاصة بالرفاق أو الزملاء والمتدربين<sup>(111)</sup>.

هذه القوانين كانت تتعلق بتنظيم عمل البنائين والحرفيين: مثل تحديد الأسعار والأجور، والجودة ومواعيد العمل، ونقل المعرفة الحرفية والأخلاقيات المهنية، وتم استخدام لوائح هذه القوانين لأكثر من قرن من الزمان، عمل خلالها «محفل ستراسبورغ» كمحكمة لتسوية نزاعات البنائين، بعد ذلك تم تقييد صلاحيات المحفل بسبب اتهامه بإساءة استخدام السلطة، وألغى القضاة هذا الامتياز في عام ١٦٢٠م، ثم ضمت فرنسا ستراسبورغ في عام ١٦٨١م، إلى أن حُظر حكمها على المحافل الألمانية العاملة في بداية القرن الثامن عشر<sup>(112)</sup>.

مخطوطة سجل إدنبرة هاوس MS لعام ١٥٩٨م

«سجل إدنبرة هاوس MS الأول»: هي إحدى وثائق سجل إدنبرة هاوس الماسونية باسكتلندا، وتُعتبر مصدرًا مهمًا يحتوي على نصوص وطقوس ماسونية قديمة، أهمها ما يُعرف بـ «قوانين شاو»، التي ساهمت في

فهم تطور الماسونية وتقاليدها في العصور الوسطى.

قوانين شاو

التحق الملك «جيمس تشارلز ستوارت» (١٥٦٦-١٦٢٥م)، (المعروف بجيمس السادس على اسكتلندا، والأول على إنجلترا وأيرلندا بعد توحيد التيجان الإنجليزية والاسكتلندية عام ١٦٠٣م)؛ بالماسونية في بدايات القرن السابع عشر، وفي هذا الوقت اقترح «ويليام شاو» سيد أعمال الملك، والمشرف العام على جميع محافل البنائين الاسكتلنديين - لذلك سُميت باسمه - مشروع قوانين تنظيمية، جعله من الأوائل الذين قاموا بإضفاء الطابع الرسمي على عمل المحافل الاسكتلندية، ونُفذ مشروعه في مجموعتين من القوانين تم وضعها ما بين ٢٨ ديسمبر ١٥٩٨م وبداية ١٥٩٩م، وقد قَدَّر الماسونيون إنجازَه، كما وُصِّفه العلماء والباحثين بـ«والد الماسونية الحديثة»<sup>(113)</sup>.

صدرت «قوانين شاو» من إدنبرة<sup>(114)</sup>، حيث يبدو أن «شاو» التقى بممثلي المحافل من وسط وشرق اسكتلندا لصياغة هذه المبادئ التنظيمية، ثم فرضت هذه القوانين على الماسونيين أن يكونوا مخلصين لبعضهم، وأن يعيشوا معاً في خيرية كما يليق بالإخوة والرفاق في الحرفة، واستدعى التعريف القانوني للأخ باعتباره الشخص الذي يلتزم به شخص آخر من خلال التعهد بالقسم.. تبع ذلك توجيهات بشأن تنظيم الحرفة، وأحكام لقادة كل محفل لانتخاب حارس يتولى مسؤولية المحفل كل عام.

مخطوطة سجل إدنبرة هاوس MS لعام ١٦٩٦م

«مخطوطة سجل إدنبرة هاوس MS الثانية»، هي واحدة من أقدم الوثائق الماسونية المعروفة، وأهميتها تكمن في احتوائها على نصوص تصف الطقوس والتعاليم الماسونية في تلك الفترة، وتوضح كيف تطورت الماسونية بعد تطبيق «قوانين شاو»، كما تُركز بشكل خاص على «الماسونية العملية»، التي كانت مرتبطة بالبناء والحرف قبل أن تتحول الماسونية إلى شكلها الحديث كحركة فلسفية واجتماعية.

المخطوطة تحتوي على عدة نقاط مثيرة للاهتمام:

كطقوس قبول الأعضاء الجدد: من خلال ذكر الأسئلة والأجوبة التي كانت تُطرح على المرشحين، وهو ما يُعرف بـ«الامتحان» الماسوني، وغالبًا ما يكون شكل الإجابات مجازيًا للغاية.

الأسرار الماسونية: تشمل أيضًا الإشارة إلى بعض الرموز والشفيرات السرية غير الموضحة.

التعاليم الأخلاقية: المخطوطة تتحدث عن القيم التي كان يجب أن يتحلى بها البنائون، مثل الأمانة والإخلاص.

إحدى السمات البارزة في هذه المخطوطة أنها تُعتبر من أوائل الأدلة المكتوبة التي تشير إلى أن الماسونية في تلك الفترة بدأت في التأقلم والاستعداد للتحويل من الحرفية إلى الرمزية، حيث احتوت على عناصر رمزية وفلسفية أصبحت فيما بعد جزءًا أساسيًا من الماسونية الحديثة، مثل مفهوم «الهيكل الداخلي» و«البناء

الروحي» (115).

مخطوطة هوجفوت

تعتبر كذلك من أقدم الوثائق الماسونية التي تسلط الضوء على نشاط الماسونية في أوائل القرن الثامن عشر، ويُعتقد أن هذه المخطوطة توثق أحد أقدم الاجتماعات الماسونية المكتوبة باللغة الإنجليزية، مما يجعلها ذات أهمية كبيرة لدراسة تطور الماسونية كحركة.

كانت هوجفوت قرية صغيرة تتكون بشكل أساسي من نقطة انطلاق للخيل والعربات على الحدود الاسكتلندية، وفي هذا الموقع تم تأسيس محفل في عام ١٧٠٢م، من قبل رجال كانوا في الغالب من مُلاك الأراضي المحليين، وتكمن أهمية هذا المحفل في حقيقة أن بعض أعضائه لم يكونوا من عمال البناء، مما يؤكد أن الماسونية الرمزية الحديثة تطورت بشكل كامل في اسكتلندا قبل ظهور السلطة المركزية في شكل المحافل الكبرى.

أبرز محتويات مخطوطة هوجفوت:

توثيق اجتماع ماسوني: المخطوطة تسجل حدثاً يعود إلى عام ١٧٠٢م في قرية هوجفوت، وتوثق أول اجتماع معروف رسمياً للماسونيين خارج المدن الكبرى، مما يشير إلى انتشار الماسونية في المناطق الريفية أيضاً. أقدم سجل لقبول أعضاء غير عاملين: واحدة من أهم ما تتضمنه المخطوطة هو قبول أفراد لم يكونوا مرتبطين بحرفة البناء، وتحول التنظيم إلى تنظيم فلسفي واجتماعي أيضاً بعدما كان مجرد جمعية عمالية.. هذا النوع من العضوية الجديدة أدى إلى توسع تأثير الماسونية ليشمل طبقات اجتماعية متنوعة، كإشارة إلى بداية التحول الفكري في الماسونية، حيث بدأت تصبح أكثر اهتماماً بالفلسفة والأفكار الروحية والأخلاقية، مع المحافظة على بعض من تقاليد المرتبطة بالبناء (116).

مخطوطة إيرلي

هي الأخرى تُعتبر واحدة من الوثائق الماسونية القديمة التي تلقي الضوء على الممارسات المبكرة والتطورات في الحركة الماسونية خلال أوائل القرن الثامن عشر، تم اكتشاف «مخطوطة إيرلي» في عام ٢٠٠٠م؛ بواسطة الدكتورة «هيلين دينجول» أثناء قيامها بأبحاث في دار سجل إدنبرة (التي أُعطي اسمها لمخطوطات الطقوس المشار إليها أعلاه) في الأرشيف الوطني لاسكتلندا.

من بين جميع مخطوطات المدرسة الاسكتلندية؛ فإن أصول «مخطوطة إيرلي» فقط هي المعروفة على وجه اليقين، حيث إنها محددة التاريخ والمكان وكذلك الملكية، فقد تم تسميتها على اسم العائلة التي كانت تمتلكها «إيرلز إيرلي»، لذلك اعتبرها الباحثون ذات أهمية كبيرة في فهم أصول الماسونية قبل عصر «المحافل العظمى ١٧١٧م»، وكانت محط اهتمام كبير لدى المحفل الماسوني الأول للأبحاث الماسونية «محفل كواتور كوروناتي» بلندن، وقاموا بتحليلها ومناقشتها في المجلد ١١٧ (117).

أبرز محتويات مخطوطة إيرلي:

الطقوس والرموز الماسونية: تحتوي المخطوطة على تلميحات لبعض الطقوس الماسونية المبكرة، بما في ذلك مصافحات وإشارات سرية تبدو مشفرة، كانت تُستخدم للتعرف على الأعضاء، هذه الطقوس التي كانت تُعد جزءاً من «الأسرار الماسونية»؛ استمرت لتصبح جزءاً جوهرياً من تقاليد الماسونية الحديثة. المفاهيم الفلسفية والأخلاقية: المخطوطة تتناول بعض الجوانب الفلسفية والأخلاقية التي كانت تُدرّس داخل المحافل الماسونية، وتؤكد هي الأخرى على تحوّل الماسونية من العملية إلى الرمزية والفلسفة الروحية، وهو ما ساهم في جذب أعضاء من خلفيات غير حرفية. الهيكل التنظيمي: تقدم المخطوطة نظرة محدودة عن كيفية تنظيم المحافل الماسونية وإدارة الاجتماعات.

مخطوطة كلية ترينيتي، دبلن

المخطوطات السابقة؛ هي وثيقة ماسونية مهمة، لكنها اكتُشفت بأيرلندا، وتعتبر جزءاً من مجموعة المخطوطات التي تسلط الضوء على التقاليد والطقوس الماسونية في بدايات القرن الثامن عشر، وهي أيضاً جزء من المدرسة الاسكتلندية التي تأثرت بها أيرلندا (118)(119).

أبرز محتويات مخطوطة دبلن:

الطقوس الماسونية: المخطوطة تحتوي على وصف محدود لطقس قبول الأعضاء الجدد في المحافل الماسونية، الذي تضمن أسئلة وأجوبة للعضو الجديد، وتفاصيل عن كيفية التعرف على الماسونيين الآخرين باستخدام إشارات سرية ومصافحات محددة مشفرة غير معلن عنها بكل وضوح. الأسرار والرموز: مثل غيرها من المخطوطات الماسونية، تلمح إلى رموز وأسرار ماسونية كانت تُستخدم للتواصل بين الأعضاء.

التعاليم الأخلاقية: المخطوطة تتحدث أيضاً عن القيم الأخلاقية التي كانت تُعد أساساً للماسونية.. هذه القيم كانت تُنقل عبر الطقوس والرموز؛ مما يعكس الجانب الفلسفي للحركة الماسونية في تلك الفترة. التنظيم الداخلي: المخطوطة تعطي فكرة عن كيفية تنظيم المحافل الماسونية في أوائل القرن الثامن عشر؛ حيث يظهر فيها تقسيم الأدوار والمسؤوليات بين الأعضاء، وهذا يعكس تطور هيكلية الماسونية كتنظيم سيتحول للإدارة بشكل دقيق.

مخطوطة جراهام

«مخطوطة جراهام»، التي ترجع إلى حوالي عام 1725م؛ لا تقل أهمية عن سابقتها، بالإضافة إلى أنها تحتوي على سرد غير تقليدي لقصة رمزية جديدة، مما يجعلها جزءاً مهماً من التاريخ الماسوني. أبرز محتويات مخطوطة جراهام:

في هذه المخطوطة تم تقديس «نوح» في طقس خاص به، هذا ذكرناه من قبل، لكن ما هو الجديد؟

الجدید أن «نوح» حل محل أسطورة «حیرام أبیف» صاحب أسرار البناء في «هیكل سلیمان»، فتقول المخطوطة إن كلمة السر دُفنت مع جسد «نوح» وليس «حیرام»، لذلك نبش أبناءه الثلاثة «سام» و«حام» و«یافث» قبره؛ بحثًا عن أمل معرفة بعض الأسرار، يُذكر «حیرام أبیف» هو كذلك في المخطوطة؛ ولكن فقط باعتباره الحرفي الرئيسي ل«سلیمان» ولم يكن مالك أسرار المهنة، واستوحت المخطوطة قصته من قصة «بصلئیل» أثناء تنفيذه لرؤية النبي «موسی» لبناء هیكل الله.

قصة بصلئیل بن أروي

هو الحرفي الرئيسي للبناء في الهيكل الذي أمر ببنائه «موسی» للعبادة، المذكور في سفر الخروج باسم «بصلئیل بن أروي بن حور» من سبط «یهودا بن یعقوب»، والذي ساعده «أهولیب بن أخيساماك» من سبط «دان بن یعقوب» حيث يقول السفر:

(وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا:

٢ «انظر. قَدْ دَعَوْتُ بَصَلَّيْلَ بْنَ أُورِي بْنِ حُورٍ مِنْ سِبْطِ يَهُودَا بِاسْمِهِ ٣، وَمَلَأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ ٤، لِاخْتِرَاعِ مُحْتَرَعَاتٍ لِيَعْمَلَ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ ٥، وَنَقَشِ حِجَارَةَ اللَّتْرِصِيعِ، وَنِجَارَةَ الخُشْبِ، لِيَعْمَلَ فِي كُلِّ صَنْعَةٍ ٦، وَهَا أَنَا قَدْ جَعَلْتُ مَعَهُ أَهُولِيَابَ بْنَ أَخِيسَامَاكَ مِنْ سِبْطِ دَانَ. وَفِي قَلْبِ كُلِّ حَكِيمٍ الْقَلْبِ جَعَلْتُ حِكْمَةً، لِيَصْنَعُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكَ) (120).

يصف سفر الخروج اختياره كحرفي رئيسي مسؤول عن صنع الأدوات اللازمة للهيكل الذي أمر ببنائه «موسی» للعبادة، واشتهر «بصلئیل» بمهارته في الصناعات الدقيقة؛ فصنع الأدوات اللازمة للهيكل، كما يُنسب له صناعة «تابوت العهد»، وتروي الفصول ٣٦ إلى ٣٩ عملية البناء التي قام بها «بصلئیل» و«أهولیب» وكل حرفي موهوب وعامل راغب وفقاً للرؤية، وهذا الإدخال الجديد لاسمه؛ اعتمده «أندرسون» في دساتيره أثناء تجميعه تاريخ الماسونية (121)، كما تحتوي المخطوطة على سرد رمزي ل«قيامه هرمز».

قيامه هرمز

«قيامه هرمز»؛ رمز يُشير إلى إحدى الشخصيات القديمة التي ارتبطت بالأساطير والرموز الماسونية، وهي لا تتعلق بالشخصية الفارسية الشهيرة «هرمز» أو «أهورامزدا» من الميثولوجيا الزرادشتية؛ بل هي رمز ماسوني مميز يعكس التركيز على القيامة والبعث في إطار الطقوس الماسونية الرمزية.

هذه القصة تتحدث عن بعث واستحضار أحد البنائين القدماء أو أحد الشخصيات المرتبطة بالمعرفة السرية أثناء الطقوس، والتي يمكن أن تكون مشابهة لقصة «حیرام أبیف»، وسواء كان لها وجود أو لا؛ فالتفسير الرمزي للقيامه في هذا السياق يُشير إلى إحياء الحكمة أو المعرفة الضائعة التي تمثلها هذه الشخصية

من وجهة نظر الماسونيين، لكن مع التدقيق ستجد قيامة هرمز تُشير بنسبة كبيرة أيضًا إلى الإله «هرمس» (Hermes)، ففي السياق الماسوني وقيامه هرمز؛ فإن إعادة إحياء هرمز تعني إعادة التركيز على الحكمة والفلسفات القديمة التي كانت مرتبطة بالإله هرمس أو الهيرميتيكية. هذا يشمل تعاليمه حول الأسرار الروحية، الحكمة الخفية، والعلوم القديمة، التي تمثل الأساس للعديد من المبادئ التي تستند إليها الماسونية، بالتالي؛ قيامه هرمز ليست مجرد إعادة سرد تاريخية أو دينية، بقدر ما هي فلسفية وروحية ومحاولة لاستلهاام تلك الفلسفات القديمة واستخدامها لتعميق الفهم الروحي والرمزي بين أعضاء الماسونية - من وجهة نظرهم، وهو موضوع له دلالات مهمة في الفلسفة الماسونية، كرمزية البحث عن النور (المعرفة) والحقائق الروحية، التي يمكن أن تُفهم من خلال الطقوس والرموز الماسونية، ففي الماسونية؛ يتم استخدام رموز مثل الموت والبعث للدلالة على التحول الروحي أو التنوير، و«هرمز» في هذا السياق يمثل هذا التحول، حيث إن موته وقيامته يُعبّران عن تجديد الحياة الداخلية والبحث عن الحكمة الخالدة.

ومما ذُكر، يتضح أن «مخطوطة جراهام» تميزت بإشارات جديدة، أهمها اهتمامها بالقيامه والرموز المسيحية، وهي إشارة غير تقليدية في المخطوطات الماسونية الأخرى من نفس الفترة، وكذلك توضح التدرج في الطقوس وكيف أن الأعضاء كانوا يتدرجون في المراتب داخل المحفل، ومع كل درجة جديدة كانت هناك رموز وطقوس تُضاف إلى معرفتهم، وهذا التدرج هو جزء أساسي من الهيكل الماسوني حتى اليوم.

والآن دعنا نتعرف على ما يمكن معرفته من الطقوس والرموز والدرجات التي حملتها المخطوطات القديمة.

\*\*\*

من خلال ما ذُكر في هذه المخطوطات؛ قام الباحثون بتجميع بعض المعلومات التي غزلت خيوطها في نسيج يوضح بعضاً من ملامح الماسونية القديمة، (التي تطورت مع الزمان حتى الوصول لعام ١٧١٧م ثم عام ١٧٢٣م، والتي تحولت فيه الماسونية إلى الرمزية) من خلال الطقوس التي حملت أوجه التشابه بين الولايات القضائية حتى بدايات القرن الثامن عشر.

أولاً الطقوس

١ - الامتحان

كان على المتدرب الجديد أن يجتهد سبع سنوات قبل قبوله في المحفل، وبعد أن يتمها، يُسَمَح له بالانضمام إلى المحفل لخوض الخطوة الأولى في الطقوس، وهي خطوة «الامتحان». يُطرح على الوافد أسئلة محددة حول فهمه المبدئي للماسونية وقيمها، وكان الامتحان يهدف إلى معرفة إن كان المرشح يمتلك القدرة على الحفاظ على الأسرار والاستعداد للالتزام التام أم لا. الأسئلة عادةً ما كانت مرتبطة بالرموز والأسرار؛ والولاء المطلق للمحفل، وفي الماسونية القديمة: فإن الفشل في الإجابة بشكل صحيح لا يعني الرفض؛ لكنه كان يكشف نقاط الضعف التي يجب عليه العمل لتحسينها.

٢ - أداء القسم

الإجراء الأول هو أداء القسم، وأول قسم مسجل لم يظهر إلا في عام ١٦٩٦م؛ في «مخطوطة سجل إدنبرة» السابق ذكرها، في شرحها لواحدة من أقدم الطقوس المعروفة باسم «المدرسة الاسكتلندية» (122). وسواء أكان القسم موجوداً منذ القدم ولم يُسجل أم منذ هذه الفترة فقط، في القرن الثامن عشر؛ كانت المحافل في معظم الولايات القضائية الماسونية القديمة مع افتتاحها يتم عرض الكتاب المقدس للقسم عليه، وبعد تطور الأمر وزيادة المريدين من كل المعتقدات بعد ذلك، تم إضافة عرض القرآن والتناخ والفيدا، وأي نص مقدس مناسب آخر في المحافل التي تضم أعضاء من ديانات مختلطة (يُعرف في بعض الطقوس باسم مجلد القانون المقدس)، (وفي بعض المحافل الفرنسية والقارية الأخرى التي ستقبل الملحدين، استُخدمت الدساتير الماسونية بدلاً من ذلك) (123).

٣ - تلقين المصافحة السرية

بعد القسم؛ يتم تقديم المبتدئ إلى الطقوس.. أهم هذه الطقوس المذكورة في الولايات القضائية القديمة هو طقس «المصافحة السرية»، لم يُشر إلى تفاصيلها بوضوح في المخطوطات، فلا يُعرف شيء عنها، بعض المصادر غير الرسمية التي تطرقت إلى الطقوس الماسونية أشارت إلى أن هذه المصافحات قد تشمل حركة اليد بزواوية معينة أو ضغطاً محددًا بالأصابع، حيث يقوم العضو الماسوني باستخدامها أثناء المصافحة للإشارة

إلى الدرجة أو المرتبة التي يحملها، ومع ذلك تبقى هذه المعلومات غامضة جزئياً بسبب حرص المحافل الماسونية القديمة على عدم الإفصاح عنها رسمياً كجزء من نظامها السري (الأمر مستمر كذلك حتى الآن) كطريقة للتعرف على الماسونيين الآخرين في أي مكان بالعالم دون الحاجة إلى الكلمات.

٤ - الأسئلة والأجوبة

بعد تلقين المصافحة؛ يتم تقديم العضو الجديد إلى «الأسئلة والأجوبة»، وهي مجموعة من العبارات التقليدية وغالباً ما تكون على شكل شعارات ثابتة أو أنشودات، يتعلمها العضو ليردها في المحافل.. ويُرجَّح أن الأسئلة والأجوبة كانت مجازية جداً، غالباً ما تكون غامضة وكأنها كلمات سر، لكنها تحمل في طياتها رموزاً تعكس مبادئ الماسونية، وغالباً ما كان هذا التعلم بالحفظ عن ظهر قلب، وفقاً لتنسيق طقسي منوع بين الولايات.

ثانياً الرموز

مع قبول العضو الجديد؛ كانوا يشجعون في مساعده لفهم معاني الرموز الماسونية التي كانت تملأ المحفل. هذه الرموز لم تكن مجرد إشارات بصرية، بل كانت أدوات لتعليم الأعضاء أعمق القيم والمفاهيم الخاصة بهم كتنظيم، ففي كل محفل كانت هناك أدوات بناء منتشرة حول الأركان؛ لكنها بالنسبة لهم كانت تحمل معاني تتجاوز استخدامها العملي، ومن أشهر الرموز القديمة التي استخدمتها تلك المحافل:

١ - المطرقة

كانت تُستخدم لتخطيط الأحجار وتشكيلها، لكن بالنسبة لهم، كانت ترمز إلى الإرادة والتصميم، ففي الحياة يتم حث الأعضاء الجدد على أن يكونوا مثل المطرقة، يتغلبون على العقبات ويزيلون الشوائب من أرواحهم، تماماً كما يُزيل البناء العيوب من الحجر.

٢ - المسطرة

حسب فلسفتهم؛ كانت ترمز إلى العدل والمساواة، فبحسب المزايم الماسونية، كان يجب على الأعضاء أن يكونوا منصفين ومستقيمين في تصرفاتهم وأحكامهم مع بعضهم كأعضاء سريين، وكانت المسطرة أنسب خيار رمزي بالنسبة لهم، تُذكرهم بأن كل شيء يجب أن يُقاس بدقة، سواء في العمل أو في أخلاقهم تجاه بعضهم.

٣ - الزاوية

رمز آخر أساسي في المحافل القديمة، وبحسب فلسفتهم يرمز إلى الاستقامة والنزاهة بينهم، ويُذكر الأعضاء بأهمية الالتزام، وبأن يبنيوا حياتهم كتنظيم على أسس متينة، مثلما تُبنى الجدران باستخدام الزاوية لضمان الثبات كجماعة.

البوصلة بالنسبة لهم تمثل ضبط النفس وحدود التصرفات واتباع الأوامر، وكانت رمزاً لضبط المشاعر والرغبات، مثلما تحدد البوصلة حدود الدائرة.

## ٥ - الحجر الخام والحجر المصقول

هما رمزان مهمان في المحافل الماسونية القديمة، كان الحجر الخام يمثل العضو الجديد الذي لم يُصقل بعد، بينما كان الحجر المصقول يمثل العضو الذي أصبح ماسونياً ناضجاً.. الفكرة هنا هي أن العضو يجب أن يعمل على صقل شخصيته ويزيل الشوائب حتى يصل إلى الماسونية الروحية المثالية.

## ثالثاً الدرجات الماسونية

في بدايات الماسونية، كان نظام الدرجات مختلفاً بشكل كبير عما هو عليه اليوم، فخلال العصور الوسطى لم يكن هناك نظام رسمي من الدرجات كما هو معروف حالياً، وهذا يعني أن الماسونية في هذه المحافل لم تكن ذات نظام ثابت، بل كانت تسير وفق تسلسل هرمي يتدرج فيه الأعضاء مع مرور الوقت واكتسابهم المزيد من المعرفة. تبدأ الرحلة من أدنى درجة إلى درجات أخرى متقدمة بعد اختبار العضو وقضائه الوقت المحدد في التعلم والترقي، ومع وصوله إليها تُفتح له أسرار جديدة ويُمنح صلاحيات ومسؤوليات أكبر داخل المحفل، وكان الشائع في كل المحافل الأولى استخدام الدرجتين الأساسيتين فقط، وهما:

(مبتدئ الحرفة أو المتدرب، وزميل الحرفة أو الرفيق)

## ١ - درجة المبتدئ

هي المرحلة الأولى التي يدخل فيها العضو إلى عالم الماسونية بعد قضائه سبع سنوات كمنتسب قبل أن يتم تسجيله كعضو مبتدئ، وخلالها يبدأ في تعلم الأساسيات، ويُقدم له القليل من المعرفة الرمزية، بعد أن يُطلب منه أداء القسم وخوض الامتحان، والتعرف على الإشارات المسموح بها وكذلك المصافحة السرية. وفي هذه المرحلة يُعتبر العضو «غير مصقول»، مثل الحجر الخام الذي يحتاج إلى الكثير من العمل ليصبح متيناً، بما يعني أن الطقوس التي يمر بها في هذه المرحلة تكون بسيطة نسبياً.

من ضمن بنود «قوانين شاو» باسكتلندا بند يقول:

«يمكن للمتدرب بعد قضاء فترة ولايته التي تبلغ سبع سنوات، أن يختار الانضمام إلى أحد المحافل، ليصبح متدرباً مسجلاً».

وبدلاً من ذلك، كان بإمكانه اختيار العمل لحسابه الخاص في الدرجات الأدنى من أعمال البناء إذا أراد.

## ٢ - زميل الحرفة

بعد اجتياز الاختبارات الأولية والتسجيل كمبتدئ، يتعين عليه قضاء سبع سنوات أخرى في التعلم والولاء، حتى يرتقي ويصبح «زميل الحرفة»، وهنا يُتاح له فهم المزيد من الرموز، وتعلم كيفية تطبيقها في

حياته اليومية، والرموز التي يتعلمها في هذه المرحلة تكون أكثر تعقيدًا ودلالة.

كان يُشار إلى العمال المهرة باسم «المملاء» أو «زملاء الحرفة»، الذين أمضوا وقتًا في التدريب والتعلم والارتقاء، وبالتالي يتولى «زميل الحرفة» استقدام وتدريب أعضاء مبتدئين، وهذا يتفق مع محتوى قصيدة ريجيوس (السطر ٥١)، بأن:

«البناء يجب أن يدعو زملاء آخرين بالقسم».

هذه المرحلة تركز على تعزيز العمل الماسوني الجماعي، وفيها يتولى «زميل الحرفة» مسؤوليات أكبر داخل المحفل، ويشارك بشكل أكثر فاعلية في الطقوس.

ومن أعمال «زميل الحرفة» الشائعة في طقوس المحافل القديمة؛ أن يقوم بدور المرشد والدليل لأولئك المبتدئين، فكان من أدواره المدرجة في غالبية الولايات، عمل محاضرة في كل محفل عن الدروس الأخلاقية الأربعة (القوة والحكمة والاعتدال والعدالة)، وكذلك إعلاء مبادئ «الحب الأخوي»، كما يقوم بشرح الرموز الماسونية الأولى وإشاراتها الروحية (فقط المسموح توضيحها للأعضاء الجدد)، ومن المرجح أن ذلك كان يتم من خلال تذكير الأعضاء بالتاريخ والتقاليد الماسونية كعنصر دائم من عناصر الطقوس، وغالبًا ما كانت تتضمن إشارات إلى الشخصيات البارزة في التاريخ الماسوني وأعمالهم (المذكورين في دساتيرهم قبل قليل)، ثم يُشرف على الماسونيين الجدد خلال الطقوس، ويوجههم لأداء أعمالهم للحصول على الدرجة العلمية.

في البداية؛ كانت إجراءات وطقوس التنصيب بالمحافل في بعض الأحيان يغزوها الكثير من المزاح، حتى تم استئصاله مع تزايد مستوى المهنة وجدية التجمعات، ولهذا السبب في وقت ما - لم يُعرف بالتحديد - طرأ تحديث جديد على الدرجات الأساسية للماسونية، من خلال إضافة درجة قيادية جديدة لكل نُزل؛ لم تكن موجودة في السابق، وهي درجة «سيد الحرفة» أو (ماسر ماسون)، على الرغم من أن بعض الوثائق المذكورة لا يتضح منها التمييز بين زميل الحرفة (الدرجة الثانية)، وسيد الحرفة (الدرجة الثالثة المستحدثة)، ويبدو أن بعض المحافل في العصور الوسطى اعتبرتها مترادفات.

بينما يجادل آخرون بأن درجة «سيد الحرفة» كانت درجة ثالثة قديمة جدًا ومعروفة باسم «حارس المحفل»، لكن لم تقدم هذه المزاعم أي معلومات عن دوره؛ لذلك يرى بعض الباحثين أن «حارس المحفل» ربما كان ضابط الأمن والنظام وليس السيد.

رأي آخر يقول إن هذه الدرجة لم تكن موجودة في جميع المحافل الأولى، حتى رسّخها «بنجامين فرانكلين» عند إعادة طباعة «دستور أندرسون»، مستندين إلى عدم وجود أي إشارة واضحة في «دستور أندرسون» الأصلي لعام ١٧٢٣م عن هذه الدرجة.. وبحسب هذا الرأي، بحلول ١٧٣٨م عندما أعاد «فرانكلين» طبع الدستور، بدأت تترسخ وتصبح أكثر شيوعًا؛ لذا؛ يُعتبر إدخال هذه الدرجة في الماسونية تطورًا لاحقًا حدث في المحافل خلال فترة قصيرة بعد نشر «دستور أندرسون» الأول، أي أن «فرانكلين» دونها بسبب حداثةها ولم يبتدعها أو يشترعها بنفسه.

لكن هذا الرأي يتنافى مع ما ذُكر في كتاب (Masonry Dissected) «تشریح الماسونية»، وهو عبارة عن تسريب وكشف خطير عن طقوس الماسونية، كتبه أحد الماسونيين السابقين المنشقين «صامويل بریتشارد» عام ١٧٣٠م، ويُعتبر أقدم وثيقة معادية للماسونية، يقول الكتاب إن الدرجات الثلاث للماسونية الحديثة الحالية<sup>(124)</sup> ظهرت في بداية القرن الثامن عشر، بعد إضافة رتبة «الماسون المنصب» أو «معلم الحرفة» أو «سيد الحرفة»، لذلك ذهب المحللون إلى أن درجة «السيد» كانت أقدم من زمان «بریتشارد»، وأن ذكره لها يعني أنها كانت قائمة في السنوات القليلة ما بين الإنتهاء من «دساتير أندرسون» وبين تاريخ تدوين «بریتشارد»، وهذا يعني أنه عاصر وجودها وكان أول من سجلها، بما يتوافق مع نفس الرأي الذي يقول إنها رُسخت من قِبل «فرانكلين» بعد ذلك.

٣ - سيد الحرفة

هو المنصب المستحدث الذي شغله الماسون الكبير المسؤول عن المحفل، حيث يتم انتخابه لتولي رئاسة المحفل لمدة عام، ومن أشهر الطقوس المتعلقة بـ «معلم الحرفة»: رمزية موت وقيامة «حيرام أبيب» (وفي تفسير آخر قيامة هرمز «هرمس»)، كدلالة على النهاية الروحية للرحلة التي يمر بها الماسوني للوصول إلى الحكمة الكاملة<sup>(125)</sup>.

ويقول أنصار وجود هذه الدرجة قبل تدوين «بریتشارد»، إن «سيد الحرفة» كان هو المؤهل للقيام بجميع أنواع الأعمال الماسونية، وغالبًا ما يتم تعيينه مديرًا هندسيًا لمشروع معماري، حيث يعكف على كتابة ورسم أعمال اليوم على لوحة تتبعية، لينفذها الحرفيون والمتدربون<sup>(126)</sup>، وكان يتم تنفيذ هذه الخطط على الأرض باستخدام بوصلة أكبر من تلك المستخدمة في الرسم، ثم تُنقل التفاصيل الدقيقة من لوحة الرسم بواسطة قوالب خشبية يُزود بها البنّؤون<sup>(127)</sup>.

\* الجدير بالذكر، أن «بریتشارد» عندما فضح طقوس الماسونية، حفته شعبية عالية وانتشرت تشرجاته للماسونية على نطاق واسع؛ لذلك أجرى «المحفل الأعظم لإنجلترا» في ذلك الوقت تقريبًا؛ تغييرات على الطقوس والمصافحات وكلمات السر، لجعل الأمر أكثر صعوبة بالنسبة للغرباء الذين يمررون أنفسهم على أنهم ماسونيون، وتسبب ذلك في شعور الماسونيين بصعوبة العمل مع الطقوس الجديدة.

وبالعودة للنص؛ يتضح أن درجة «مستر ماسون» أو «سيد الحرفة» أو «معلم الحرفة»، هي أعلى درجة يمكن للعضو الوصول إليها، فمع بدايات القرن الثامن عشر كان على قمة الهرم في كل محفل «معلم الحرفة»<sup>(128)</sup>؛ الذي يتم انتخابه لتولي رئاسة المحفل لمدة عام.

هذه باختصار وظيفة الدرجات الثلاثة قديمًا بحسب ما هو متاح من معلومات.

ومع اكتساب الماسونية زخمًا؛ أصبح الماسونيون (الذين وردت أسماؤهم في السجلات على أنهم يترأسون أعمالًا كبرى) أثرياء ونبلاء مبجلين، وكان الماسونيون الزائرون والنجارون يجلسون على طاولة عالية في الأديرة، يتناولون الطعام مع رئيس الدير نفسه<sup>(129)</sup>.

بحسب ما ورد؛ كان الماسونيون يحثون النشء الصغير كي يكونوا ماسونيين، كان الطفل يغادر منزله في سن التاسعة أو العاشرة، ومنذ هذه السن وحتى سن الرابعة عشرة يلتحق بالدير أو المدرسة الثانوية لتعلم اللاتينية، وربما يعمل كخادم في أسرة من الفرسان لكي يتعلم السلوك بالإضافة إلى دراسته، وبين سن الرابعة عشرة والسابعة عشرة، يتعلم المهارات الأساسية لاختيار وتشكيل ودمج الأحجار، ثم بين سن السابعة عشرة والحادية والعشرين؛ يُطلب منه أن يتعلم عن ظهر قلب عددًا كبيرًا من المسائل الرسمية في الهندسة. وغالبًا ما تنتهي السنوات الثلاث التي قضاها كعامل ماهر؛ بتقديم تحفة فنية تتناول مشكلة محددة في البناء أو التصميم. في هذه المرحلة، كان يُعتبر مؤهلًا، لكن لا يزال أمامه السلم الوظيفي الذي ذكرناه حتى يصل إلى وضع الماسوني الرئيسي في مشروع كبير (130).

كانت هذه الطقوس جميعها تُمارس في بيئات غير رسمية، وغالبًا ما كانت تختلف من منطقة إلى أخرى كما ذكرنا.

ويتبين لنا مما ظهر من محتوى الدساتير والطقوس على حدٍ سواء، أن تاريخ الماسونية ممتلئ بالأساطير، ومع التسلسل الزمني ستطراً أساطير أخرى مستحدثة لدمجها في السياق (فرسان الهيكل على سبيل المثال). لكن على أي حال، الأساطير التي ذكرناها هي أساطير مدعومة نوعًا ما بتدوينات قديمة تم ربطها تاريخيًا، أو حتى تم تفسيرها بما يتناسب مع الفكر الماسوني، أما الأغرب من ذلك فهو أن هناك أساطير أخرى غريبة يُروج لها الماسونيون، لمجرد الفلسفة أو التأمل أو التدبر وليس لها دليل ملموس، ولم يتحدث عنها الماسونيون الأوائل، ظهرت بغزارة في القرن الثامن عشر، كمحاولات زائدة لتمجيد شرعية الماسونية آنذاك.

في خضم محاولة الماسونيين تعزيز شرعية تنظيمهم في القرن الثامن عشر؛ من خلال الادعاء بأن أصول الماسونية تمتد إلى العصور القديمة، شطحت بعض الادعاءات والأساطير التي لم يتبناها الماسونيون الأوائل؛ وغير المدونة بمخطوطاتهم، من بينها أساطير تحاول تأكيد فكرة أن الماسونية هي امتداد لما أسموه «ماسونية الحضارة المصرية القديمة»، حيث زعم بعضهم أن شعائر الماسونية مرتبطة بالشعائر الدينية المصرية القديمة.

حياة سيثوس

الرواية الفرنسية «سيثوس» (Sethos)؛ والمعروفة في بعض الترجمات بـ «حياة سيثوس»، التي كتبها الأديب الفرنسي «جان تيراسون» عام ١٧٣١م، كانت إحدى المؤثرات الكبرى في هذا السياق الماسوني الأسطوري؛ لأنها احتوت على تفاصيل وشعائر تتوافق مع الطقوس الماسونية.

زعم «تيراسون» أن روايته استندت إلى ترجمة لمخطوطة قديمة مأخوذة من المذكرات الخاصة لقدماء المصريين، وُجدت في مكتبة أمة أجنبية (لم يذكر اسمها)، وقال إن المؤلف الأصلي كان يونانيًا مجهول الهوية في القرن الثاني الميلادي، ورغم ذلك أكد «تيراسون» أن العمل الذي كتبه عن الترجمة مجرد خيال، لكن القصة قريبة من المصادر القديمة، ورغم خيالها - باعتراف المؤلف - استخدمها أنصار «المركزية الإفريقية» القائمة على مجرد تصورات وخيالات؛ والمعروفة بالـ «الأفروستريك»، كدليل على أن الفلسفة اليونانية في الأصل فلسفة مصرية إفريقية مركزية مسروقة، أي أن الفلسفة اليونانية هي في الأصل إفريقية<sup>(131)</sup>.

تدور أحداث الرواية حول قصة أمير مصري يُدعى «سيثوس»، يخضع لتجارب وشعائر سرية في إطار رحلته كي يصبح كاهنًا في مصر القديمة، وقدمت حبكة الرواية نماذج شعائرية باطنية غامضة تتشابه فيما تطلبه الماسونية من شروط وشعائر وطقوس (مع اختلاف التفاصيل).

بعد نشر الرواية؛ أصبحت الفكرة القائلة بأن الماسونية لها أصول قديمة مصرية أو العكس، شائعة بين الماسونيين، وذكروا أن فكرة استخدام الشعائر والطقوس الخاصة لتلقي العلوم والتكامل الروحي ليست مجرد اختراعات حديثة؛ بل ذات جذور قديمة وعريقة، وأن هذه الرواية شيفرة عميقة تحتوي على حقائق تاريخية وليست مجرد رواية خيالية، وعندما تُرجمت الرواية للإنجليزية على يد الكاتب والمساح الإنجليزي «توماس ليدارد» في عام ١٧٣٢م انتشرت بسرعة كبيرة<sup>(132)</sup>.

مع تتبع الطقوس الموجودة في هذه الرواية سنجدتها مقتبسة من طقوس أسطورة أخرى مرتبطة بالمصريين القدماء أيضًا؛ وهي أسطورة «أسرار إيزيس».

أسرار إيزيس

تقول هذه الأسطورة إن مصر قبل وصول «تعاليم إيزيس وأوزوريس» كانت في حالة من الهمجية والجهالة؛ لكن بعد انتشار تعاليمها أصبحت مركزًا عالميًا للعلم والفضيلة والنظام، ثم توارث الكهنة بعد ذلك «علوم إيزيس وأوزوريس» من خلال جمعية باطنية أطلقوا عليها «جمعية إيزيس السرية»، ومع الوقت

قصدها الراغبون في الحصول على الأسرار من أنحاء مختلفة من العالم.

وبحسب الأسطورة؛ للانضمام إلى الجمعية المزعومة كان يتعين على الطالب اجتياز اختبارات صارمة، حيث تبدأ التجربة بامتحانات جسدية ونفسية قاسية تشمل التخويف والتهديد؛ بهدف اختبار قوة الطالب وثباته، وإذا اجتاز المتقدم هذه الاختبارات، يتم تسليمه إلى قائد يرتدي قناعاً يمثل رأس كلب، ويقوده عبر طرق مظلمة إلى مجرى مائي سُفلي، حيث يُعرض عليه «ماء النسيان» لتطهيره من أي نقائص سابقة. بعد اجتياز الطالب لهذه المراحل؛ ينكشف له النور، وتحيطه أجواء مبهجة تشمل الروائح العطرة والموسيقى، وهي إشارة إلى انتصاره على التحديات، ثم يُلقن بعد ذلك الأسرار المقدسة ويُعتبر من «سعاة الكمال»، وبعدها يترقى في الجمعية حسب دستورها، ليصبح عضواً في هذا المجتمع السري الذي يهدف إلى نشر الفضيلة والكمال.

وهذا الشكل يربط الماسونيون جمعيتهم بهذه الجمعية السرية المبكرة، ويفتخرون بمحاكاتها في استخدام الرمزية والمعرفة والانتساب والدرجات والطقوس؛ رغم اختلاف التفاصيل بينهما. لكن الحقيقة تقول:

إن «جمعية إيزيس السرية» مجرد تاريخ زائف وليس لها أي وجود تاريخي، وما يتداوله الماسونيون عن جذور إنشاء وتأسيس «جمعية إيزيس السرية»؛ مصدره الوحيد رواية «الحمار الذهبي»، المعروفة أيضاً باسم «التحولات»، وهي رواية هزلية من أواخر القرن الثاني الميلادي، للمؤلف الروماني «لوكيوس أبوليوس»<sup>(133)</sup>.

رواية الحمار الذهبي

تدور الرواية حول شخصية «لوسيوس»، الذي يتحول بطريقة سحرية ما إلى حمار.. يستيقظ «لوسيوس» بعد أن نام على الشاطئ في سينخريا في اليونان ليرى القمر مكتملاً، وفي أجواء روحانية يصلي للقمر مستخدماً أسماء العديد من آلهة القمر المعروفة في العالم اليوناني الروماني، طالباً منها إعادته إلى شكله البشري، وبعد أن يخلد لنومه، تأتبه «إيزيس» في رؤية بمنامه لتعلن أنها أعظم الآلهة على الإطلاق، وترشده إلى مهرجان خاص سيقام على شرفها يُطلق عليه «موكب إيزيس»، وتخبره بأن موكب المهرجان يحمل معه أكاليل من الورد ستعيد له شكله البشري فقط إذا أكلها، فينفذ «لوسيوس» ما أمرته به ويستعيد شكله الآدمي بالفعل، ثم تأمره بالانضمام إلى «معبد إيزيس السري» ودفع رسوم الاشتراك المخصصة، حيث يتلقفه الكهنة المعنيون بالتعليم، ويخضع لشعائر تربوية<sup>(134)</sup>.

ظاهرياً هي مجرد رواية خيالية؛ لكن باطنياً تحمل لدى الماسونيين أموراً وإشارات سرية غامضة تحتاج لتدبر؛ فوفقاً لتحليلاتهم: رواية «الحمار الذهبي» تُفسر مفهوم التنشئة الروحية، «التي كانت تتم بطريقة الموت الطوعي والخلاص الذي يتم الحصول عليه بالنعمة»<sup>(135)</sup>، كما رأوها تحتوي على طقوس التلقين، حيث تختار «إيزيس» المرید وتحدد المراسم ورسوم الاشتراك المطلوبة لقبوله، حيث ذكرت الرواية أن

الاحتفال كان له إجراءات شعائرية تتعلق بالتطهير، يتبعها غسل ورشّ بالماء، وامتناع عن بعض الأطعمة. وبحسب محتوى الرواية يتلقى «لوسوس» تعاليم رمزية غامضة في كتاب محفوظ بالمعبد، ويخضع لتجارب روحية، بما في ذلك التجوال بين الآلهة. وتذكر الرواية أن الإلهة هي التي حددت بنفسها المبلغ الذي يجب على المبتدئ دفعه للمعبد للخضوع للطقوس، ثم بلّغته ل«إيزيس»<sup>(136)</sup>.

رواية الروماني «أبوليوس» أصبح لها تأثير كبير على الماسونيين في العصر الحديث، فالأسرار التي وصفها في روايته أثرت على العديد من الأعمال الأدبية والمنظمات الأخوية الحديثة، كما أكدت الاعتقاد السائد باعتقاد المصريين القدماء نظامًا مفضلاً للتربية الروحية.. واستكمالاً لهذا السياق اعتُبرت «إيزيس» في القرن الثامن عشر رمزاً للمعارضة ضد رجال الدين والمسيحية بشكل عام، حيث مثلت كلاً من المعرفة العلمية والحكمة الغامضة لشعائر الأسرار، والتي قدمت بديلاً للمسيحية التقليدية.

شعر الماسونيون أنصار هذه الأسطورة بالإحباط، وأجبر بعضهم على التخلي عن مفهوم الأسرار المصرية هذه في أوائل القرن التاسع عشر؛ حيث أدى ظهور «علم المصريات» إلى تقويض الافتراضات والمزاعم القديمة حول المجتمع المصري السالف، لكن هذا المفهوم استمر بين الماسونيين المشتغلين بالعلوم الباطنية، وكتب المؤلفون المتأثرون بالثيوصوفيا<sup>(137)</sup> مثل «روبين سوينبورن كليمر» في كتابه «لغز أوزوريس» عام ١٩٠٩م، و«مانلي بالمر هول» في كتابه «ماسونية المصريين القدماء» عام ١٩٣٧م، مزاعم عن تقليد ماسوني غامض مصري قديم، كما ادعى كتاب «الإرث المسروق» ل«جورج ج. جيمس» الصادر عام ١٩٥٤م؛ أن الفلسفة اليونانية بُنيت على المعرفة المأخوذة من مدرسة المصريين القدماء للمُدخلين، وتصور «جيمس» مدرسة الأسرار المصرية الغامضة بطرق تُذكر بالماسونية، واعتقد أن العلوم المصرية كانت منظمة ضخمة لها فروع في عدة قارات، بما في ذلك الأمريكيتان؛ بحيث إن النظام المزعوم للأسرار المصرية امتد عبر العالم. وعن الطقوس الماسونية اللاحقة التي بُنيت على مثل هذه المزاعم، بقية مفصلة من الحديث فيما سيرد ذكره في موضعه لاحقاً.

من مصر القديمة إلى العالم

من هذا الاعتقاد؛ قالوا إن «أورفيوس التراسي»<sup>(138)</sup> تلقن العلم في «الجمعية الإيزيسية السرية» في مصر، ثم عاد إلى تراقيا<sup>(139)</sup> وأنشأ «مجمع الإلوسينيا» في إلويسيس الإغريقية قبل ١٤٠٠ ق.م، ثم علم الإغريق التعليم والتمدن بعد أن كانوا في همجية وظلام، وأصبح معلماً عظيماً في بلاده، وأنه مؤسس اليونان القديم من خلال العلوم الماسونية التي تعاطاها بمصر، وزعموا أن تلامذته بعد وفاته استمروا في نشر علومه سرّاً، ولم يقبلوا في مجتمعه إلا الأفراد المختارين، وكانت الاختبارات التي يجتازها الطلاب المختارون عصبية وتعتمد على الصدمات النفسية، كالزحف في مسارات مظلمة، وسماع أصوات مرعبة، ثم الدخول إلى مكان أكثر ظلمة يُسمع فيه أنين وتأوهات، حتى يتخلص من مخاوفه، ثم يتم تعميده ويُعطى اسماً جديداً وعلامة رمزية.

كما كرروا ذكر «فيثاغورس» مرة أخرى في هذه الأسطورة، وقالوا إنه تلقى تعليمه من الكهنة المصريين في «الجمعية الإيزيسية»، بالإضافة إلى جمعيات أخرى في فينيقيا استمدت علومها من علوم إيزيس السرية، وكذلك زعموا أن الاسكندينافيين استوردوا هذه الأسرار وأقاموا جمعيات سرية ماثلة نحو سنة ٥٠ قبل الميلاد، ومنهم انتشرت في أنحاء أوروبا، وغيرهم من الجماعات.

الأهم من ذلك أنهم زعموا أن العديد من الأديان الحديثة - بما فيهم الشرائع السماوية - نمت بفضل اتباعها أساليب هذه الجماعات في التعليم والتبشير بشكل سري، وعدم قبول أي دُخلاء!

المسيحية على خطى الماسونية

زعم البعض أن المسيحية نفسها اتبعت النهج الماسوني، حيث قالوا إن المسيحية في مراحلها الأولى اتبعت أسلوب الجمعيات السرية في نشر تعاليمها، حيث كانت التعاليم تُنقل سرًا للمؤمنين المستحقين فقط، ولم يُسمح للمبتدئين أو ما يسمونهم «الموعوظين» بالاطلاع على الأسرار الكاملة، حتى يُثبتوا إخلاصهم ويجتازوا اختبارات معينة، هؤلاء الموعوظون كانوا يحضرون بعض الصلوات العامة، ثم يُطلب منهم المغادرة قبل الشروع في الأسرار الدينية الخاصة بالمؤمنين فقط.

كما زعموا أن المسيحيين الأوائل كان بينهم درجات متقدمة من المعرفة والامتيازات، مثل حق المشاركة في «العشاء الرباني»، وحق استخدام صلوات معينة، بل قالوا إن المسيحيين الأوائل استخدموا رموزاً سرية مثل «إشارة الصليب» للتمييز الرمزي السري.

تخلّص الفكرة إلى أن الطريقة المثلى لنشر الفضيلة والعلم هي عن طريق الجمعيات السرية المنظمة، واعتبروا انتشار الديانة المسيحية بهذا الأسلوب دليلاً على نجاح هذا النهج في توجيه المجتمع نحو الفضيلة والنظام سرًا دون شعوره أو مواجهته بالصدام.

الأكثر من ذلك؛ أنهم قالوا إن المسيحيين الأوائل انضموا إلى الماسونية، عندما تم اضطهادهم خلال القرون الأولى الميلادية، حيث هاجر الكثير منهم إلى بريطانيا ولجأوا إلى الكهوف والمقابر هرباً من الطغيان، وبدأوا بتحويل هذه المدافن إلى هياكل ومعابد مزينة، ومع تزايد عدد الشهداء؛ بنى بناؤون القداماء الكنائس فوق مدافنهم، مما ساهم في نشر المسيحية خلال هذه الحقبة المظلمة؛ على حد زعمهم.

باختصار يدّعون أن الماسونيين هم بُناة الحضارة المسيحية والغربية، ليس هذا كل شيء؛ بل قالوا إنهم بنوا الحضارة الإسلامية نفسها، خاصة في عهد الدولة الأموية التي تميزت بالعمارة والبنان.

الزعم بفضل الماسونية على المسلمين

قالوا إن الماسونيين الذين انتقلوا إلى المشرق - لا سيما القسطنطينية - اكتسبوا شهرة واسعة، وتم دعوتهم من قبل الملوك في بلاد فارس والعرب وسوريا لبناء المعقل، من بين هؤلاء كان الخليفة الأموي المحب للبناء والتشييد والتوسع والعمران، «الوليد بن عبد الملك»، الذي استخدمهم في بناء المساجد في المدينة ودمشق والقدس، بل وزعموا أن «صلاح الدين الأيوبي» كان ماسونياً، واستشهدوا بعلاقته الطيبة ب«ريتشارد قلب

الأسد»، وقالوا إنهما كانا زميلين في الماسونية السرية لذا حظيًا بتقدير بعضهما.  
وعلى حد قولهم؛ بعد أن ضعفت الماسونية بسبب الفتوحات الإسلامية وترويع أوروبا، عادت مرة  
أخرى للازدهار بعد الاستعانة بها في بناء بغداد، حيث انضم إليها العديد من الشخصيات العلمية والفقهية،  
بل وقالوا إن العمارة الأندلسية هي هندسة ماسونية، وزعموا أن «عبد الرحمن الأول» استورد الماسونيين  
الغريبيين من بغداد؛ مما أدى إلى بناء قرطبة، المدينة المشهورة بالعلم والصناعة، وبالأخص العمارة، وهذه  
المزاعم تسللت بالفعل من الغرب إلى كتابات العرب، على سبيل المثال: موجودة في كتاب «تاريخ الماسونية  
العام» للأديب والمؤرخ اللبناني المتأثر بالماسونية: «جرجي زيدان».  
الأغرب من ذلك؛ قول بعضهم إن الله سبحانه وتعالى هو من أسس الماسونية في جنة عدن، وأن اللجنة  
كانت أول محفل ماسوني، و«ميخائيل» رئيس الملائكة كان أول أستاذ أعظم فيه (نفى جرجي زيدان هذا  
الزعم، رغم تأكيده للمزاعم السابقة).  
وهذه الأقاويل جميعها ليس لي رأي ولا تعليق عليها ليس لأنني منحاز أو غير مقتنع بها؛ لكن لأنها مجرد  
أقاويل شفهية قديمة ليس لها مصدر ولا دعم بحثي.

\*\*\*

بعد انتهاء القس «جيمس إندرسون» من مهمة هضم هذه الدساتير، ظهرت «الدساتير المطبوعة» لأول مرة في عام ١٧٢٣م، ورغم ذلك، استمر استخدام الدساتير المخطوطة لفترة أبعد في المحافل المستقلة التي لم تستجيب للاندماجات.

الإعلان عن تاريخ الماسونية

كان رجل الدين المسيحي والعالم «جون ثيوفيلوس ديساجوليه» هو من نقش الإهداء على «دساتير أندرسون»، وترأس اللجنة التي وجهت المشروع ووافقت عليه، ويُعتقد أن «ديساجوليه» هو الذي أصر على تذكّر الطقوس عن ظهر قلب وعدم كتابتها وتدوينها حتى لا تفقد عنصر السرية؛ مما أدى إلى ندرة المواد المتعلقة بتطور الطقوس<sup>(140)(141)</sup>، كما أشرنا من قبل.

وبهذا الشكل، تمت إعادة هيكلة «الدساتير القديمة» لتأخذ شكلاً مترابطاً لخط تاريخي واحد، وتم الإعلان عن أن «تاريخ الماسونية بدأ منذ بداية الخليقة»<sup>(142)</sup>، وأن الماسونية كفكرة بدأت منذ ما قبل الطوفان حيث «لامك بن قابيل» وأبناءؤه الأربعة، بعدها مرت ب«نوح» وأبنائه الثلاثة، حتى وصلت إلى مصر فتلقاها «فيثاغورث» وبعده «إقليدس»، ثم تعلمها «موسى» وبنو إسرائيل من المصريين، ولاحقاً طبّقها «داوود» و«سليمان» في القدس، ثم سافرت إلى أوروبا حيث القديس «ألبان» و«القديسون الأربعة»، وبلغت ذروتها بعد انتعاش الحرفة مجدداً في يورك البريطانية<sup>(143)</sup>، حينما وصلت في ثوبٍ جديد إلى عهد الملك «أثيلستان»، ومن هذه الركائز؛ تم نسج قصة نشاطات التنظيم كأخوية متطورة في عهد «هنري السادس» ملك إنجلترا، إلى فترة «إليزابيث الأولى» ملكة إنجلترا وأيرلندا، أي من حوالي عام ١٤٢٥ إلى عام ١٥٥٠م. وقام كُتّاب الماسونية بدمج هذه الدساتير في كتابات موحدة، أشهرهم الماسوني الاسكتلندي البارز «ويليام بريستون» (١٧٤٢-١٨١٨م)، أحد أهم المساهمين في تطوير الشعائر والتعاليم الماسونية، حيث اشتهر «بريستون» بتقديمه نظاماً تعليمياً أكثر تنظيمياً لتناول الماسونية، من خلال كتابه «الرسوم التوضيحية للماسونية» (Illustrations of Masonry) وهو أحد أشهر الكتب في تاريخ الماسونية، والذي تم نشره لأول مرة في أواخر القرن الثامن عشر، وتحديداً في عام ١٧٧٢م<sup>(144)</sup>.

قدم الكتاب شرحاً مفصلاً للعقائد والشعائر الماسونية، بهدف توضيح الرموز والمعاني التي تقف خلف الطقوس، ورغم أن الكثير من التاريخ الذي ذكره «بريستون» يعتمد على أساطير وروايات قديمة من الأساس؛ إلا أنه عزز الإحساس بالتراث الغني للماسونية، مما ساهم في تعزيز تجربة الانضمام إلى المحافل<sup>(145)</sup>.

وبهذا الشكل أصبحت كتابات «القس أندرسون» هي المصدر الرئيسي لتتبع تاريخ الماسونية، والذي استمد منه الكُتّاب اللاحقون كتاباتهم، بما فيهم «بريستون»، لكن في عام ١٧٣٦م ظهرت نشاطات شخص ماسوني بارز، سيقدم تفسيرات جديدة لمصدر الماسونية وأهدافها، ليساهم في إضفاء بُعد رمزي وفلسفي

جديد وأكثر عمقًا على الحركة.

### ماذا حدث؟

ظهر السير الماسوني الاسكتلندي والكاتب والفيلسوف «أندرو مايكل رامزي» المشهور باسم «شوفالييه رامزي» في عام ١٧٣٦م، وألقى في باريس خطابًا عامًا حدد فيه الصفات الأربع اللازمة لكي يصبح المرء ماسونيًا فرنسيًا: العمل الخيري، والقيم الأخلاقية، والسرية، والتعاطف مع العلوم والفنون الجميلة<sup>(146)</sup>، ثم في العام التالي ١٧٣٧م، ألقى خطابًا تاريخيًا آخر أثار جدلًا كبيرًا بشكل واسع النطاق.

رومانسية رامزي لحظة مفصلية

«خطاب رامزي» المعروف باسم «رومانسية رامزي»، كان نوعًا من التفسير الرومانسي لتاريخ الماسونية<sup>(147)</sup>، حيث ادعى - دون أي أدلة تاريخية - أن أصول الماسونية الجديدة تعود إلى «فرسان الإستبارية»<sup>(148)</sup>، التنظيم العسكري والمسيحي الغربي الذي تأسس في القدس مع بدايات القرن الثاني عشر، بهدف حماية الحجاج المسيحيين وتقديم الرعاية الطبية لهم، ثم تحولوا لاحقًا إلى قوة عسكرية بارزة خلال الحروب الصليبية، لكن المستمعين فهموا ذكره لفرسان الصليبيين على أنه إشارة غير مباشرة إلى «فرسان الهيكل»، التنظيم اللاحق ل«فرسان الإستبارية»، التي كانت ذكراه لا تزال مثيرة للجدل في فرنسا. وهذه الرمزية تسببت في توجيه البابا اتهامًا للماسونية بالتطرف والإرهاب والهرطقة بعد عام من هذا التاريخ<sup>(149)</sup>. تمثلت فكرة «رامزي» الجديدة في إضافة قصة رمزية توضح أن الماسونية ليست مجرد تنظيم مهني للحرفيين؛ بل هي حركة ذات جذور عميقة ترتبط بفكر الفروسية والنبلاء والمحاربين الروحيين، الذين سعوا إلى الحفاظ على قيم الفرسان والشرف.. هذه الفكرة كانت محاولة لإضفاء طابع نخبوي وأسطوري جديد على الماسونية.

قصة فرسان الهيكل

رغم أن «رامزي» كان يقصد في خطابه الفرسان الصليبيين ككل؛ فقد تم التركيز على «فرسان الهيكل»، وأصبحت قصتهم من أكثر الفصول إثارة وغموضًا في التاريخ، خاصةً عندما يُنظر إليها من منظور الماسونية، التي ربطت الكثير من الأساطير والرموز ب«فرسان الهيكل»، فبالنسبة للماسونيين؛ «فرسان الهيكل» ليسوا فقط جماعة عسكرية من القرون الوسطى، بل هم رمز لأفكار أعمق تتعلق بالولاء والتضحية والسعي وراء الحكمة الروحية.

تأسست جماعة «فرسان الهيكل»، أو «الفرسان الفقراء لمعبد سليمان»، في أوائل القرن الثاني عشر بعد تأسيس «فرسان الإستبارية» بعدة سنوات، وبعد الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦-١٠٩٩م)، كان هدفهم الرئيسي حماية الحجاج المسيحيين الذين يسافرون إلى الأراضي المقدسة؛ وخاصة القدس، واتخذ الفرسان اسمهم من «معبد سليمان» تيمناً بالهيكل المزعوم، وتم منحهم مقرًا في جناح القصر الملكي على جبل الهيكل في القدس<sup>(150)</sup>.

وبفضل دعم الباباوات والملوك؛ حصل «فرسان الهيكل» على امتيازات اقتصادية كبيرة، وفي وقت قياسي أدارت الجماعة شبكة ضخمة من المعامل والأراضي والتمويلات، التي حولتهم إلى قوة مالية إقليمية كبيرة بجانب كونهم قوة عسكرية متينة، ولكن رغم نفوذهم المتزايد؛ شهد الفرسان نهاية مأساوية في أوائل القرن الرابع عشر عندما اتُّهموا بالهرطقة والفساد والكفر لأسباب سياسية، وأُدينوا بعبادة إله غريب يُدعى «بافوميت» أو «بافوميت» (سُتُهم الماسونية بعبادته لاحقاً)، وتم اضطهادهم وحرقتهم على يد الملك «فيليب الرابع» ملك فرنسا، وتحت المزيد من الضغط منه؛ حل البابا «كليمنت الخامس» التنظيم في عام ١٣١٢م<sup>(151)</sup>، كما ذكرنا قصتهم باستفاضة في كتاب «مختصر تاريخ أوروبا».

قصة فرسان الهيكل في الماسونية

اعتبرت الماسونية نفسها حركة أخلاقية وروحية، تستمد أفكارها من التقاليد الفروسية التي جسدها «فرسان الهيكل»، الذين لم يكونوا فقط محاربين، بل أيضاً حماة للأخلاق والقيم الدينية، حيث صور الماسونيين أنفسهم كـ«فرسان روحانيين» حديثين، يسعون إلى بناء «معبد روحي» داخل نفوسهم وحياتهم بدلاً من المعابد المادية.

الرموز المشتركة بين فرسان الهيكل والماسونية

من خلال هذه الرؤية الرمزية، ربط الماسونيون العديد من رموز «فرسان الهيكل» بمعتقداتهم الخاصة، وزعموا أنها بالفعل من رموزهم القديمة، على سبيل المثال:

١ - الصليب الأحمر

الصليب الأحمر ذو الخلفية البيضاء الذي كان شعار «فرسان الهيكل»، زعموا أنه يرمز في الماسونية إلى التضحية والنقاء الأخلاقي، حيث يُعتبر الصليب رمزاً للالتزام بقيم الإخلاص والولاء للمبادئ العليا.

٢ - السيف

الذي كان رمزاً لـ«فرسان الهيكل» كمحاربين، تحول في الماسونية إلى رمز للدفاع عن الأخلاق والعدالة، وقالوا إن الماسونية تتبنى السيف كأداة رمزية للحماية الروحية وليس للقتال الجسدي.

٣ - الهيكل نفسه

الذي يعود إلى «معبد سليمان» في القدس - بحسب ما يزعمون - هو جزء محوري من الرمزية الماسونية، حيث يعتبر الماسونيون أنفسهم «بناة الهيكل الروحي»، مثلما كان «فرسان الهيكل» يدافعون عن «هيكل سليمان» التاريخي، كما أن جميع المحافل بها هيكل رمزي يُحاكي «هيكل سليمان»؛ لذلك تُتهم بعض أنماط الماسونية الحديثة بمحاولاتها بناء «هيكل سليمان» المزعوم بالقدس.

تأثير خطاب رامزي على الماسونية

كان لـ «خطاب رامزي» مفعول السحر، حيث أنتج تأثيرًا كبيرًا على انتشار الماسونية في القارة الأوروبية، وخاصة في فرنسا، وتوسعت الحركة الماسونية بعد «خطاب رامزي» بزخم كبير، وبدأت الماسونية تستقطب أعضاء من خلفيات مختلفة، والفكرة التي قدمها عن أصول الماسونية النبيلة والنخبوية أحدثت توافدًا كبيرًا من النبلاء والمثقفين والطبقات الأرستقراطية في أوروبا، الذين انجذبوا إلى الطابع الفلسفي والرمزي المنبثق من أجدادهم الفرسان.. وعلى إثر ذلك تم إنشاء «محفل فرسان الهيكل الأيرلندي» في عام ١٧٧٩م، بموافقة من المحفل الأم كيلوينينج في اسكتلندا، ثم بدأ هذا المحفل في منح إذونات للمحافل الأخرى لمنح «درجة فرسان الهيكل»<sup>(152)</sup>.

## ٢ - إضافة الدرجات العليا والماسونية الفروسية

مع انتشار الماسونية في أوروبا، خاصةً في فرنسا وألمانيا، تطورت مسميات الدرجات الماسونية العليا التي استُلهمت من فكرة «فرسان الهيكل».. بعض هذه الدرجات أصبحت تُعرف باسم «الماسونية الفروسية» أو «درجات فرسان الهيكل»، هذه الدرجات تعكس رموزًا وطقوسًا ترتبط بفكرة الفروسية الروحية والمثالية النبيلة التي يجسدها «فرسان الهيكل»، ويبدو أن هذه الدرجات تسربت إلى محافل القدماء من أيرلندا حوالي عام ١٧٨٠م، وتم تسجيلها في يورك في نفس الوقت تقريبًا<sup>(153)</sup>.

## ٣ - إضافة عمق جديد

وهو «السعي وراء المعرفة المخفية»، ففي وقت قياسي تم دمج قصة «فرسان الهيكل» بفكرة البحث عن المعرفة المخفية، فوفقًا للتفسير الماسوني المستحدث، كان لدى «فرسان الهيكل» معرفة قديمة وسرية حصلوا عليها أثناء وجودهم في القدس، تتعلق بالأسرار الروحية والحكمة الخفية، التي استمدوها من فكرة الهيكل ذاته، وأن كل ماسوني يُعتبر «فارسًا» يسعى إلى اكتساب المعرفة المقدسة وبناء «هيكل» داخلي من الحكمة والفضيلة.

## ٤ - ترسيخ مبدأ النهاية الرمزية والبعث الروحي

رسخت الفكرة المستحدثة، أن «جماعة فرسان الهيكل» رغم انتهائهم بشكل مادي في القرن الرابع عشر بعد اضطهادهم؛ لم يموتوا فعليًا، بل استمر إرثهم الروحي، حيث نشروا فكرة أن المعرفة التي امتلكوها لم تُفقد، بل نُقلت سرًا إلى الماسونيين الجدد، وأدمجوها في الطقوس الماسونية كرمز للقيامة الروحية والانتصار على الاضطهاد والجهل.

بعد أن قدم رامزي الماسونيين الصليبيين، انخرط «فرسان الهيكل» في الأسطورة الماسونية للأبد<sup>(154)</sup>، بل وحاول الباحثون الماسونيون التأكيد على الفكرة، من خلال الزعم بأن المنحوتات في «كنيسة روسلين» في اسكتلندا تؤكد ذلك، حيث يُشاع أن «فرسان الهيكل» لجأوا إليها بعد حل النظام، فوفقًا لبعض الأساطير

يُعتقد أن كنز «فرسان الهيكل» المفقود قد يكون مدفوناً في مكان ما داخل كنيسة روسلين.. هذه النظرية تدعمها الروابط بين «عائلة سانكلير» التي قامت ببناء الكنيسة وفرسان الهيكل، حيث يُقال إنهم كانوا حماة أسرار فرسان الهيكل بعد اضطهادهم.

كما أن هناك اعتقاداً شائعاً بأن بعض الرموز الموجودة في الكنيسة، مثل الأعمدة المزخرفة والتماثيل الغامضة؛ قد تُخفي رموزاً سرية أو مفاتيح لفهم علاقة فرسان الهيكل بالماسونية، كرسومات الفرسان على الخيول؛ وكذلك العمود الشهير الذي أطلقوا عليه بعد انتشار هذه الفكرة: «عمود المتدرب»، وزعموا أن له قصة مرتبطة بأحد البنائين المتدينين الذي قُتل بعد أن صنع هذا العمود، ولأن النقوش المعقدة حول العمود تبدو وكأنها تحمل دلالات رمزية متشابكة؛ يرى البعض أن هذه الزخارف قد تشير إلى الحكمة السرية والمعرفة التي نقلها «فرسان الهيكل» عن تقاليد البنائين القدماء.

من ناحية أخرى؛ في كتاب «مفتاح حيرام: الفراعنة والماسونية واكتشاف مخطوطات يسوع السرية» الصادر عام ١٩٩٦م، للكاتبين: البريطاني المتخصص في تاريخ الماسونية والعصر الحجري الحديث والهندسة القديمة وعلم الفلك الأثري: «روبرت لومس»، وكذلك المتخصص في نظريات المؤامرة الزائفة مثل هندسة ٣٦٦ درجة وأصول الماسونية: «كريستوفر نايت»، ذُكر أن الماسونية تبنت المسيحية، ودجت في خطها الزمني «يسوع» و«فرسان الهيكل» و«كنيسة روسلين» قبل الوصول إلى الماسونية الحديثة<sup>(155)</sup>، وهذا يعني أنها إضافات مستحدثة لتاريخهم المزعوم الذي قلنا إنه بدأ منذ ما قبل الطوفان، تتناسب مع ما ذكرناه من زعمهم فضل الماسونية على المسيحية.

اكتمال الماسونية الرمزية

بالشكل السابق ذكره؛ نجد أن أقدم وثيقة يُزعم أنها ماسونية هي «قصيدة ريجيوس»، التي طبعت حوالي عام ١٣٩٠م، لكن كتاريخ موثق وواضح لتسجيل الماسونية كشيء نقابة؛ سنجد أن الحركة مرت بمراحل تدريجية، بدأت مع أول رجل مُسجل ينضم إلى أحد محافل الماسونيين في إدنبرة في عام ١٥٩٩م (نسبة لقوانين شاو)، وانتهت بإصدار دساتير الماسونيين في لندن والنظام الدولي الجديد، وبين هذه الأعوام نرى بوضوح أن التاريخ المزعوم للماسونية كجمعيات للبنائين الحرفيين، مر بمرحلتين:

١ - الماسونية العملية (Operative Masonry)

عندما كانت الماسونية تُمارس كنقابة شبه رسمية مرتبطة بالحرفيين البنائين الذين يعملون في المشاريع المعمارية الكبرى، مثل بناء الكاتدرائيات والقلاع، كان هؤلاء «الماسونيون العمليون» حرفيين مدربين على فنون البناء، يعملون ضمن محافل تنظيمية توفر التدريب والإشراف على المشاريع المعمارية، واستمرت هذه الماسونية العملية في العمل حتى فترة انتهاء الطفرة القوطية المعمارية في القرن السادس عشر، ثم بالتدريج قل الاهتمام بالبناء وقل عدد الأعضاء، وبعد عقود من التراجع، اضطرت الأخوية لقبول أعضاء من خارج المهنة مقابل اشتراكات مادية، كتمهيد لما يُعرف ب«الماسونية الرمزية» التي تخطط أكثر للبناء المجتمعي،

وإيداناً بقرب انتهاء «الماسونية العملية» التي كانت تخطط للبناء المعماري، وصعود «الماسونية الرمزية».

٢ - الماسونية الرمزية أو التأملية (Speculative Masonry)

هذا الميلاد الجديد للماسونية ظهر في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، عندما بدأت المحافل في قبول أعضاء من خارج مهنة البناء؛ وبالتالي أصبحت الماسونية أكثر تركيزاً على الرموز الفلسفية والأخلاقية المستوحاة من أدوات البناء وفنون العمارة، وهو ما سنوضحه الآن.

\*\*\*

الفصل الثالث  
صحة الماسونية  
(الماسونية الرمزية)

١ - نظرة عن كنب للمناخ الأوروبي

قبل كل شيء، يجب علينا رؤية الواقع الأوروبي قبل بدايات القرن الثامن عشر، لكي ندرس المناخ العام الذي سمح بحدثة الماسونية.

قبل صحوة الماسونية وتوسّعها العالمي؛ كانت البيئة الفكرية لأوروبا مناسبة لمثل هذه الأخويات، ففي القرنين السابقين لعملية الهيكل الماسونية الحديثة، مرت أوروبا بتغيرات جذرية وفاصلة في تاريخها الممتد، حيث ظهرت مبادئ إصلاحية جديدة تُرَوِّج للتفكير العقلاني والتمرد على التقاليد الخرافية - لا سيما الدينية - التي قادت غالبية القارة في قتامة العصور الوسطى، ومن أبرز الأحداث على الإطلاق: إنشاء «المذهب البروتستانتي»، وقيام «عصر التنوير».

ظهور البروتستانتية

باختصار؛ «البروتستانتية» هي حركة إصلاحية على شكل مذهب مسيحي جديد، أنشأه الراهب وعالم اللاهوت الألماني «مارتن لوثر» في نوفمبر ١٥١٧م، احتج من خلاله على بعض ممارسات الكنيسة الكاثوليكية، ثم انتشرت هذه الحركة الإصلاحية بسرعة من ألمانيا إلى أنحاء أوروبا، لتطالب المسيحيين بالعودة إلى تعاليم الإنجيل ونبد بعض التقاليد الكنسية التي لم تُذكر في النصوص الدينية، والتي كانت مجرد ذرائع لتحكم رجال الدين في السلطة.

وفيما يلي أبرز الفروق بين «الكاثوليكية» و«البروتستانتية» المستجدة:

١- المصدر الأساسي للتعاليم

الكاثوليكية: تؤمن بأن الكتاب المقدس (الإنجيل) والتقاليد الكنسية، هما مصدران أساسيان للتعاليم، أي أن التقليد الشفوي المكتوب الذي تطور عبر تاريخ الكنيسة يُعتبر مكملاً للتعاليم.  
البروتستانتية: اعتمدت هذا الحركة المستحدثة على مبدأ «الكتاب المقدس وحده» (Sola Scriptura) (156)، واعتبرته المصدر الوحيد للحقائق الدينية، ولم تعترف بالتقاليد الكنسية خارج الإنجيل، وآمنت بأن الخلاص يأتي بنعمة إلهية غير مستحقة لشخص مهما كان؛ كي يهبه لغيره (157).

٢ - السلطة الدينية

الكاثوليكية: ترى أن البابا هو رأس الكنيسة ويمثل السلطة العليا على المسيحيين في العالم، وله حق تفسير الكتاب المقدس والإرشاد.

البروتستانتية: ترفض سلطة البابا، وتؤمن بأن كل مؤمن له حرية تفسير الكتاب المقدس بنفسه (158).

٣- الطقوس والأسرار المقدسة

الكاثوليكية: تلتزم بسبعة أسرار مقدسة (مثل المعمودية، القربان المقدس، التوبة، الزواج، والتثبيت)

وتعتبرها ضرورية لتلقي النعمة.

البروتستانتية: تؤمن معظم الطوائف البروتستانتية بسرين فقط (المعمودية والعشاء الرباني)، وتعتبر الأسرار الأخرى رمزية أو غير ضرورية.

٤- الخلاص والغفران

الكاثوليكية: ترى أن الخلاص يأتي من الإيمان والأعمال الصالحة معاً، وأن هناك دوراً للكنيسة والطقوس في غفران الخطايا.

البروتستانتية: تؤمن بمبدأ «الإيمان وحده» (Sola Fide) كأساس للخلاص، حيث اعتبرت الإيمان ب«يسوع المسيح» كافٍ للوصول إلى الخلاص.

٥- الشفاعة والقديسون

الكاثوليكية: تسمح بالتوسل بالقديسين وطلب شفاعتهم، وترى أن السيدة «مريم العذراء» لها مكانة خاصة كوسيط روحي.

البروتستانتية: ترفض التوسل بالقديسين، وتؤمن أن الله وحده هو من يُتوجّه إليه بالدعاء والشكر، معتبرة أن «المسيح» هو الوسيط الوحيد<sup>(159)</sup>.

٦- الطقوس والعبادة

الكاثوليكية: تلتزم بطقوس رسمية في القداس، تتضمن الطقوس اللاتينية والكثير من الأيقونات والرموز.

البروتستانتية: تتميز طقوسها بالبساطة والمرونة، وغالباً ما تبتعد عن استخدام الرموز الدينية والزخارف.

٧- هيكلية الكنيسة

الكاثوليكية: تعتمد هيكلية هرمية صارمة، تبدأ من البابا ثم الكرادلة والأساقفة وصولاً إلى القساوسة. البروتستانتية: لا توجد هيكلية هرمية موحدة، حيث تدير كل كنيسة شؤونها حسب النظام الخاص بها. أثار هذا المذهب الإصلاحى الجديد جدلاً واضحاً في الأوساط الأوروبية المسيحية آنذاك، وتوافد عليه الآلاف بعد انتشاره في كل البقاع الأوروبية تباعاً، وكرّد فعل على اكتساحه ونجاحه؛ ظهرت حركة أخرى منافسة له من قلب الكنيسة الكاثوليكية المنافسة، سميت ب«الكاثوليكية الإصلاحية» أو «الإصلاح المضاد»<sup>(160)</sup>.

ظهور الكاثوليكية الإصلاحية

هدفت هذه الحركة إلى إصلاح الكنيسة الكاثوليكية من الداخل، وتجاوز الفساد وبعض الممارسات التي كانت محل انتقاد، والمتسببة في ظهور البروتستانتية، مع الحفاظ على التعاليم الكاثوليكية الأساسية والتصدي

للتفسيرات البروتستانتية الجديدة، وقاد هذا الإصلاح مجموعة من رجال الدين المتحمسين للتغيير مثل «إغناطيوس دي لويولا» و«جمعية اليسوعيين» التي أسسها عام ١٥٤٠ م.

خصائص الكاثوليكية الإصلاحية

**الإصلاح الديني الداخلي:** كانت الحركة تهدف إلى القضاء على الفساد الإداري والأخلاقي داخل الكنيسة؛ لا سيما فيما يتعلق ببيع صكوك الغفران والمناصب الدينية مقابل الأموال والعطايا. إعادة التبشير والتعليم: اهتمت بنشر التعليم الديني وتأسيس اللاهوت، وركزت على ترسيخ الإيمان الكاثوليكي وتعليم الأجيال الجديدة. اجتمع ممثلو هذه الحركة في ترنت بإيطاليا، لوضع خطة عمل هادفة، لتعزيز هذه الخصائص.

مجمع ترنت

عُقد المجمع الكنسي بين عامي ١٥٤٥ و١٥٦٣ م، في مدينة ترنت (أو ترينتو) الواقعة الآن في شمال إيطاليا<sup>(161)</sup>، وكان من أهم نتائجه تعزيز الانضباط الكنسي وتحديد المبادئ اللاهوتية الكاثوليكية الأساسية، مثل أهمية التقاليد الكنسية إلى جانب الكتاب المقدس، ورفض مبدأ التبرير بالإيمان وحده؛ الذي نادى به البروتستانتية، فيما أسماه مهرطقات البروتستانتية<sup>(162)</sup>. وقد شملت القضايا المحددة التي تمت مناقشتها ما يلي:

١ - الكنيسة كفسر نهائي للكتاب المقدس

التأكيد والتشبث بأحقية الكنيسة ورجال الدين فقط في تفسير الكتاب المقدس، وفرض أسس العبادات<sup>(163)</sup>.

٢ - التأكيد بقوة على الممارسات الكاثوليكية

رغم أن هذه الممارسات هي التي أثارت غضب المصلحين داخل الكنيسة، وهي التي تسببت في ظهور المذهب المضاد؛ فقد تم التأكيد على هذه الممارسات مجددًا، مثل: صكوك الغفران، والحج، وتبجيل القديسين والآثار المقدسة، وتبجيل «العدراء مريم»، وما قدمه هذا المجمع من جديد هو حظر إساءة استخدام هذه الممارسات فقط لا غير.

٣ - التأكيد على الطاعة والسلطة البابوية

في حين انتقدت البروتستانتية السلطة البابوية؛ دعت الكاثوليكية الإصلاحية إلى تأكيد وحدة الكنيسة تحت سلطة البابا باعتباره خليفة «القديس بطرس»<sup>(164)</sup>. وبهذا الشكل بدا وكأن الحركة الكاثوليكية الإصلاحية لا يمكن تصنيفها كحركة إصلاحية كما أطلقت على نفسها؛ لكن مسماها الأدق حركة مضادة، أو حركة رد فعل، أو حركة تأكيد على المبادئ.

في ظل هذا التأكيد والتمسك بالمبادئ الكنسية الكاثوليكية؛ أصبحت البروتستانتية جزءاً من العوامل المؤثرة في التحول الأوروبي نحو النهضة، هذا التحول فتح المجال لفكر أكثر حرية؛ وانتقاداً للسلطات الدينية والسياسية التي تُسيء استخدام السلطة، ومع ذلك لا يمكن القول بأن البروتستانتية هي التي أطلقت هذه النهضة أو كانت السبب الوحيد فيها، لكنها إلى حد ما كانت من المؤثرات المهمة، والمقصود بهذه النهضة: «عصر التنوير».

عصر التنوير

«عصر التنوير الأوروبي»: هو حركة فكرية وثقافية فلسفية، ازدهرت في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر<sup>(165)</sup>، وأحدثت تأثيراً منقطع النظير في العالم الغربي بأكمله، وظلت أسسها راسخة إلى الآن<sup>(166)(167)</sup>.

أبرز خصائص عصر التنوير

١ - التركيز على العقل والتفكير النقدي

رأى مفكرو التنوير أن العقل البشري قادر على فهم العالم وإيجاد حلول لمشاكله، بالتركيز على العقلانية والعلم والتفكير النقدي، واستنكروا التبعية العمياء للسلطات الدينية والسياسية<sup>(168)</sup>.

٢ - إعلاء شأن العلم والتجربة

عُرف أيضاً بتركيزه على قيمة المعرفة المكتسبة من خلال العقلانية والتجريبية والمثل السياسية، والتأكيد على أهمية التجربة والملاحظة، وبالفعل ازدهرت العلوم خلال هذا العصر وظهرت اكتشافات عديدة، أبرزها اكتشاف «قوانين الطبيعة».

٣ - الدعوة للحرية والمساواة

دعا مفكرو التنوير إلى حرية الفرد وحقوق الإنسان، وساهمت أفكارهم في تعزيز المفاهيم الحديثة حول الديمقراطية والعدالة الاجتماعية<sup>(169)</sup>.

٤ - نقد السلطة الدينية والتقاليد الخرافية

تبني التنويريون فكرة الفصل بين الدين والدولة، ودعوا إلى تحرير العقل من الخرافات والأساطير والتقاليد غير المبررة، والتحرر من السلطة التقليدية للكنيسة والإقطاع<sup>(170)</sup>. وبهذا الشكل اعتُبر عصر التنوير محطة مفصلية هامة، أدت إلى تغير جذري في الفكر الأوروبي والغربي بشكل عام، وجعل من القرن الثامن عشر زمناً للتحول نحو العلمانية في أوروبا.

النورة الصناعية الكبرى

عندما بدأت الثورة الصناعية في أوروبا الغربية في القرن الثامن عشر؛ وإحلال «المكننة» محل العمل

اليدوي، ظهرت الكثير من الإصابات بين العمال الذين لم يُجيدوا مثل هذه الأعمال، ولم يظهر آنذاك أي نوع من أنواع التأمينات على العامل؛ كالتأمين الصحي أو غيره، فأُفردت مساحة هائلة للنشاط الأخوي الماسوني؛ كتنظيم باشتراك مادي يقوم بما يشبه التكافل الاجتماعي الحديث.

وعن هذه الوقائع ككل؛ يقول الباحثون إن الماسونية الحديثة تأثرت وترعرعت بفضل هذه الإصلاحات المفصلية، بينما يجادل الماسونيون زاعمين أن للماسونية فضلاً في هذه الإصلاحات - دون إثباتات ملموسة. على كل حال؛ وفر التنوير بيئة مثالية لتطور الماسونية، خاصةً بعد تحول الماسونية من العملية إلى الرمزية وتطويرها لأفكارها القديمة؛ بما يتناسب مع تطلعات النخب والمفكرين الذين استخدموا المحافل كمنتديات للفكر الفلسفي والسياسي، بعدما أقبلوا عليها بسبب إعلانها لشعارات متوافقة مع ما حث عليه «عصر التنوير»، كالحرية والتسامح والمساواة وغير ذلك، ومع الإقبال الشديد على الماسونية - خاصةً من المثقفين والنبلاء - بدأت الماسونية تشهد انفتاحاً نظامياً جديداً.

ومفهوم «الانفتاح الماسوني» باختصار لا يعني الشفافية والتحرر من السرية كما يُشير المفهوم الحرفي للمصطلح، لكنه يُشير إلى الانطلاق والتمدد وفتح محطات وأوكار في غالبية أرجاء العالم، و«الانفتاح الماسوني» ليس حدثاً واحداً؛ بل هو عملية بدأت في عام ١٧١٧م، مع تأسيس أول محفل كبير في إنجلترا، واستمرت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، عندما بدأت الماسونية في استقطاب طوائف متنوعة من المتدربين؛ حتى أصبحت السجلات من تلك النقطة فصاعداً أكثر اكتفاءً.

\*\*\*

كما ذكرنا، بدأت الماسونية مبكرًا في الجزر البريطانية والاسكتلندية والأيرلندية، قبل أن تصل لاحقًا إلى أمريكا الشمالية والمستعمرات البريطانية وباقي الأنحاء، وتُلقب هذه المحافل (إنجلترا الكبير - أيرلندا الكبير - اسكتلندا الكبير)، بلقب «بيوت الدستور»، أو «بيوت المحافل الماسونية». ومما ذكرناه سابقًا؛ يتضح أن أقدم المحافل التي ظهرت في العصور الوسطى وقبل عهد الاتحادات في ١٧١٧م، هو الماسونية الاسكتلندية التي هي أصل الماسونية الأنجلوسكسونية.

#### المحافل الاسكتلندية القديمة

تعود أقدم السجلات الماسونية المكتوبة إلى اسكتلندا، واحدة من أقدم هذه الوثائق الماسونية المعروفة هي «سجل إدنبرة هاوس MS» لعام ١٥٩٨م، والتي اعتمدنا عليها لمعرفة تاريخ الماسونية المبكر بسبب احتوائها على «قوانين ويليام شاو»؛ الموضوع لتتنظيم عمل البنّائين الماسونيين.. هذه القوانين تُشير إلى وجود محافل ماسونية في اسكتلندا قبل هذه الفترة؛ بما يعني أن اسكتلندا ربما شهدت أقدم المحافل المنظمة، وهناك مزاعم تدّعي أن «محفل كيلوينينغ» في اسكتلندا هو أقدم محفل ماسوني معروف في العالم.

#### محفل كيلوينينغ (Kilwinning Lodge) - اسكتلندا

تاريخ التأسيس: ١١٤٠م (تقديريًا)

يُعرف أيضًا باسم «المحفل الأم رقم ٠» (Mother Lodge No. 0)، يُعتبر (مؤقتًا) أقدم محفل ماسوني معروف في العالم، (رغم عدم وجود دليل عيني يؤكد ذلك)، وكان يمثل تقاليد البنّائين الحرفيين الذين بنوا الأديرة والكاتدرائيات هناك في العصور الوسطى، وغالبًا ما يُطلق عليه اسم «المحفل الأم كيلوينينغ»<sup>(171)</sup>. تم ذكره في «قوانين شاو» الثانية، حيث كُتب: «يا حارس دير كيلوينينغ يجب أن تستغل كل ما لديك من ذاكرة وعلم، مستندًا إلى براعتك وعلى كل زميل لك في الحرفة، وفقًا لدرجة مهنتك»<sup>(172)</sup>.

#### محفل إدنبرة (Mary's Chapel) - اسكتلندا

تاريخ التأسيس: ١٥٩٩م

يُعتبر أحد أقدم المحافل المسجلة رسميًا، تم الاجتماع الأول في العاصمة الاسكتلندية إدنبرة، وكان هذا المحفل مفتوحًا في البداية للحرفيين العاملين في مجال البناء، ومع نهضة الماسونية، أصبح محفلًا رمزيًا يجمع بين الرموز الحرفية والفكرية، ويُعتبر لليوم أقدم محفل ماسوني (لا يزال موجودًا)؛ على الرغم من أن المحفل نفسه قد لا يكون قد أُسس في هذا العام وربما أقدم بحسب بعض الآراء؛ إلا أن سجلاته تمتد فقط إلى ذلك التاريخ، فأقدم محضر مؤرخ له يعود إلى يوليو من ذلك العام، مما يجعله أول محضر معروف لأقدم محفل - لا يزال قائمًا إلى الآن- في تاريخ الماسونية<sup>(173)</sup>.

وبخلاف هذين المحفلين، هناك محافل أخرى: كمحفل أبردين (Aberdeen Lodge)، ومحفل ديريمور (Lodge of Dumfries Kilwinning No. ٥٣) تمارس نشاطاتها منذ القدم، بالإضافة إلى محافل أخرى صغيرة تابعة.

هذه المحافل الاسكتلندية القديمة كانت أول من استضاف التجمعات الماسونية قبل أن تنتشر عالمياً وتأخذ شكلاً تنظيمياً أكثر وضوحاً، ورغم أن اسكتلندا تعتبر موطناً لأقدم المحافل الماسونية؛ لم تشهد اتحادات عظمى بين هذه المحافل إلا بعد إنجلترا، وهذا يعني أن إنجلترا تاريخياً هي صاحبة أول تنظيم حديث للماسونية، بدأ عندما شكّلت «المحفل الكبير» عام ١٧١٧م.

المحافل الإنجليزية القديمة

كان في إنجلترا محافل قديمة تم تأسيسها على الأرجح بعد المحافل الاسكتلندية، أشهرها:

محفل يورك (York Lodge) - إنجلترا

هو المحفل القديم بمدينة يورك الإنجليزية، والذي ارتبط امتداده بـ «أسطورة يورك الماسونية»، تأسس بشكل شبه نظامي في أوائل القرن السابع عشر، ثم بزغ نجمه منذ عام ١٧٠٥م باسم «الجمعية القديمة للماسونيين في مدينة يورك»، وبرغم ثبوت هذا التاريخ، هناك ادعاءات بأنه قائم منذ عهد «أثيلستان» بالقرن العاشر؛ كما تقول المخطوطات السابق ذكرها، لكن الإشكالية تكمن في عدم وجود محاضر أو قوانين توثق ذلك (كما حدث مع «المحفل الأم كيلوينينغ» باسكتلندا)، إلا أن الأبحاث أشارت إلى أن مدينة يورك كانت موقعاً قديماً للتجمعات الماسونية؛ قبل الاتحاد الأول عام ١٧١٧م<sup>(174)</sup>.

لم يكن محفل يورك هو الوحيد القائم في إنجلترا في هذا الوقت، فحتى في لندن كان هناك العديد من المحافل التي أُسست ما بين القرن السابع عشر والثامن عشر، لكنهم كانوا بعد «محفل يورك» (بحسب الادعاءات اليوركية الأسطورية)، وقبل الوصول لعام ١٧١٧م.

كان في إنجلترا عموماً عشرات المحافل الماسونية المختلفة التي لم تدخل في هيئة تنظيمية موحدة، إلى أن شهد العالم تأسيس أول محفل أعظم في إنجلترا، وهو ما يُعتبر البداية الرسمية للماسونية الحديثة.

قيام المحفل الأعظم الأول في إنجلترا

اجتمع أربعة محافل تنافسية في لندن لتشكيل «المحفل الأعظم المتحد» الأول في التاريخ، والذي عُرف باسم «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر»، ومن يومها فُتح باب للاندماجات والتكتلات الماسونية المنظمة على مستوى العالم كله.

المحافل الأربعة التي شكّلت المحفل الأعظم:

محفل «Goose and Gridiron» (في كنيسة القديس بولس).

محفل «Crown» (في شارع باركر).

محفّل «Apple Tree» (في شارع تشارلز).

محفّل «Rummer and Grapes» (في شارع كنغ).

تم الاجتماع التاريخي الأول في Goose and Gridiron، بساحة كنيسة القديس بولس، في ٢٤ يونيو ١٧١٧م (عيد القديس يوحنا المعمدان)، واتفقت المحافل الأربعة على الاندماج وتوحيد المراسم والطقوس تحت اسم «المحفّل الأعظم للندن ووستمنستر»؛ وعلى أن يجتمعوا أربعة اجتماعات في السنة لإنجاز الأعمال الماسونية، بالإضافة إلى جمعية سنوية لانتخاب «الرئيس الأعظم» التالي، وفي هذا الاجتماع انتخبوا «أنتوني ساير» (رئيس محفّل Apple Tree) والذي لا يُعرف عنه سوى القليل، وكان جميع «المُعلمين الكبار» (سادة الحرفة) من النبلاء<sup>(175)</sup>.

على الرغم من هذا الاندماج الكبير؛ يرى بعض الباحثين أنهم اعتبروا أنفسهم في البداية مجرد جمعية لمحافل لندن، قبل أن تتغير هذه الرؤية بعدها بقليل<sup>(176)</sup>، ومع ذلك؛ يُعتبر تأسيس «المحفّل الأعظم» حدثًا كبيرًا في تاريخ الماسونية، حيث وقر هيكلاً تنظيميًا جديدًا ووحّد قواعد الماسونية الإنجليزية بين المحافل المختلفة، مما ساهم في انتشارها وبقائها.

نشر الدساتير المطبوعة

بعد مرور عام على إنشاء هذا المحفّل المتحد، تولى المسؤول الإنجليزي والماسوني البارز «جورج باين» في عام ١٧١٨م - أثناء ترشحه لمنصب الرئيس الكبير الثاني للمحفّل - كتابة اللوائح العامة للتنظيم، وتم العمل بها وإشهارها للأعضاء أثناء تنصيبه الثاني في دورة جديدة كـ «رئيس أعظم» في عام ١٧٢٠م<sup>(177)</sup>. التاريخ المبكر لـ «المحفّل الأعظم في لندن ووستمنستر» غير مؤكد، حيث لم يتم تدوين أي محاضر منذ عام الاندماج ١٧١٧م وحتى عام ١٧٢٣م، لذلك لا يُعرف سوى القليل جدًا عن هذه الفترة بسبب نقص المحاضر والمواد المكتوبة، لكن في وقت ما خلال هذه الفترة؛ تم تكليف القس الدكتور «جيمس أندرسون» بكتابة «دساتير «الماسونيين الأحرار»، التي تحتوي على تاريخ ورسوم ولوائح تلك «الأخوية الأقدم والأكثر صوابًا: لاستخدام المحافل»، وتم تقديم الكتاب للموافقة عليه من قبل «المحفّل الأعظم»، ونُشر بأمر من «الرئيس» في عام ١٧٢٣م، وللمرة الأولى كانت الماسونية بأكملها - باستثناء الطقوس - متاحة في كتاب مطبوع<sup>(178)</sup>، كما سبق وذكرنا هذا بالترتيب، وصولاً لهذه اللحظة.

مع مرور السنوات الأولى لـ «المحفّل الأعظم في لندن ووستمنستر»، كان هناك محافل أخرى في إنجلترا لم تنتسب أبدًا إليه، لا سيما «محفّل يورك»، وكان يُشار إلى هؤلاء الماسونيين غير المنتسبين ومحفّلهم باسم: «الماسونيين القدامى» أو «ماسونيين القديس يوحنا»<sup>(179)</sup>، وتذكر المحاضر أن في عام ١٧٢٥م كان هناك محافل في عشر مدن إقليمية في أقصى الشمال<sup>(180)</sup>، كان أبرزهم: «محفّل يورك»، الذي اعتُبر محفلاً أمًا للعديد من هذه المحافل في الشمال.

المحفّل الأعظم لعموم إنجلترا في يورك

كانت «الجمعية القديمة للماسونيين في مدينة يورك»، عبارة عن هيئة من الماسونيين الذين كانوا متواجدين بشكل متقطع خلال القرن الثامن عشر، وكان مقرهم الرئيسي في مدينة يورك البريطانية.. لا يبدو أنهم كَوّنوا هيئة تنظيمية بالطريقة المعتادة لـ«المحفل الأعظم المتحد»، وبالتالي يُنظر إليه على أنه «محفل أم» مثل كيلوينينج في اسكتلندا، كانت مهمته استقطاب ماسونيين جدد، حتى تمكّن من تأسيس محافل جديدة في الشمال، أي أنه بمثابة منبع لميلاد منافسين جدد لـ«اتحاد لندن ووستمنستر».

في ٢٧ ديسمبر ١٧٢٥ م (عيد القديس يوحنا الرسول) وبعد عام من النشاط الدؤوب؛ أراد أعضاؤه التوسع على غرار «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر»، وأطلقوا على أنفسهم اسم «المحفل الأعظم لعموم إنجلترا الذي اجتمع منذ زمن سحيق في مدينة يورك»، ربما كان سبب النشاط المفاجئ الذي بدأ في وقت سابق من ذلك العام؛ هو تداول «دساتير أندرسون المطبوعة»، وكذلك تشكيل نُزل منافس في دورهام<sup>(181)</sup> تحت ولاية المنافس التقليدي «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر».

تم انتخاب الأخ «تشارلز باثورست» سيدًا أعظم، وأعلن أعضاء «محفل يورك» أحقيتهم على جميع المحافل الماسونية<sup>(182)</sup>، واستشهدوا بـ«أسطورة يورك» للمطالبة بالأسبقية على جميع المحافل الإنجليزية الأخرى<sup>(183)</sup>.

تنافس محفل لندن ومحفل يورك

هذا الشكل، ظهر تنافس بين «محفل يورك» و«محفل لندن»، حيث كان كل منهما يسعى ليكون القوة المسيطرة على الحركة الماسونية في إنجلترا، وكان الفرق الواضح بينهما:  
- «محفل يورك» ركز بشكل أكبر على الحفاظ على التقاليد القديمة للماسونية.  
- أما «محفل لندن» فكان أكثر انفتاحًا على التحديث والتغيير.

بينما يرى باحثون آخرون أنه لا ينبغي تفسير هذا على أنه تنافس، حيث لم يكن هناك تداخل في الاختصاصين، والواقع أن «تاريخ أندرسون» نفسه هو السبب الرئيسي في تبجيل «المحفل الأعظم الأقدم في يورك»، حيث ذُكر تاريخ يورك الماسوني بتقديس كبير، واعترفت «دساتير أندرسون» باستقلال «المحفل القديم في مدينة يورك»<sup>(184)</sup>.

قيام المحفل الأعظم الأول في أيرلندا

هناك أدلة كثيرة على أن المحافل الماسونية بأيرلندا كانت تجتمع في أيرلندا قبل القرن الثامن عشر، كما توجد إشارات إلى اجتماعات المحافل في جميع أنحاء دبلن في وثائق كلية ترينيتي سابقة الذكر؛ التي يعود تاريخها إلى عام ١٦٨٨ م، كما أن أقدم «قطعة أثرية» للماسونية الأخوية في أيرلندا وواحدة من أقدم القطع الأثرية الماسونية في العالم هي: القطعة الأثرية المكتشفة في «ساحة جسر بعل»، التي تم اكتشافها في عام ١٨٣٠ م، عندما جرت أعمال استبدال جسر تيودور ذي الأقواس الأربعة فوق نهر شانون في مقاطعة ليمريك، وخلال أعمال الحفر للهيكل الجديد تحت الزاوية الشرقية لأساس الرصيف البري الشمالي، اكتشفوا

فجأة قطعة أثرية صغيرة يبلغ قياسها ٧/٨ بوصات (١٤٩ مم) من طرفها إلى طرفها، ويشير الاكتشاف إلى أن الماسونية كانت تُمارَس في هذا الموقع بأيرلندا منذ أكثر من ٥٠٠ عام، وتحديدًا عام ١٥٠٧م، حيث نُقش على هذه القطعة عبارة:

«سأسعى جاهدًا للعيش بحب ورعاية على المستوى، وبجانب المربع»<sup>(185)</sup>.

وتاريخيًا؛ خلال فترة التوسع الماسوني تم إنشاء «المحفل الأعظم لأيرلندا» كثاني أقدم محفل كبير للماسونيين في العالم، بعد «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر»، (وقبل اتحاد محفل يورك الأعظم).. لم يُعرف وقت إنشائه بالتحديد، لكنه حتمًا أنشئ قبل تاريخ ٢٤ يونيو ١٧٢٥م، حيث ظهر أقدم مرجع يُشير إلى «المحفل الكبير لأيرلندا» من مجلة Dublin Weekly Journal، بتاريخ ٢٦ يونيو لنفس العام، حيث وصف المقال اجتماعًا للمحفل الكبير لتنصيب رئيس المحفل الكبير الجديد: «إيرل روس» في ٢٤ يونيو.

مع الوقت أصبح هذا المحفل هو الهيئة التنظيمية الكبرى لجميع أنحاء أيرلندا، بعد أن استغرق عقودًا من الزمان لإخضاع جميع المحافل الأيرلندية لجناحه، حيث ظهرت المحافل الكبرى المنافسة بسرعة في كورك (مثل المحفل الكبير في مونستر).<sup>(186)</sup>

قيام المحفل الأعظم الأول في اسكتلندا

ذكرنا سابقًا أن تاريخ الماسونية في اسكتلندا يُعتبر هو الأقدم، ورغم ذلك؛ تأخرت محافلها عن اللحاق بركب الانفتاح، فلم تظهر بشكل رسمي إلا بعد نحو عقدين من تأسيس «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر» (١٧١٧م)، وحوالي عقد من تأسيس «المحفل الكبير لأيرلندا» (١٧٢٥م على أقل تقدير)، حيث أنشئ ما يُعرف بـ «المحفل الأعظم لاسكتلندا» (Grand Lodge of Scotland) في ٣٠ نوفمبر ١٧٣٦م<sup>(187)</sup>، وكان اسمه القديم «المحفل الأعظم للماسونيين الأحرار والمقبولين القدامى في اسكتلندا»، وقد تم إنشاؤه بمشاركة أكثر من ثلث المحافل الاسكتلندية آنذاك، وأول أستاذ أعظم للمحفل كان «ويليام سانكلير»، الذي يعود نسبه إلى عائلة سانكلير المرتبطة بـ «كنيسة روسلين» الشهيرة، وأسطورة «فرسان الهيكل».

كان هناك العديد من المحافل الموجودة كذلك باسكتلندا قبل هذا الاتحاد؛ حافظت على تقاليدها بقوة، وبعد التوحيد سُمح لها بالاحتفاظ بإجراءاتها الخاصة وشعاراتها وطقوسها المستقلة<sup>(188)</sup>.

وبهذا الشكل؛ يتبين أن المحافل العظمى الأولى تمت بالتوالي: إنجلترا، ثم أيرلندا، واسكتلندا. وبالعودة إلى الأوضاع الماسونية في لندن، سنجد هناك حدثًا كبيرًا قد تم في هذا الوقت.

الانهيار النسبي للمحفل الأعظم في لندن

مع التوسع الماسوني المفاجئ بلندن الذي لم يستوعبه الأنصار أنفسهم، كان هناك توسع مماثل للجماعات والمنشورات المناهضة للماسونية، وبدأت الصحف في الإبلاغ عن المبادرات الماسونية. ومنذ عام ١٧٢١م إلى عام ١٧٤٧م شهدت الماسونية الكثير من السُّخرية؛ لدرجة أنه في عام ١٧٤٠م نُظمت مواكب ساخرة

لمحاكاة مواكب الماسونيين بطريقة تهكمية من قبل مجموعات مناهضة للماسونية، مما أدى إلى وقف الممارسة في عام ١٧٤٧ م.

لم يكن ذلك هو السبب الوحيد لإحباط الماسونية؛ لكن التوسع السريع كان سلاحًا ذا حدين، فمع الزخم الكبير؛ ظهرت الفوضى التي أدت إلى فشل العديد من المحافل الجديدة بعد عام أو عامين فقط، بالإضافة إلى الهجمات من خارج الحرفة؛ ناهيك عن ظهور ماسونيين سابقين منشقين فضحوا أسرار التنظيم مقابل المال<sup>(189)</sup>، حتى عمّت الفوضى الأجواء الماسونية اللندنية.

الانقسام الكبير للمحفل الأعظم في لندن

في ظل هذه الفوضى وفي ظل انكماش النشاطات الماسونية؛ حدث انقسام كبير في «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر»، وانقسم الماسونيون إلى مجموعتين رئيسيتين:

١- الحدائيون

هؤلاء كانوا أعضاء في «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر»، يميلون إلى تطوير الطقوس والقوانين بما يتناسب مع العصر الحديث وأفكار التنوير، خاصةً بعد سلسلة من التهكم والسخرية.

٢- القدامى

كانوا مجموعة أخرى تقليدية رافضة لأي تطوير؛ لذلك انفصلت عن المحفل الأعظم في لندن ككناية عن رفضهم لأي مقترحات حديثة، وفضّلت الحفاظ على الطقوس والتقاليد القديمة، بينما هناك رأي آخر يقول إنهم لم ينفصلوا، بل تم فصلهم بعدما عرّضوا أنفسهم للسخرية، من خلال مشيهم من الكنيسة إلى المحفل بالزي الرسمي، مما اعتبره «الحدائيون» موكبًا غير مصرح به<sup>(190)</sup>.

هؤلاء القدامى المنفصلون أو المفصولون؛ اجتمع ممثلون عنهم في حانة رأس الترك في شارع جريك، سوهو، لندن، في ١٧ يوليو ١٧٥١ م، وشكّلوا محفلًا كبيرًا منافسًا تحت اسم «المحفل الأعظم للقدامى الماسونيين في إنجلترا»، المعروف باسم «المحفل الكبير لإنجلترا وفقًا للمؤسسات القديمة»، واعتبروا أنفسهم يارسون شكلاً أقدم، وبالتالي أنقى من الماسونية العريقة، واستمر هذا الانقسام لعقود<sup>(191)</sup>. وبهذا الشكل؛ كان هناك محفلان أعظمان في إنجلترا يعملان بشكل منفصل، إلى جانب المحفل الأم في يورك الذي ينجب محافل أخرى صغيرة منافسة.

انتعاش محفل يورك

كان نشاط «محفل يورك» قد توقف في وقت ما في ثلاثينيات القرن الثامن عشر، لكنه عاد بقوة متجددة في عام ١٧٦١ م. وخلال هذه الفترة الثانية من النشاط؛ استغل «محفل يورك» الانقسام بين «الماسونيين القدامى» و«الماسونيين الحدائين»، وتمكن من استقدام جزء كبير من القدامى، وأقنعهم بالانضمام مع إخوانهم الشماليين، خاصةً أن «محفل يورك» رؤيته كلاسيكية ويتبنى نفس أفكارهم التقليدية. وبعد

مفاوضات؛ اندمج «المحفل الكبير لإنجلترا» وفقاً للمؤسسات القديمة» مع «محفل يورك» بين عامي ١٧٧٩ و١٧٨٩م، تحت اسم «المحفل الأعظم لعموم إنجلترا جنوب نهر ترينت»، وبهذا الشكل أصبح الماسونيون اللندنيون المتمردون لمدة عشر سنوات، جزءاً من هذا المحفل<sup>(192)</sup>.

الاندماج الكبير بين المحافل الإنجليزية

مرة أخرى أُحِبَّت نوايا «محفل يورك»، فبعد فترة وجيزة استرد «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر» عافيته، وسلك مسلكاً تفاوضياً مع «الماسونيين القدامى» المنشقين، وبناءً على ذلك؛ أقنعهم بالانسحاب من «محفل يورك» ليعودوا كما كانوا.

بعد العودة؛ في ٢٧ ديسمبر ١٨١٣م تم تحقيق اندماج تاريخي بين «الحداثيين» و«القدامى» في قاعة الماسونيين بلندن، بحضور الأمير «أوغسطس فريدريك» دوق ساسكس (الابن الأصغر للملك جورج الثالث) الذي تم تنصيبه رئيساً أعظم، ونجحت محاولة المصالحة للتوفيق بين الطقوس التي تم إجراؤها تحت المحفلين الأعظمين السابقين، مما أدى إلى الاندماج التاريخي الأعظم بين «الحداثيين» و«القدامى»، وتأسيس «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا» عام ١٨١٣م<sup>(193)</sup>، والذي لا يزال الهيئة الرسمية التي تُشرف على الماسونية في إنجلترا حتى يومنا هذا.

نتائج الاندماج:

- ١ - توحيد القواعد والطقوس الماسونية، مما ساهم في نشر الماسونية بشكل أكبر.
  - ٢ - إنشاء هيكل تنظيمي قوي يدير المحافل الماسونية في إنجلترا وخارجها.
  - ٣ - انتشار الماسونية المتحدّة وتمديد نفوذها للسيطرة بإحكام على الماسونية التي انتشرت في المستعمرات البريطانية، مما ساعد في ترسيخها كحركة عالمية بأذرع بريطانية.
- ونستنتج مما ذكر؛ أن «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر» الذي بدأ عام ١٧١٧م؛ كان بداية تنظيم الماسونية الحديثة، لكن الاتحاد الكبير الذي حدث بين «القدامى» و«الحداثيين» في عام ١٨١٣م في شكل «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا»، يعتبر البداية الحقيقية لما يُعرف الآن بالماسونية العالمية ككيان شبه موحد.
- لكن ما هو مصير «محفل يورك» المنافس؟

مصير محفل يورك الأعظم

مثلما حدث في لندن جاء الدور عليه، شهدت الماسونية في يورك أيضاً انقساماً بين الحداثيين والقدامى، ومن ثمّ أفل نجم محفلهم، وانضم غالبية أعضائه إلى الاتحاد الذي حدث في لندن، وتدرجياً تم توحيد المحافل الماسونية في إنجلترا تحت لواء «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا»؛ مما أدى إلى إنهاء التنافس بين لندن ويورك.. وبحسب كتابات القس الماسوني «أدولفوس فريدريك ألكسندر وودفورد»، لم يتوقف هذا المحفل عن الوجود؛ بل تم استيعابه ببساطة تدرجياً بواسطة «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا»<sup>(194)</sup>.

نشأ سِجال آخر في اسكتلندا، حينما اتفق الماسونيون هناك على رصد تاريخ الماسونية لتحديد الأقدمية وفقاً لتاريخ محاضر المحافل، وبسبب حريق التهم بعض السجلات؛ عدّوا بداية سجلات «محفل كيلوينينج» في عام ١٦٤٢م، أي في المركز الثاني من حيث الأقدمية بعد سجلات «محفل كنيسة سانت ماري في إدنبرة»؛ مما تسبب في غضب أعضاء «محفل كيلوينينج»، بسبب الاعتراف بهم باعتبارهم المحفل الثاني في الدستور، وقرروا سحب تبعيتهم من «المحفل الأعظم في اسكتلندا» في عام ١٧٤٣م، واستقل «محفل كيلوينينج» كمحفل أعظم آخر، وقام باستئجار حوالي ٧٠ محفلاً في اسكتلندا وخارجها، ونشب التنافس بين المحفلين وتجاهلا بعضهما على المستوى الرسمي. وبرغم عدم التصريح بالعداء المباشر؛ حُظر زيارة الماسونيين لبعضهما في محافل الولايات القضائية المتنافسة، وبشق الأنفس عاد «محفل كيلوينينج» للاتحاد عام ١٨٠٧م، وتم الاعتراف بأقدميته، قبل أن يتم دمجها أو استيعابه كجزء من الاتحاد الماسوني الاسكتلندي الأوسع المعروف بـ «Grand Lodge of Scotland» (المحفل الكبير في اسكتلندا).

\*\*\*

بدأت الماسونية الأنجلوساكسونية (كما تمارسها المحافل الإنجليزية والأيرلندية والاسكتلندية الكبرى) في الوصول إلى العديد من بلدان العالم في أوروبا وخارج أوروبا في النصف الأول من القرن الثامن عشر، ورغم تركيزها على المبادئ التنويرية، احتفظت بأبعاد دينية وأخلاقية أكثر صرامة، أهمها بلا منازع: استمرار التقليد القديم الذي يُلزم الأعضاء بالإيمان بوجود خالق - مهما كان دين العضو - وتمجيده كـ «مهندس أعظم للكون».

وهذا ليس معناه أن الماسونية لم تصل لأوروبا إلا بعد عهد الاتحادات في إنجلترا؛ لكن المقصود «رسمية المحافل»، فالماسونية القديمة ككمارسة كانت موجودة كذلك في بعض البلدان الأوروبية قبل القرن الثامن عشر، ومن أهم هذه الدول فرنسا.

الماسونية في فرنسا

تاريخياً الماسونية في مملكة فرنسا عتيقة، تطورت مثل نظيرتها الإنجليزية تماماً، من نقابات البنائين في العصور الوسطى، حتى بدأت تنتشر بين الطبقات المثقفة والنبلاء الفرنسيين في النصف الأول من القرن الثامن عشر، ويُعتقد أن الماسونية بفرنسا كمنظمة ذات محافل؛ تم تأسيسها أصلاً على يد الإنجليز، وتحديدًا على يد «اليعاقبة المنفيين» هناك، وهم أولئك الذين كانوا مؤيدين للملك المخلوع «جيمس الثاني» من آل ستيوارت، الذين اضطروا للفرار من بريطانيا بعد فشل محاولاتهم العسكرية والسياسية لإعادة العرش إلى الملك «جيمس الثاني»، الذي حُلع عن العرش في «الثورة المجيدة» عام ١٦٨٨م، وتم نفيهم في الغالب إلى فرنسا وحظوا بدعم ملكي من بعض الدول الأوروبية، خاصة من الملك «لويس الرابع عشر» ملك فرنسا آنذاك (195).

كانت الماسونية الفرنسية في البداية وسيلة للقاء والتواصل بين النخب المثقفة، ومع ازدياد شهرتها، انضم إليها شخصيات بارزة من مختلف المجالات.

المحفل الكبير لفرنسا

هناك حكاية شعبية مبنية على الاعتقاد الذي ذكرناه - غير مدعومة بوثائق - تقول إنه في عام ١٦٨٨م؛ تم تدشين محفل قديم، باعتباره نُزلاً عسكرياً مرتبطاً بالفوج الملكي الأيرلندي لـ «إيرل جرانارد»، والذي شكّله «تشارلز الثاني» ملك إنجلترا في سان جيرمان عام ١٦٦١م، قبل عودته إلى إنجلترا مباشرة، وأن هذا الفوج ظل مخلصاً لآل ستيوارت، لكن يعتبر العلماء المعاصرون عادةً نزل عام ١٦٨٨م مجرد حكاية شفاهية ليس لها دليل (196).

وعن جذور «محفل فرنسا الكبير»؛ يزعم بعض الباحثين أن بدايته كانت في دونكيرك عام ١٧٢١م، تحت اسم «Amitié et Fraternité» (محفل الصداقة والأخوة) على نفس طريقة المحافل البريطانية (197)، وأن هذا

التاريخ بمثابة نقطة الانطلاق شبه الرسمية قبل أن يتم نقله إلى باريس في عام ١٧٢٥م، وهذا يعني أنه ربما كان امتدادًا للمحفل الأول؛ إن صح هذا الادعاء. وقالوا إن هذا المحفل تأسس على يد الإنجليز لكي يجتمع فيه الأيرلنديون واليعاقبة المنفيون، وأنه اتبع التقاليد الماسونية البريطانية بشكل صارم، ويُعتقد أن الرئيس الأول الكبير كان النبيل الإنجليزي والسياسي اليعقوبي: «فيليب وارتون»<sup>(198)</sup> (١٦٩٨-١٧٣١م)، لكن ما زال هناك جدل حول هذه الادعاءات، فنسبةً لأقدم الأختام يُعتبر تاريخ تأسيسه الرسمي والموثق في السجلات التاريخية هو ٢٤ يونيو ١٧٣٨م.

وبعيداً عن الاختلافات حول تاريخ إنشائه؛ فهذا المحفل كان محلياً إلى حد كبير، أو بمعنى أوضح لم يكن محفلاً كبيراً بالمعنى التنظيمي الدولي؛ لكنه كان محاولة لتأسيس كيان ماسوني مستقل، رغم اعتماده بشكل كبير على التأثير القادم من إنجلترا، لذلك؛ شهد من الوهلة الأولى صراعاً بين التقاليد الفرنسية والإنجليزية.

في عام ١٧٣٧م؛ بعدما ألقى «أندرو مايكل رامزي» خطابه الشهير الذي ناقشناه، والذي ربط بين الماسونية و«فرسان الهيكل الصليبيين»، كان لهذا الخطاب تأثير كبير على تطوير العديد من الدرجات الجانبية للماسونية عموماً خلال الفترة ١٧٤٠ - ١٧٧٠م، كما كان له تأثير ملحوظ في فرنسا وترسيخ محفلها الكبير، حيث تسبب في إقبال الأعضاء الفرنسيين الجدد بغزارة؛ مما جعل منه محفلاً نشيطاً.. وما عزز ذلك؛ أن «دساتير أندرسون» ذكرت وجود الماسونية في فرنسا وحدتها، لتكون مساوية لمحافل يورك وأيرلندا واسكتلندا وإيطاليا من حيث العراقة<sup>(199)</sup>.

مع حلول ١١ ديسمبر ١٧٤٣م؛ تم توسيع المحفل بدعم بريطاني بغرض تحجيم نفوذه، وأقيم مرةً أخرى في ثوب إنجليزي جديد، ونُصّب كونت مدينة كليرمون فيران «لويس دي بوربون» (١٧٠٩-١٧٧١م)<sup>(200)</sup>، الذي حظي بدعم كبير من إنجلترا، كرئيس كبير وقتها<sup>(201)</sup>، مع التأكيد على اتباع التقاليد والطقوس الماسونية الإنجليزية بشكل أكثر صرامة؛ حتى أصبح بمثابة الامتداد الرسمي للماسونية البريطانية في فرنسا. وخلال القرن الثامن عشر - خصوصاً تحت رعاية كونت كليرمونت (حتى وفاته في ١٧٧١م) - شهدت الماسونية الفرنسية استقراراً ملحوظاً وتوسعاً في أعداد المحافل والأعضاء؛ مما جعل «محفل فرنسا الكبير» مؤسسة قوية، وبدا أنها مستقبلاً سيكون لها طابعها الخاص؛ هذا على الرغم من أن إدارة المحفل كانت في أيدي سلسلة من النواب الذين يتبعون في النهاية الضوابط الإنجليزية الحازمة، لكن حماية الكونت للكيان منح الماسونية الفرنسية فترة من الاستقرار والنمو.

الماسونية في إيطاليا

تاريخ الماسونية العتيقة بإيطاليا غير معروف على وجه التحديد، لكن يعود تاريخ الماسونية المنظمة في إيطاليا إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر، حيث تسجل إحدى محاضر عام ١٨٤٥م أن محفلاً يُسمى «فيديليتاس» تم تأسيسه في عام ١٧٢٣م بمنطقة جيريفالكو في كالابريا، التابعة لمملكة نابولي التي كانت جزءاً من مملكة الصقليتين. وعلى الرغم من عدم وجود سجلات أخرى تؤكد ذلك؛ غالباً ما يُستشهد بهذا

المحفل باعتباره أول محفل ماسوني في إيطاليا، ويُزعم أن هذا التخطيط مدعائه نقص الوثائق بسبب حرق «موسوليني» والفاشيين للعديد من الوثائق في عشرينيات القرن العشرين، على إثر مناهضته للماسونية؛ كما سيرد ذكره (202).

مع مرور الوقت والوصول لأغسطس ١٧٣٢م، كان اللورد البريطاني «تشارلز ساكفيل» (والذي أصبح لاحقاً دوق دورست الثاني)، قد أسس «محفل لا لوجيا ديجلي إنجليسي» في فلورنسا، التي كانت لا تزال تحت حكم أسرة ميديشي، حيث كانت تُعتبر عاصمة دوقية توسكانا، واجتذب المحفل لاحقاً النبلاء والمثقفين بفلورنسا، وبعد ذلك تم تشكيل محفلين في عامي ١٧٦٣ و ١٧٦٥م بليفورنو، التي كانت أيضاً جزءاً من دوقية توسكانا، تحت جناح «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر»، والذي أنشأ محفلين آخرين في نفس المدينة في عام ١٧٧١م، كما تم تشكيل محافل أخرى عندما تم إيواء القوات الفرنسية في ليفورنو في عامي ١٧٩٦-١٧٩٧م.

تم إغلاق هذه المحافل كلها لاحقاً من قبل الدوق الأعظم: «فرديناند الثالث» أرشيدوق النمسا، من عائلة هابسبورغ - لورين، في عام ١٨٠٠م؛ عندما استولى على توسكانا وحكمها، لكن عندما بدأت «الحروب النابليونية» وسيطرت فرنسا على توسكانا عام ١٨٠١م؛ انتعشت الماسونية الفرنسية فيها مجدداً، لكن مرة أخرى مع سقوط «نابليون» وإعادة الدوق «فرديناند الثالث» عام ١٨١٤م إلى حكم توسكانا بدعم من القوى الأوروبية المنتصرة في مؤتمر فيينا تقلصت الماسونية، ويعتبر نهاية الحكم الفرنسي على توسكانا في عام ١٨١٤م، بمثابة نهاية الماسونية الفرنسية آنذاك (203).

الماسونية في إسبانيا

تم تسجيل الماسونية في مملكة إسبانيا لأول مرة في ١٥ فبراير من عام ١٧٢٨م، من خلال محفل إنجليزي باسم «محفل La Matritense» (في ماتريتس)، وفي سجلات أخرى اسمه: «Las Tres Flores de Lys» (زهور ليز الثلاثة)، ربما سُمي بذلك تيمناً باسم الفندق الذي أُقيم فيه في شارع سان برناردو في مدريد، وترأس المحفل أحد كبار الأساتذة السابقين لإنجلترا؛ النبيل اليعقوبي سابق الذكر «فيليب وارتون»، من أجل منح الرئاسة لـ «تشارلز دي لايبلي»؛ بعدما مُنح هذا المحفل إذناً من قبل «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر» في ٢٩ مارس ١٧٢٩م، وتم وضع المحفل على القائمة باعتباره رقم ٥٠ (204).

وبسبب أن العديد من المراسيم البابوية أدانت الماسونية؛ فقد بذلت «محاكم التفتيش الإسبانية» قصارى جهدها لإغلاق المحافل وتشويه سمعة الماسونيين، وبالتالي؛ فإن نجاح الماسونية من عام لآخر كان يعتمد على تعاطف أو كراهية النظام الحاكم لها، ورغم هذه التقلبات والتحديات القهرية؛ تم تشكيل محافل كبرى بإسبانيا لاحقاً.

الماسونية في المستعمرات البريطانية بأمريكا الشمالية

انتشرت الماسونية من الجزر إلى المستعمرات البريطانية خلال العصر الاستعماري، وكانت المحافل الأولى

في أمريكا (التي كانت تُسمى المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية) قد دُشنت تحت سلطة المحافل الإنجليزية، مما جعلها جزءاً من النسيج الاجتماعي المرتبط بالسياسات البريطانية، وبدءاً من عام ١٧٣٠م؛ بدأ «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر» في إصدار أوامر للمحافل الكبرى الإقليمية في المستعمرات.

المحفل الكبير الأول في المستعمرة الأمريكية

يعتبر محفل «كوكس» أو «المحفل الإقليمي الكبير في بنسلفانيا ونيوجيرسي ونيويورك»؛ أول محفل في المستعمرات البريطانية لأمريكا الشمالية - بشكل غير قانوني - حيث تأسس عام ١٧٣٠م (205)(206)، وتم الاحتفاء بالاسكتلندي «جون سكينى» وتكريسه من قبل «محفل كوكس» باعتباره أول مقيم ماسوني في أمريكا، حيث كان قد قَدِم في عام ١٦٨٢م كأول ماسوني يدخل البلاد، وفي عام ١٧٣٣م منح «هنري برايس» الرئيس الإقليمي الأعظم لـ «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر» والحاكم الإقليمي الأعظم لنيو إنجلاند والممتلكات والأراضي التابعة لها؛ ميثاقاً لمجموعة من الماسونيين في بوسطن، سُمي هذا المحفل فيما بعد بـ «محفل القديس يوحنا»، ليكون أول محفل يتم تأسيسه بشكل قانوني في المستعمرات بعد ثلاث سنوات من المحاولات (207).

تلاه محافل أخرى كـ «المحفل الإقليمي الكبير لنيو إنجلاند» الذي تأسس في نفس العام ١٧٣٣م، ثم «المحفل الإقليمي الكبير لولاية كارولينا الجنوبية» عام ١٧٣٦م (208)، حيث سمح «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر» بين عامي ١٧٣٣ و١٧٣٧م، بإنشاء محافل إقليمية أخرى كبرى، فتأسس إلى جانب هذين المحفلين محافل أخرى في ماساتشوستس ونيويورك وبنسلفانيا وكارولينا الجنوبية، منهم على سبيل المثال: «المحفل الإقليمي الكبير لنيويورك» ١٧٣٨م.

عندما أصبح الدبلوماسي والفيلسوف والسياسي الأمريكي «بنجيامين فرانكلين» (١٧٠٦-١٧٩٠م) - أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة - معجباً بالماسونية؛ كتب في جريدة بنسلفانيا غازيت في ٨ ديسمبر ١٧٣٠م عن المحافل العديدة للماسونيين الموجودة بالفعل في المقاطعة، وتطور إعجابه إلى مشاركة؛ حينها انضم إلى «محفل القديس يوحنا» في فيلادلفيا في العام التالي، وفي عام ١٧٣٢م كان رئيساً لـ «المحفل الأعظم في فيلادلفيا» (209)(210)، وأعاد نشر «دساتير أندرسون» بصفته الرئيس الأعظم الإقليمي لمحفل بنسلفانيا الماسوني بعد عام ١٧٣٤م (211)، وهو يعتبر من رائدي الماسونية الحديثة، ومن مؤسسي التيار الجديد، فيما سيرد ذكره لاحقاً.

كذلك تم قبول: «جورج واشنطن» (١٧٣٢-١٧٩٩م) - أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة وأول رئيس للولايات المتحدة بعد ذلك من عام ١٧٨٩ إلى عام ١٧٩٧م - في «محفل فريديريكسبيرج» في عام ١٧٥٢م؛ وهو لم يتجاوز عشرين عاماً (212)، ثم منح «المحفل الكبير لاسكتلندا» ميثاقاً لنفس المحفل في عام ١٧٥٨م (213)، تلا ذلك إنشاء «المحفل الإقليمي الكبير لولاية كارولينا الشمالية» عام ١٧٧١م (214)، وكذلك ظهر تطوير جديد لـ «المحفل الإقليمي الكبير لنيويورك» على يد المحدثين عام ١٧٨٠م (215)،

وبحلول منتصف القرن الثامن عشر؛ ظهرت محافل أخرى عديدة، وجميعهم كانوا تحت إدارة الإمبراطورية البريطانية المستعمرة.

على الرغم من أن العديد من المحافل تابعة لأفواج الجيش البريطاني؛ كان «المحفل الكبير لاسكتلندا» مُثلاً بشكل أفضل قليلاً، كما كانت الغالبية العظمى من المحافل التابعة للفوج تحمل مذكرات من «المحفل الكبير لأيرلندا»<sup>(216)</sup>، ويتضح من هذا الخليط مدى التدخل السياسي في المستعمرة الأمريكية والصراع الماسوني فيها.

الماسونية في البرتغال

كان أول الماسونيين المعروفين في مملكة البرتغال رجل أعمال سويسري يُدعى: «جون كوستوس» وعضوان برتغاليان آخران من محفله، الذي زعم أنه أسسه في لشبونة أثناء سفره هناك في مهمة عمل، حينها زُعم أنه جاسوس لرئيس الوزراء البريطاني الماسوني: «روبرت والبول»؛ لذلك أُلقت محاكم التفتيش البرتغالية القبض عليه واستجوبته تحت التعذيب في أربعينيات القرن الثامن عشر، وكان حادث اعتقاله قضية رأي عام، أصبحت عواقبها بعد ذلك حدثاً رئيسياً في الصراع بين الكاثوليكية والماسونية<sup>(217)</sup>.

بعد استجوابه حُكم عليه بالإعدام، ثم أُطلق سراحه في عام ١٧٤٤م نتيجة لشفاعة «جورج الثاني» ملك بريطانيا العظمى، وبعد الإفراج عنه وعودته إلى إنجلترا؛ كتب «كوستوس» كتاباً يشرح فيه بالتفصيل معاناته في ظل محاكم التفتيش، وأشار في كتاباته إلى عام ١٧٢٨م باعتباره عام المحفل الأول بالبرتغال، فاعتُبر هذا هو تاريخ الماسونية البرتغالية الرسمية، على الرغم من عدم معرفة أي شيء عن السنوات الأولى لهذا المحفل وعدم اعتراف «المحفل الأعظم في إنجلترا» به<sup>(218)</sup>، لكن ما هو معلوم وموثق أن هذا المحفل مارس نشاطه عام ١٧٣٣م.

ورغم أن الماسونية واجهت مقاومة قوية من الكنيسة الكاثوليكية ومحاكم التفتيش، لكنها استمرت في الانتشار السري غير المعلن عنه.

الماسونية في روسيا وأوروبا الشرقية

ظهرت الماسونية المنتظمة على شكل محفل في الإمبراطورية الروسية في ثلاثينيات القرن الثامن عشر، وكانت محصورة في البداية على الطبقات الأرستقراطية والمثقفة، تم جلبها للمرة الأولى على يد ضباط أجنبي في الخدمة الروسية، وسُجّل أول محفل في سانت بطرسبرغ ما بين ١٧٣٢-١٧٣٤م، وكان رئيسه الجندي الاسكتلندي السابق والجنرال العسكري في الجيش الملكي البروسي؛ اليعقوبي: «جيمس فرانسيس كيث»<sup>(219)</sup>، وبعد عدة سنوات؛ تم تعيين ابن عمه الاسكتلندي «جون كيث» (إيرل كينتوري الثالث) رئيساً إقليمياً كبيراً لروسيا من قبل «المحفل الأعظم في لندن ووستمنستر»<sup>(220)</sup>.

مع الوصول لأوائل سبعينيات القرن الثامن عشر؛ كان المؤرخ الإمبراطوري الروسي (والسكرتير غير الرسمي للإمبراطورة «كاترين العظيمة» بعد ذلك) «إيفان يلاجين»؛ قد نجح في إعادة تنظيم الماسونية

الروسية في نظام متسق، ووحيد حوالي ١٤ محفلاً وأشرك فيها ٤٠٠ مسؤول حكومي، ثم حصل على تصريح إنجليزي ل«المحفل الأعظم الروسي الأول» وأصبح رئيسه الإقليمي الكبير (221).

الماسونية في السويد وفنلندا

وصلت الماسونية المنتظمة إلى مملكة السويد في عام ١٧٣٥م، ومن الوهلة الأولى قررت السويد أن تحدث تغييراً، ففي عام ١٧٥٦م أسس الشاعر السويدي المتعصب من أصل ألماني: «كارل فريدريك إيكليف» (١٧٢٣-١٧٨٦م) أول محفل ماسوني، تحت اسم: «محفل سانت أندروز في ستوكهولم» للعمل بدرجات إضافية إلى جانب الدرجات الثلاث الأولية للماسونية الحرفية، ثم تم إنشاء أول محفل كبير عام ١٧٦٠م على هذا الإحداث، حتى ظهر ما يُعرف ب«النظام السويدي للماسونيين»؛ بعد تطوير أفكار «إيكليف» من قبل دوق كارل من سودرمانلاند، (الذي أصبح فيما بعد «كارل الثالث عشر» ملك السويد)، بصفته الأستاذ الكبير للنظام السويدي للماسونيين، والذي تطور بحلول عام ١٨٠٠م بالكامل إلى نظام الطقوس السويدية، التي من أهم شروطها الإشراف الملكي، حيث يعتبر النظام السويدي فريداً من نوعه لأنه يحظى برعاية ودعم من العائلة المالكة السويدية، وهذا النظام لا يزال موجوداً حتى اليوم وله تأثير كبير في تشكيل الممارسات الماسونية في السويد والدول الاسكندنافية الأخرى.. ومنذ تقنينه؛ انتشر النظام السويدي ووصل إلى فنلندا (تحت السيطرة السويدية)، وكذلك إلى النرويج والدنمارك وأيسلندا (222)(223).

وبحسب دساتير الطقوس السويدية، يجب أن يكون جميع الأعضاء رجالاً مسيحيين، ويجوز للزوار من أي دين من ولايات قضائية أجنبية معترف بها (بما في ذلك الماسونيون السويديون من المحفل الأعظم للمنطقة السويدية للمحفل الأعظم لفنلندا) حضور اجتماعات المحفل، ولكن يجب الاعتراف بالزائرين الذين يحضرون درجات الفصل (من الدرجة السابعة فصاعداً) كمسيحيين، أو التوقيع على بيان يؤكد أنهم مسيحيون (224)، والملخص أن الماسونية السويدية تنفرد باشتراط أن يكون أعضاؤها مسيحيين فقط.

الماسونية في ألمانيا

على الرغم من أن بعض الباحثين يستشهدون بوجود محافل كبرى ألمانية عاملة منذ فترة طويلة، مثل تلك التي تشكلت في كاتدرائية كولونيا عام ١٢٥٠م (225)، وكذلك «محفل كاتدرائية ستراسبورغ»، التي صيغت «قوانين راتيسبون» لأول مرة في ٢٥ أبريل ١٤٥٩م من أجله عندما اجتمع سادة المحافل العاملة في راتيسبون (226)؛ والذي يُعتبر من أهم الوثائق القديمة للطقوس الماسونية المبكرة كما سبق وذكرنا؛ إلا أنه كان من الصعب إثبات استمرارية هذه التقاليد واعتبارها بمثابة تنظيمات قديمة، لكن ما هو مسجل ومعلوم أن الماسونية المنتظمة انتشرت بوضوح في ثلاثينيات القرن الثامن عشر بألمانيا، عندما كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة، وفي بروسيا التي تعتبر واحدة من أهم الممالك الألمانية آنذاك؛ انضمت شخصيات شهيرة للماسونية حينها، أهمهم: «فريدريك العظيم» (ملك بروسيا ١٧٤٠-١٧٨٦م) عندما كان ولياً للعهد، والذي وافق شخصياً على «محفل برلين» (227)، حتى بدأ العديد من المحافل الكبرى الألمانية بالظهور في

أربعينيات القرن الثامن عشر؛ لا سيما «المحفل الكروي الثالث»، الذي تأسس في برلين عام ١٧٤٤م، وبعد أقل من ثلاثة عقود أصبح هو «المحفل الأم الوطني الكبير» في عام ١٧٧٢م. وتعتقد معظم المصادر أن المحافل الماسونية الألمانية في القرن الثامن عشر كانت هي الأخرى منسوبة للنموذج الإنجليزي<sup>(228)(229)</sup>. في ظل العهد التنويري والنهضة الماسونية في القُطر الألماني، ظهرت جماعات جديدة تنادي بشعارات مماثلة للماسونية؛ لكنها أوقعت الماسونية في ورطة بعد ذلك، أبرزهم «جماعة المتنورين».

جمعية المتنورين

في الأول من مايو عام ١٧٧٦م؛ تأسست جمعية سرية من «عصر التنوير» في بافاريا<sup>(230)</sup>، بواسطة «آدم وايزهاوبت» أستاذ القانون في جامعة إنغولشتات بألمانيا، كانت الأهداف المعلنة للجمعية هي معارضة الخرافات والظلامية والتأثير الديني على الحياة العامة وإساءة استخدام سلطة الكنيسة<sup>(231)</sup>، أي نفس شعارات «عصر التنوير»؛ لكن سرعان ما تم حظر المتنورين - جنباً إلى جنب مع الماسونية والجمعيات السرية الأخرى - بموجب مرسوم أصدره «تشارلز ثيودور» ناخب بافاريا، بتشجيع من الكنيسة الكاثوليكية في أعوام ١٧٨٤ و ١٧٨٥ و ١٧٨٧ و ١٧٩٠م<sup>(232)</sup>، بعد التشهير بأن أعمالهم السرية تسعى للتأثير على النظام السياسي والاجتماعي في أوروبا، من خلال ترويج أفكارهم التي تهدف في النهاية لتقويض الكنيسة والدولة، ثم تعرضت المجموعة للقدح بشكل عام من قبل النقاد المحافظين والدينيين؛ الذين زعموا أن المتنورين هم جماعات سرية شيطانية يعملون تحت الأرض لتخريب المجتمع، وفي بعض «نظريات المؤامرة» الأكثر شهرة وتعقيداً؛ يتم تصوير «المتنورين» على أنهم يختبئون في الظل ويسحبون خيوط ورافعات السلطة.

هذه الجماعة وغيرها ك«الصليب الوردي» على سبيل المثال؛ تسببت في إعادة النظر للجمعيات والتنظيمات التي تدعي الحريات - بما فيها الماسونية - في أماكن كثيرة في أوروبا، كما سيظهر لاحقاً. لم تكن هذه البلاد الوحيدة التي أُقيمت بها المحافل الماسونية في وقت مبكر، لكنهم الأشهر أو الأبرز.. معظم هذه الدول كانت جزءاً من إمبراطوريات أو دول أوروبية كبرى؛ مما ساهم في مساعدة شبكات الماسونية في نشر الأفكار التنويرية والليبرالية في تلك الفترة.

بعد القرن الثامن عشر؛ استمرت الماسونية في الانتشار إلى العديد من الدول حول العالم، سواء من خلال توسع الإمبراطوريات الأوروبية أو الهجرات والتأثيرات الثقافية، ومع حلول القرن التاسع عشر؛ انتشرت الماسونية إلى جميع أنحاء العالم تقريباً، سواء من خلال الاستعمار الأوروبي أو الحركات السياسية والاجتماعية في البلدان التي كانت تسعى إلى التحرر والاستقلال، ومن أبرز البلدان التي احتضنت الماسونية وتفاعلت معها بقوة إلى يومنا هذا، بل وأدخلت نظماً جديدة داخل سياقها، هي فرنسا، ثم الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك؛ سنركز على ما أحدثوه من تطور، نتيجة استخدام تجربتيهما كنموذج ونهج في غالبية بلدان العالم، بعدما تسللت أصداء نجاحهما إلى أطراف العالم الثائر آنذاك.. وسنبداً بفرنسا التي انشقت عن النظام

الماسوني القديم؛ وولدت ما يُعرف بالماسونية القارية.

\*\*\*

بعدها شرحنا كيف شهدت الماسونية الفرنسية استقرارًا ملحوظًا وتوسعًا في أعداد المحافل والأعضاء، والصراع الداخلي بين التقاليد الإنجليزية ومحاولة البحث عن هوية فرنسية مستقلة، خاصةً بعد رغبة المحافل الفرنسية في أن تكون متوافقة مع روح العصر التنويري آنذاك لاستقطاب النبلاء والمثقفين التنويريين؛ بدا أن هناك صدعًا سيحول بينهم وبين الطقوس الإنجليزية التقليدية بالفعل.

إنشاء محفل الشرق الكبير لفرنسا

بحلول منتصف القرن الثامن عشر، ظهرت خلافات داخل الماسونية الفرنسية؛ تحديدًا حول الإدارة والطقوس، وظهرت محاولات حثيثة للانسلاخ من الغطاء الإنجليزي، أهم هذه الخلافات كانت تلك المتعلقة بطبيعة إدارة المحافل الماسونية ومستقبل الحركة في ظل عصر التنوير، وتبلورت الأزمة في عام ١٧٧٣م؛ عندما انفصلت مجموعة من الماسونيين الفرنسيين عن «محفل فرنسا الكبير» وشكلوا تنظيمًا جديدًا أطلقوا عليه اسم «محفل الشرق الكبير في فرنسا» (Grand Orient de France) (233).

تأسس المحفل الجديد أيضًا في مدينة باريس، التي كانت تمثل مركزًا رئيسيًا للماسونية الفرنسية، وكان بمثابة حركة إصلاحية تهدف إلى تحديث الماسونية وجعلها أكثر انفتاحًا على الأفكار التنويرية التي كانت منتشرة في أوروبا آنذاك، والتمرد على التقاليد الأنجلوسكسونية التي تحظر ذلك، وأصبح له دور كبير في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في البلاد.

وبمساعدة النخبة؛ اعتمد المحفل على إجراءات إصلاحية جديدة مكنته من توحيد المحافل الماسونية المختلفة في فرنسا تحت هيكل واحد، وأصبح «محفل الشرق» رمزًا للماسونية الليبرالية، على خلاف «محفل فرنسا الكبير» الذي ظل متمسكًا بالتقاليد الأنجلوسكسونية، وانتهج المحفل الجديد خطى أكثر ديمقراطية في طريقة إدارته، حيث منح المحافل الفردية استقلالية أكبر، وبالتالي؛ استقطب محافل أخرى جديدة، كما كان له تأثير سياسي كبير بعدما أجاز الانخراط في السياسة، حتى تمكن من جذب العديد من المفكرين والشخصيات البارزة - التي ستشارك في الثورة الفرنسية بعد ذلك - مثل الكاتب والفيلسوف السياسي الساخر «فولتير»، والكاتب والأديب والفيلسوف وأحد أهم كتّاب عصر التنوير «جان جاك روسو»، وغيرهم، حتى تغلغل في السياسة وأصبح تنظيمًا مؤثرًا في الحياة السياسية الفرنسية؛ يتبنى أفكارًا تتعلق بفصل الدين عن الدولة والمساواة الاجتماعية.

وبهذا الشكل يمكننا توضيح معالم الفرق بين «محفل فرنسا الكبير» و«محفل الشرق الكبير بفرنسا».

الفرق بين المحفلين

١ - التقاليد

«محفل فرنسا الكبير» تمسك بتقاليد الماسونية الأنجلوسكسونية القديمة، بينما «الشرق الكبير» كان أكثر

انفتاحًا على الأفكار التنويرية والتغييرات.

٢- الإدارة

«محفلة فرنسا الكبرى» كان يُدار بشكل مركزي تابع وتقليدي؛ في حين أن «الشرق الكبير» اعتمد على هيكل إداري ديمقراطي وأكثر مرونة.

٣- الطقوس

رغم أنهما يشتركان في الطقوس الماسونية الأساسية، إلا أن «الشرق الكبير» أدخل تغييرات تتماشى مع مبادئه التنويرية، بل سيطورها بعد ذلك بصورة لم يتوقعها أحد. مع توغل «محفلة الشرق الكبير لفرنسا» في السياسة والأفكار التنويرية؛ برز في الشأن الفرنسي السياسي كمنظمة ليبرالية تنادي بالحريات الفردية، بل ووصلت للعلمانية حيث نادت بفصل الدين عن السياسة بمقتضى «عصر التنوير»، وكانت من أهم المحركات الرئيسية للثورة الفرنسية، فقد نشبت الثورة الفرنسية الكبرى وهناك أكثر من حوالي ١٢٥٠ محفلاً ماسونياً في البلاد<sup>(234)</sup>.

الماسونية والثورة الفرنسية

قامت الثورة الفرنسية في ٥ مايو ١٧٨٩م، مناديةً بالتخلص من الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي، ومناهضةً للفوارق الكبيرة بين الطبقات الاجتماعية، ومعلنةً عن استيائها من الضرائب الثقيلة على الفقراء، ومعتزلةً على تعقيد الأزمة الاقتصادية وسوء إدارة الملك «لويس السادس عشر» للبلاد، في ظل تمتع الطبقة الأرستقراطية والكنيسة بامتيازات استثنائية، وجدير بالذكر أن الثورة الفرنسية لم تقم عليه شخصاً؛ لكنها قامت ضد النظام الملكي المطلق الذي كان يمثله كملك آنذاك، وذلك نتيجة لمظالم اجتماعية واقتصادية وسياسية عميقة كانت تعاني منها الطبقة العامة، أو ما يُعرف بـ«الطبقة الثالثة»، والتي ضمت الفلاحين والعمال والبرجوازيين<sup>(235)</sup>.

رغم أن الماسونيين في تلك الفترة كانوا يعملون بشكل سري؛ إلا أن تأثيرهم على الأوساط السياسية والاجتماعية كان واضحاً، فالمحافل الماسونية وفرت مساحة للنقاش حول التغيير الاجتماعي والسياسي الذي كان يتنامى في فرنسا قبل الثورة، حتى لعبت الماسونية دوراً هاماً في إشعال الثورة الفرنسية، وتأثرت الكثير من أفكار الثورة بقيم الماسونية مثل الحرية والمساواة والإخاء، وكان لـ«محفلة الشرق الكبير» دور كبير في الحراك؛ من خلال التنسيق مع العديد من الشخصيات القومية البارزة. كانت هذه الشخصيات أعضاء بارزين في المحفل يروجون للأفكار التنويرية التي انتشرت داخله، وساهمت القيم الماسونية في تشكيل الأفكار الثورية، وكان من بين هؤلاء الماسونيين المؤثرين:

النبيل الفرنسي والضابط العسكري - الذي سيُحتفى به كبطل في كل من فرنسا والولايات المتحدة بعد أن يشارك في تحرير الولايات المتحدة بعد ذلك فيما سيرد ذكره - «ماركيز دي لافاييت»<sup>(236)</sup>، وكذلك عالم

الاقتصاد والسياسي والرياضياتي الفرنسي «ماركيز دي كوندورسيه»<sup>(237)</sup>، والمحامي المتواضع وغير المعروف عشية الثورة - لكنه أصبح خطيباً مشهوراً ووزيراً للعدل الفرنسي بعد سقوط النظام الملكي - «جورج دانتون»، ودوق أورليانز الأمير «لويس فيليب الثاني» - أحد زعماء الأرسطراطية الليبرالية، والسيد الأعظم ل«محفلة الشرق الكبير» في زمن الثورة الفرنسية<sup>(238)</sup>.

تدخل «محفلة الشرق الكبير لفرنسا» ومشاركته في إشعال الثورة الفرنسية أفرز شغفاً كبيراً لدى الباحثين الذين خلصوا إلى أفكار تؤكد أنه هو المخطط الأول للثورة، ففي عام ١٩١٠م كتبت الموسوعة الكاثوليكية أن كتاب: La Franc-Maçonnerie, écrasée (الماسونيون المسحوقون) المنشور في عام ١٧٤٦م بواسطة الأب المجهول: «لارودان»<sup>(239)</sup>؛ والذي قدّم انتقادات قوية للماسونية وعبر عن مخاوف من تأثيرها على النظام السياسي والاجتماعي في فرنسا؛ قد حظّر من تحضيرهم للثورة، وتنبأ ببرنامج الثورة الفرنسية بالكامل<sup>(240)</sup>، واستشهد البحث بوثائق من «محفلة الشرق الكبير لفرنسا»، حيث وجدوا محاضر برروا من فحواها أنهم تباهاوا بكونهم أصحاب الفضل في الثورة الفرنسية<sup>(241)</sup>.

بعد الثورة الفرنسية أُعيد التحقيق في الأمر، وكتب المفكر والكاهن اليسوعي «أوغستين بارويل» (١٧٤١-١٨٢٠م) أن الماسونيين هم الذين أعدوا بنشاط ثورة ١٧٨٩م، واستخدم هذا الرأي لدعم «نظريات المؤامرة الماسونية» لاحقاً، فقد أعيد طرح هذه الأطروحة في كثير من الأحيان - لا سيما أثناء الجمهورية الفرنسية الثالثة - من قبل المؤلفين الكاثوليك (الذين استخدموها لمعارضة كل من الجمهورية والماسونية)، ومن قبل الماسونيين (من أجل تعزيز موقفهم المؤيد للجمهورية وصورتهم الإيجابية مع الحكومة الجمهورية)، ورغم هذه التأكيدات؛ ذكرت «الموسوعة الكاثوليكية الجديدة» لعام ١٩٦٧م؛ أن المؤرخين المعاصرين يرون أن دور الماسونية المذكور عن الثورة الفرنسية مبالغ فيه نسبياً<sup>(242)</sup>.

ومع العودة إلى سير الأحداث؛ سنجد أنه على الرغم من النشاط الدؤوب للماسونية، فقد أُجبرت على وقف أنشطتها بسبب الفوضى بين عامي ١٧٩٣ و١٧٩٦م، ومن بين ما يقرب من ١٠٠٠ محفل نشط عشية الثورة، كان ٧٥ فقط في حالة مناسبة لاستئناف النشاط في عام ١٨٠٠م بعد انتهاء الثورة<sup>(243)</sup>.

الماسونية والإمبراطورية النابليونية

لا يوجد دليل قاطع يثبت أن «نابليون بونابرت» (١٧٦٩-١٨٢١م) كان عضواً في الماسونية، ورغم ذلك هناك الكثير من النقاشات والتكهنات حول ارتباطه بالماسونية والعديد من القادة الماسونيين، خاصة بعد الكشف عن أن بعض أفراد عائلته والمقربين منه كانوا في الحقيقة أعضاء في الماسونية، كشقيقه «جوزيف بونابرت»، وزوجته «جوزفين» التي لم تكن ماسونية لكنها كانت على تواصل مع دوائر ماسونية، وكان بعض القادة العسكريين والسياسيين المقربين من «نابليون» أعضاء بارزين بل وقيادات في المحافل الماسونية؛ لذلك ظهرت أسطورة تقول إن «نابليون» كان ماسونياً في السر، لكن ظهرت فيما بعد وثيقة أثبتت سخريته منهم، رغم أنها تؤكد موافقته على أعمالهم، حيث قال:

«إن الماسونية عبارة عن كومة من الحمقى الذين يجتمعون من أجل البهجة وتنفيذ العديد من الحماقات السخيفة، ومع ذلك؛ هم يقومون بأعمال طيبة من وقت لآخر<sup>(244)</sup>».

وهذا يعني أنه على أي حال لم يُمنع نشاطاتهم، وما يؤكد ذلك أيضًا هو عدم وجود أي توثيق يؤكد معارضته للحركة؛ بل شهدت الماسونية في فترة حكمه توسعًا ملحوظًا في فرنسا وأوروبا كلها، ويبدو أنه قد رأى في الماسونية أداة لتعزيز نفوذه، واعتبرها نوعًا من الرعاية الضمنية؛ لذلك لم يمانع في تأسيس محافل جديدة تحت رعاية الإمبراطورية.

تحت مظلة «نابليون»؛ استمر تأثير الماسونية في فرنسا، وازداد نفوذها في الأوساط السياسية، لذلك حتى لو لم يكن «نابليون» نفسه ماسونيًا؛ فإن فترته ساهمت بشكل كبير في تعزيز الحركة الماسونية.

الماسونية واستعادة بوروبون

بعدما سقط «نابليون بونابرت»؛ ظهر ما يُعرف بـ«استعادة بوروبون»، وهي الفترة الفرنسية التي عادت خلالها أسرة بوروبون إلى السلطة بعد سقوط نابليون في عام ١٨١٥ م.

في بداية الاستعادة وتحديدًا في عام ١٨١٤ م؛ ظهر صراع حاد بين «محفل الشرق الكبير لفرنسا» (الذي كان يرغب في أن يكون المركز الموحد للماسونية الفرنسية كلها) و«المحفل الكبير لفرنسا» (الذي كان غيورًا على الطقوس الاسكتلندية القديمة والمقبولة)، واستمر الصراع لعقود، وبجانب الصراع؛ أدى السقوط النهائي للإمبراطورية الأولى في العام التالي إلى إضعاف الماسونية الفرنسية بشكل كبير، والتي كانت واحدة من الركائز الأساسية للإمبراطورية<sup>(245)</sup>؛ مما أسفر عن انخفاض عدد المحافل إلى ٣٠٠ فقط بحلول نهاية عام ١٨٢٠ م<sup>(246)</sup>.

الماسونية والثورة الفرنسية الثانية

رغم الصراع والتقلص؛ لم تتوقف نشاطات الماسونية الفرنسية، وكان هناك العديد من الماسونيين بين الثوار في «ثورة يوليو الفرنسية ١٨٣٠ م»، وهي الثورة الفرنسية الثانية بعد الأولى التي بدأت عام ١٧٨٩ م وانتهت عام ١٧٩٩ م؛ هذه الثورة الثانية أدت إلى الإطاحة بالملك «شارل العاشر» ملك بوروبون الفرنسي، وصعود ابن عمه «لويس فيليب» دوق أورليان من آل بوروبون، وباستثناء رجل الدولة الفرنسي «ألفونس لامارتين» والمحامي والسياسي الفرنسي «ليدرو رولين»؛ كان جميع أعضاء الحكومة المؤقتة لعام ١٨٤٨ م ماسونيين<sup>(247)</sup>.

في هذه الفترة؛ تطور «محفل الشرق الكبير» ليصبح أكثر علمانية، وانفصل بشكل واضح عن تأثيرات الكنيسة، وأصبح مروّجًا وداعمًا للأفكار الجمهورية والعلمانية، ومعارضًا بشدة للملكية والإقطاعية؛ لذلك كان تحت طائلة قمع «نابليون الثالث»، الذي انقلب على الجمهورية وأعلن نفسه ملكًا جديدًا، بعدما حاول التوافق معهم أولًا ثم السيطرة على قراراتهم لاحقًا.

الماسونية وقمع نابليون الثالث

بعدهما حكم «نابليون الثالث» كأول رئيس لجمهورية فرنسا الثانية عام ١٨٤٨م، قرر في عام ١٨٥١م إلغاء الجمهورية الفرنسية الثانية، وأعلنها إمبراطورية فرنسية ثانية، ونصّب نفسه ملكًا عليها بدلًا من رئيس؛ لذلك عمل من الوهلة الأولى على قمع الماسونية الفرنسية الرسمية؛ وفي نفس الوقت لم يلغها، فعين أولًا الأمير «لوسيان مورات» ثم المارشال «ماجنان»، الذي تم تنصيبه في ٨ فبراير ١٨٦٢م، وظل في منصبه حتى ٢٩ مايو ١٨٦٥م، ليكون المعلم الأكبر ل«محفّل الشرق الكبير لفرنسا» للحفاظ على الإشراف الوثيق على الماسونية وقمع أي تلميحات معارضة للنظام، على الرغم من أنه لم يكن ماسونيًا ولم يمر بالدرجات الماسونية؛ في موقفٍ مثير لم يحدث من قبل في تاريخ الماسونية؛ مما أثار حفيظة الماسونيين (248).

الماسونية وكومونة باريس

بعد سقوط «نابليون الثالث» وأسرّه، ظهر ما يُعرف ب«كومونة باريس»، وهي حكومة ثورية كان غرضها الاستيلاء على السلطة بعد هزيمة «نابليون الثالث» خلال «الحرب الفرنسية البروسية» (١٩ يوليو ١٨٧٠ إلى ١٠ مايو ١٨٧١م)؛ وكذلك التفوق على «الحرس الوطني الفرنسي». شارك في احتجاجات الكومونة الماسونيون الباريسيون بشكل كبير، وطالب القادة الماسونيون برفع لافتات ماسونية على أسوار باريس والانتقام لها إذا تمزقت برصاص قوات الحرس الوطني.

نجحت الحكومة الثورية التي تُدعى «كومونة باريس» بالفعل في الاستيلاء على السلطة في ١٨ مارس ١٨٧١م، وسيطرت على أجزاء من المدينة حتى ٢٨ مايو ١٨٧١م، وقد حدث ذلك بعد محاولتين فاشلتين من الماسونيين للتوفيق بين الكومونة والحكومة الفرنسية المؤقتة (249).

الماسونية والجمهورية الثالثة

كانت الجمهورية الفرنسية الثالثة التي بدأت منذ عام ١٨٧٠م، ترغب في فتح مدارس علمانية في جميع أنحاء أراضيها؛ وبالتالي دخلت في صراع مفتوح مع الكنيسة الكاثوليكية التي عارضت فتح المدارس العلمانية وفصل الدين عن المناهج التعليمية، وفي هذا السياق قرر «محفّل الشرق الكبير» - الذي أعلن في ذلك الوقت دعمه الرسمي للجمهورية - في عام ١٨٧٧م إلغاء شرطه بأن يؤمن أعضاؤه بوجود الله وخلود الروح، وإلغاء شرط عمل محافله «من أجل تمجيد المهندس الأعظم للكون»، وهو من الأحداث العظمى في تاريخ الماسونية عبر تاريخها كله.

لم يحظَ قرار قبول الملحدين بموافقة الجميع في فرنسا، مما أدى إلى انشقاق في الماسونية الفرنسية عام ١٨٩٤م، وانفصلت المحافل الراجعة في المطالبة بالإيمان بالإله عن «محفّل الشرق الكبير لفرنسا»؛ وانضمت إلى المحفل التقليدي «المحفّل الكبير لفرنسا» (250)، ذي التقاليد الكلاسيكية المقبولة.

خرج الخلاف من الأوساط الماسونية الفرنسية إلى الأوساط الماسونية الدولية، ودب الشقاق بين الماسونية الفرنسية والماسونية الأنجلوسكسونية، حتى وُلدت ماسونية جديدة ذات جذور فرنسية، وهي الماسونية القارية.

\*\*\*

كما ذكرنا؛ يُفترض شعبياً أن الانقسام بين الماسونية الفرنسية والإنجليزية ظهر في سبتمبر ١٨٧٧م، في زمان الجمهورية الفرنسية الثالثة، كنتاج طبيعي لتطور الفكر العلماني داخل «محفل الشرق الكبير لفرنسا»، بعد قبول توصية في تقرير قدمه قس بروتستانتني يُدعى «فريدريك ديسمونز»، وعلى أساسه عدّل المحفل بأغلبية الأصوات دستوره، ليصبح بنده الرئيسي:

«مبادئها هي الحرية المطلقة للضمير والتضامن الإنساني»

كبديل يحل محل البند الذي كان يقول:

«مبادئها هي وجود الله وخلود الروح والتضامن الإنساني»

وبسبب هذا التغيير المثير شجب «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا» في مارس ١٨٧٨م، من خلال تقرير مفاده أن محفلنا الأعظم قَبِل من البداية استقبال الإخوان من أي محفل أعظم أجنبي تتم إجراءاته وفقاً للمعالم القديمة للرهينة، بشرط الإيمان بـ «المهندس الأعظم للكون» كأول الشروط وأهمها، وبناءً عليه؛ نقرر إنكار أي عضو تم تكريسه في محافل إما تُنكر أو تتجاهل هذا الاعتقاد.

بفضل هذا البند المهم؛ توقفت العلاقات بين الهيئتين الحاكميتين فعلياً، لكن الغريب في الأمر أن «محفل الشرق في بلجيكا» حذف أيضاً هذا البند، وأزال شرط الإيمان بـ «المهندس الأعلى»، ورغم ذلك لم يقطع «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا» العلاقات معه، واستمرت العلاقات قائمة حتى عام ١٩٢١م، مما تسبب في طرح الباحثين لفكرة تبرر أن أسباب الانقسام أعمق وأكثر تعقيداً مما تشير إليه السجلات الرسمية<sup>(251)</sup>.

كان انعدام الثقة المتبادل بين الماسونيين الإنجليز والفرنسيين واضحاً في خمسينيات القرن التاسع عشر؛ عندما شعر اللاجئون الماسونيون الفرنسيون بالفرز إزاء العلاقة بين الماسونيين الإنجليز والملكية والأرستقراطية<sup>(252)</sup> والكنيسة الأنجليكانية<sup>(253)</sup>. من ناحية أخرى؛ لم يثق الإنجليز في تصوّف الماسونية الفرنسية ومبادئها في الإخاء والعالمية، بعدما اتهموها بالترويج للفساد والإلحاد تحت غطاء هذه الشعارات؛ فيما يعني أنها «خطوة راديكالية» (أي بالغة التطرف)، واتسعت الفجوة بين الماسونية بإنجلترا والماسونية بفرنسا؛ بسبب انخراط الفرنسية في السياسة، حيث حظرت الماسونية التقليدية صراحةً أي مناقشة للسياسة والدين في المحافل الإنجليزية كما سبق أن ذكرنا<sup>(254)</sup>، فقرر «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا» وهو السلطة الأكبر، سحب الاعتراف بـ «محفل الشرق الكبير لفرنسا»، واعتبره غير نظامي، ليفرز هذا الانقسام فرعين للماسونية:

١ - تقليد «محفل الشرق الكبير بفرنسا»: الذي أعلن عدم اشتراط الإيمان بإله، كميلاد لما يُعرف

بـ «الماسونية القارية».

٢ - تقليد «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا»: الذي يشترط وجود إله، كاستمرار للطقوس التقليدية

والمقبولة.

برر «محفل الشرق الكبير لفرنسا» إزالة شرط الإيمان بالله، بالإشارة إلى أن:  
«العلمانية الحديثة تفرض أن يُمنح جميع الرجال العضوية، دون تمييز على أساس الطبقة أو الأصل أو الطائفة أو الدين، لكي يتمتعوا بحرية الاختيار، وأن يكونوا مسؤولين عن نضجهم وسيادة مصيرهم»<sup>(255)</sup>  
(256).

وكخطة جديدة نحو ما أسمته فرنسا «عدم التمييز الأخوي»؛ في الفترة من ١٨٩٣ إلى ١٨٩٩ م، قامت الماسونية الفرنسية بتشكيل أول منظمة ماسونية سائدة مختلطة الجنسين (ذكور وإناث)، والتي سرعان ما أصبحت دولية تحت اسم: - Ordre mixte international du Droit humain (النظام الدولي المختلط للقانون الإنساني).

وبهذا الشكل قادت الماسونية الفرنسية الفرع القاري الجديد، الذي فرض نفسه بقوة على الساحة العالمية.

ميلاد الماسونية القارية

مما ذُكر يمكننا القول إن «الماسونية القارية» هي الماسونية الفرنسية المستحدثة، التي تبنت مبادئ علمانية جديدة تحت شعار «حرية الضمير»؛ مما جعلها تختلف عن المحافل التقليدية التي كانت تشدد على المعتقدات الدينية.

بعد الثورة الفرنسية؛ أصبحت قيم الماسونية جزءًا من الأيديولوجيات الجمهورية التي يتم ترويجها على نطاق واسع، وخرجت الماسونية الفرنسية بأفكارها الليبرالية والتنويرية متمردةً على الأنظمة الملكية والسلطات باسم الكنيسة واشتراكية الدين؛ من فرنسا إلى معظم أنحاء القارة (كما يوحي اسمها)؛ على الرغم من وجود أعداد أقل من الأعضاء الذين يتبعون التقاليد الإنجليزية في بعض هذه الدول أيضًا<sup>(257)</sup>؛ ف«أوروبا القارية» هو مصطلح يُقصد به البر الرئيسي المتجاور لأوروبا، باستثناء الجزر المحيطة بها (أي أنها تستثني الجزر البريطانية من بينهم)<sup>(258)</sup>.

انتشار الماسونية القارية

بسبب هذه الشعارات الجديدة التي كانت الشعوب في تعطش تام لها في هذه السنوات الحساسة خاصةً مع ترعرع «عصر التنوير»؛ بدأت محافل قارية بالظهور في عدة دول أوروبية، تأثرت بالحركة الفكرية والسياسية التي كانت تقودها فرنسا في تلك الفترة، فالمحافل الفرنسية في الغالب كانت مركزًا لنشر الأفكار الماسونية القارية في الدول المجاورة، بما فيهم الدول التي تبنت الماسونية الأنجلوسكسونية، كما كان للحركات الثورية والجمهورية تأثير كبير في تحفيز إنشاء محافل قارية في الدول التي شهدت تغييرات سياسية أو ثقافية؛ مثل: إسبانيا وإيطاليا والبرتغال وبلجيكا وغيرها؛ حتى سادت الماسونية العلمانية القارية فيها على حساب الأنجلوسكسونية التقليدية رغم أصالتها وأسبقيتها، إلى أن أصبحت الماسونية الفرنسية المستحدثة في هذه الدول مرتبطة بشكل وثيق بالحركات الثورية والجمهورية التي كانت تسعى لتحرير الشعوب من الحكم الملكي والسلطات الدينية.

وخلال هذا القرن؛ كانت فرنسا هي المحور الرئيسي للماسونية القارية، حتى وصلت لأمريكا البريطانية نفسها، بل وتعمقت في أمريكا اللاتينية لأبعد مدى، على سبيل المثال: البرازيل والمكسيك كانتا من الدول التي شهدت انتشارًا واسعًا للماسونية القارية، وخاصة في فترات الأزمات السياسية، وتسببت الصراعات بين المحافل المختلفة هناك، في انقسام سياسي أوسع في البلاد على فترات متلاحقة. وبهذا الشكل؛ جرت الماسونية الفرنسية القارية في أوروبا والمستعمرات الفرنسية - بل والمستعمرات الإمبريالية الأوروبية الأخرى - في كل مكان مجرى السيل؛ فلم تستغرق فترات تمهيدية لانتشارها، وارتبطت شعاراتها الجديدة بالحريات والنظم السياسية الحديثة. وباختصارٍ شديد؛ يمكننا القول إن الفوارق بين الماسونية الأنجلوسكسونية والماسونية القارية تتلخص فيما يلي:

١ - مهندس الكون الأعظم

تطلب المحافل الماسونية الأنجلوساكسونية أن يعترف العضو بوجود كائن أعلى من منظور دينه الخاص (غالبًا ما يُشار إليه ب«المهندس الأعظم للكون»)، وهذا يعني أن الإلحاد ممنوع في هذه المحافل؛ على عكس المحافل الماسونية القارية التي سمحت بوجود أعضاء ملحدين، حيث ألغت شرط قبول الأعضاء على أساس العرق أو اللون أو الدين.

٢ - السياسة والدين

ادعت الماسونية الأنجلوسكسونية وضع قيود صارمة في هذا الوقت على مناقشة الموضوعات الدينية أو السياسية داخل المحافل؛ بينما قررت الماسونية القارية الانخراط في السياسة وحاربت سلطات رجال الدين، ولهذا السبب خلقت عداً واضحاً مع الكنيسة الكاثوليكية.

موقف الكنيسة الكاثوليكية من الماسونية القارية

في تحدٍّ تام؛ ركزت الماسونية القارية نشاطاتها في البلدان الكاثوليكية التقليدية، وقد اعتبرها النقاد الكاثوليك المصدر الأول للسخط المناهض للكنيسة، وكان يُنظر إلى العديد من الأنظمة المعادية لرجال الدين بشكل خاص في البلدان الكاثوليكية التقليدية على أنهم أعداء وخونة ممولون من الماسونية<sup>(259)</sup>. دوّنت الموسوعة الكاثوليكية عام ١٩١٣ م ادعاءً ثانيًا - إلى جانب الادعاء الأول الذي قال إن الماسونية هي من خططت للثورة الفرنسية - ملخصه: أن الماسونية هي القوة الأساسية لمعاداة رجال الدين الفرنسيين من عام ١٨٧٧ م فصاعدًا، مستشهداً مرةً أخرى بوثائق رسمية للماسونية الفرنسية لدعم ادعائها<sup>(260)</sup>، كما زعمت أن القانون الفرنسي لعام ١٩٠٥ م بشأن العلمانية وفصل الكنائس عن الدولة، هو من تدبير وتخطيط «محفل الشرق الكبير لفرنسا»، استنادًا إلى وثائق ماسونية<sup>(261)</sup>.

يذكر المؤرخون أن هذا العداء بين الماسونية الفرنسية والكنيسة الكاثوليكية استمر حتى أوائل القرن

العشرين<sup>(262)</sup>، ولم يكن في فرنسا وحسب؛ بل في كل الدول التي استخدمت الماسونية القارية، على سبيل المثال: في إيطاليا اتهمت الكنيسة حركة الماسونية القارية بإنشاء «شبكة الكاربوناري (ترجمتها الحرفية: حارقو الفحم)، وهي شبكة غير رسمية من الجمعيات الثورية السرية التي نشطت في إيطاليا من حوالي عام ١٨٠٠م إلى عام ١٨٣١م، والتي أثرت بشكل أكبر على الجماعات الثورية الأخرى في فرنسا والبرتغال وإسبانيا والبرازيل وأوروغواي والإمبراطورية العثمانية وروسيا، واعتبرتها الكنيسة جمعية سرية قومية خلقت في الأساس لمناهضة رجال الدين<sup>(263)</sup>، وحتى تسعينيات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين كانت الكنيسة تبرر دعواتها للكاثوليك لتجنب التعامل مع الدولة الإيطالية؛ بالإشارة إلى الطبيعة الماسونية المزعومة للدولة الإيطالية<sup>(264)</sup>.

كما اتهمت الماسونية المكسيكية بأنها تتبع نمط الماسونية القارية في بلدان أمريكا اللاتينية، وأنها مركز نشط لنشر التقاليد القارية، حتى أصبحت سبباً بارزاً لمعاداة رجال الدين بأمريكا اللاتينية خلال القرن التاسع عشر<sup>(265)</sup>.

أما في إسبانيا؛ ففي نفس الوقت ألقى رئيس «اتحاد الأخويات المهنية الكاثوليكية» باللوم على الإجراءات المناهضة لرجال الدين التي اتخذتها الحكومة الاشتراكية، من خلال ما أسماه «حملة صليبية هائلة شنتها الماسونية ضد الكنيسة»؛ بحسب تعبيره<sup>(266)</sup>، وأمثلة أخرى عديدة.

وبهذا الشكل؛ ارتبطت الماسونية القارية بمحاربة سلطة رجال الدين، وغالبًا ما يزعم الماسونيون المرتبطون بالفرع التقليدي الأكثر شيوعًا من الماسونية؛ أولئك المنتسبون إلى «المحفل الأعظم المتحد في إنجلترا» والمحافل العظمى في الولايات المتحدة؛ أن معاداة رجال الدين في الفرع القاري الماسوني بمثابة انحراف عن الماسونية الصحيحة<sup>(267)</sup>، في حين بررت القارية ذلك كالمعتاد بأنها ليست معاداة، بل هي حرية أخوية لا تشترط العرق ولا الطائفة ولا الدين.

وإذا كان الحال هكذا مع الكنائس الكاثوليكية، فما الحال مع البلاد العربية والإسلامية؟

موقف العرب والمسلمين

يرى الغرب أن معارضة المسلمين للماسونية بدأت منذ وصول أخبارها للعالم الإسلامي مع بدايتها في القرن الثامن عشر، وقالوا إنه بعد إدانة الماسونية من قبل البابا «كليمنت الثاني عشر» في عام ١٧٣٨م، حذا السلطان العثماني «محمود الأول» (١٦٩٦-١٧٥٤م) حذوه وحظر المنظمة، ومنذ ذلك الوقت تم مساواة الماسونية بالإلحاد في ثقافة العالم الإسلامي، وتعززت المعارضة الإسلامية للماسونية في العالم الإسلامي أكثر بعد الإعلان عن قبول الملحدين في «محفل الشرق الأعظم لفرنسا»<sup>(268)</sup>.

ورغم الحظر، ستخترق الماسونية العالم العربي والإسلامي لاحقًا، فيما سيرد ذكره مع سير الأحداث.

\*\*\*

كما ذكرنا؛ انتشرت الماسونية ووصلت إلى الجزر البريطانية خلال «العصر الاستعماري البريطاني لمستعمرات أمريكا الشمالية»، (والذي بدأ بسيطرة واستعمار مملكة إنجلترا ومملكة اسكتلندا، ولاحقاً باسم مملكة بريطانيا العظمى بعد اتحادهما في ١٧٠٧م).

توقفنا من قبل مع حلول منتصف القرن الثامن عشر، وظهور العديد من المحافل في المستعمرات البريطانية بأمريكا الشمالية؛ بأوامر من «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا»، ولكي نرى الصورة بشكل أعمق، وجب علينا رؤية المناخ السياسي عن كثب داخل المستعمرات الأمريكية.

خلال هذه الفترة، كانت فرنسا تحت حكم الملك «لويس السادس عشر» - قبل قيام الثورة الفرنسية الأولى عليه - قد قررت دعم المستعمرات الأمريكية في حربها ضد بريطانيا من أجل نيل الاستقلال، بناءً على توصيات من مستشاري الملك وخصوصاً «كونت دي فيرجين» وزير الخارجية الفرنسي آنذاك، فحتى قبل أن تثور؛ كانت فرنسا (التي تعتبر منبثاً خصباً لأفكار التنوير الراديكالية المختلفة) منافساً تقليدياً لبريطانيا، ليس من خلال الماسونيين الفرنسيين وحسب؛ بل كان لدى الملك والنبلاء والإقطاعيين غير الماسونيين قناعة تامة حيال ذلك، بما يعني أن طرفي النزاع في فرنسا اتفقا على كره بريطانيا، لذلك قررت فرنسا مجابهة بريطانيا في مستعمراتها الأمريكية لأسباب متعددة؛ منها الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، سنلخصها فيما يلي:

أسباب مساعدة فرنسا للثورة الأمريكية

١- إضعاف بريطانيا

الغرض الأول والأهم، هو الانتقام من الهزيمة في حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣م)، حيث عانت فرنسا من هزيمة قاسية على يد بريطانيا في هذه الحرب المعروفة أيضاً ب«الحرب البومرانية»، عندما شاركت فيها بريطانيا وبروسيا ودولة هانوفر، ضد كل من فرنسا والنمسا وروسيا والسويد وسكسونيا، ثم دخلت إسبانيا بعد ذلك إلى جانب فرنسا، والبرتغال إلى جانب بريطانيا.

بعد سبع سنوات من الحرب؛ خسرت فرنسا معظم ممتلكاتها في أمريكا الشمالية - مثل كندا - لذلك أرادت رد الصفحة وتقويض قوة بريطانيا وإضعاف نفوذها الاستعماري، بل تطلعت لما هو أكبر؛ وهو تفكيك الإمبراطورية البريطانية العظمى، فاستقلال المستعمرات الأمريكية كان يعني فقدان بريطانيا لمصادر دخل مهمة وقوة استراتيجية فعالة؛ مما سيؤدي إلى تقليل نفوذها العظيم.

٢- التوسع الاقتصادي والمصالح التجارية

رأت فرنسا فرصة لتعزيز تجارتها وتوسيع أسواقها، ففي حال نجحت المستعمرات في الاستقلال؛ ربما سيكون للولايات المستقلة الناشئة سوق مفتوح يُولد فرصاً لشركات تجارية واسعة.

كانت أفكار التنوير مثل: الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، منتشرة في فرنسا بقيادة الماسونيون كما سبق ووضحنا، وكان النخب الفرنسيون متعاطفين مع السعي الأمريكي للاستقلال والحرية، وبالفعل أثرت هذه الأيديولوجيات على القيادة الفرنسية وضغطت عليها من أجل التدخل ضد بريطانيا، وخاصة وزير الخارجية الفرنسي «كونت دي فيرجين»، الذي شجع التحالف مع الأمريكيين.

تطورت العلاقات بين الأمريكيين والفرنسيين قبل تدخل فرنسا العسكري؛ إذ أرسلت فرنسا مستشارين عسكريين مثل «ماركيز دي لافاييت» سابق الذكر، الذي لعب دورًا بارزًا في تدريب وتنظيم القوات الأمريكية، وبعد اشتعال الثورة الأمريكية في ١٩ أبريل ١٧٧٥م، تم شحن الإمدادات سرًا إلى الجيش القاري عندما تأسس في يونيو من نفس العام لتحرير المستعمرات الأمريكية من الاستعمار البريطاني، وبعد ثلاث سنوات من المواجهة، وقّعت فرنسا مع المستعمرات الأمريكية «معاهدة التحالف» في عام ١٧٧٨م؛ مما شكل تحالفًا رسميًا ألزم فرنسا بالدعم العسكري، كما شرعت إسبانيا والجمهورية الهولندية لاحقًا في إرسال المساعدات.

وبهذا التخطيط الناجح؛ تركت التطورات السياسية في أوروبا البريطانيين بلا حلفاء أثناء الصراع، باستثناء «الجنود المهسيون»، وهم جنود ألان مرتزقة تعدادهم حوالي ثلاثين ألف جندي، عيّنتهم الإمبراطورية البريطانية في ثلاث عشرة مستعمرة لقمع حرب الاستقلال الأمريكية<sup>(269)</sup>.

كيف دعمت فرنسا الحرب فعليًا؟

قدّمت فرنسا قروضًا ضخمة للولايات المتحدة لتمويل الحرب.

استخدمت فرنسا نفوذها الدبلوماسي للحصول على تأييد دولي للقضية الأمريكية.

أرسلت فرنسا جنودًا وأسطولًا بحريًا بقيادة الأدميرال البحري «فرانسوا جوزيف بول دي جراس»، تمكن من الانتصار الاستراتيجي الحاسم على البريطانيين أثناء قيادته للأسطول الفرنسي في معركة تشيسبايك عام ١٧٨١م؛ وهو العام الأخير للحرب الثورية الأمريكية، مما أدى بشكل مباشر إلى النصر الفرنسي الأمريكي في حصار يوركتاون عام ١٧٨١م، الذي كان سببًا رئيسيًا في هزيمة بريطانيا، وساعد في تأمين استقلال الولايات المتحدة<sup>(270)</sup>.

باختصار؛ ساهمت فرنسا في حرب الاستقلال الأمريكية لأنها رأت في ذلك فرصة لإضعاف منافستها بريطانيا، وتوسيع مصالحها الاقتصادية والسياسية، ودعم الأفكار التحررية التي كانت شائعة في أوروبا. ورغم نجاح فرنسا في تحقيق أهدافها والنصر الساحق على المنافسة البريطانية واستقلال المستعمرات الأمريكية؛ كلفت الحرب فرنسا ما مقداره أكثر من مليار جنيه فرنسي (عملة فرنسا آنذاك)؛ الأمر الذي أدى في النهاية إلى أن يكون من أهم الأسباب الرئيسية لاندياع الثورة الفرنسية ضد الملك «لويس السادس عشر»، فالماسونيون الفرنسيون - رغم معارضتهم لحكم الملك «لويس» والميزانية الكبيرة التي رُصدت لاستقلال المستعمرات الأمريكية والتي سيتخذونها ذريعة لخلعه - استفادوا من دخوله في الصراع لتحرير المستعمرات الأمريكية، بل وساهموا بشكل كبير في تنفيذ أغراضه؛ بما يتناسب مع أفكارهم في المقام الأول، أي أنها كانت مصلحة مشتركة، غرضها تغلغل الماسونية الفرنسية في المجتمع الأمريكي آنذاك.

دور الماسونية في الثورة الأمريكية

قبل قيام الثورة؛ شاركت الماسونية الفرنسية في المشهد وكان لها حضور سياسي بارز، حيث رأت من هذا المشهد السياسي والقمع البريطاني؛ حقلاً مناسباً لزرع أفكارها التنويرية؛ بما يجدم في النهاية الاستقلال الأمريكي.. كان ذلك قبل «الانشقاق الماسوني الكبير» الذي حدث عام ١٨٧٧م؛ وقبل انتشار «المفهوم العلماني الماسوني» المنوط بعدم إلزام الأعضاء بالاعتراف بإله، لذلك كانت المحافل الفرنسية والإنجليزية تمارس نشاطاتها دون أي منافسات تُذكر، فالماسونية في المستعمرات الأمريكية قبل هذا الوقت؛ كانت منافستها المحدودة تتلخص في أن المحافل الأنجلوسكسونية تحظر التدخل في المشهد السياسي، بينما الفرنسية (قبل أن تصبح قارية) آثرت ذلك.

مع بوادر الرغبة في إشعال ثورة؛ خملت المحافل الإنجليزية نوعاً ما بفضل معاداة الأمريكان للإنجليز، وتم تأسيس محافل فرنسية جديدة في هذا الوضع الثوري، أشهرها «محفل الأخوات الجديديات» التابع ل«محفل الشرق لفرنسا»، الذي كان له تأثير خاص في تنظيم الدعم الفرنسي للثورة الأمريكية؛ بل كان مساهماً بعد ذلك في دعم الاضطرابات الفكرية بفرنسا التي سبقت الثورة الفرنسية، وكان «بنجامين فرانكلين» عضواً في هذا المحفل عندما كان يعمل كحلقة وصل بين المستعمرات وباريس (271).

في هذا الوقت أخذت الماسونية في أمريكا (بما فيها التي أُسست على النظم الأنجلوسكسونية) منحنيًا جديدًا، وهو الانفتاح على الأحداث السياسية، فعلى الرغم من جذورها البريطانية، إلا أن الماسونية في أمريكا تطورت بشكل مستقل وأصبحت ذات خصائص مميزة، حيث أعلنت أنها تركز على الحريات الفردية والديمقراطية والمساواة، وأصبحت أكثر انفتاحاً على النقاش حول القضايا الاجتماعية والسياسية، أي أنها تأثرت بالتدين التقليدي الذي حث عليه التقاليد الأنجلوسكسونية، مع الطابع الديمقراطي الذي نادى به المحافل الفرنسية، وهو خليط ماسوني جديد، عُرف لاحقاً باسم «الماسونية الأنجلوأمريكية».

مع قيام الثورة الأمريكية؛ كانت المحافل الماسونية بشكل عام مراكز للنشاط السياسي والاجتماعي

والمناقشات حول قضايا الاستقلال والتعاون بين المستعمرات، وكان العديد من الشخصيات البارزة في الثورة أعضاء في المحافل الماسونية، بما في ذلك «جورج واشنطن» القائد العام للقوات المسلحة للجيش القاري المنوط بتحرير المستعمرات، والذي قاد التمرد لإعلان انفصال الولايات المتحدة عن بريطانيا ١٧٧٦م، وأول رئيس للولايات المتحدة بعد ذلك، والمعروف بكونه أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية<sup>(272)</sup>.

كان قد انضم «جورج واشنطن» إلى محفل «فريدريكسبيرج» الماسوني في ولاية فيرجينيا عام ١٧٥٢م، وكان عمره حينذاك عشرين عامًا؛ كما سبق وذكرنا.. ويُقال إن «واشنطن» ارتدى شارة الماسونية في حفل وضع حجر الأساس لمبنى الكابيتول الأمريكي في واشنطن العاصمة في عام ١٧٩٣م بعد ذلك، مما يرمز إلى ارتباط الماسونية بالنظام السياسي الأمريكي الجديد، وتبجيلًا له؛ أنشأ الماسونيون نصبًا تذكاريًا ماسونيًا يُخلد اسمه في أليكساندريا، بفرجينيا، بالقرب من واشنطن العاصمة، بعد أن تم اقتراحه لأول مرة في عام ١٨٥٢م من قبل «المحفل الأم» لمنطقة واشنطن، محفل فريدريكسبيرج رقم ٤<sup>(273)</sup>، كما يُخلد «مركز جورج واشنطن الوطني» ماسونيته باحتوائه على العديد من الوثائق والأدلة التي تشرح دوره كعضو فاعل في المحافل الماسونية، كذلك يشير «المحفل الكبير لبنسفاليا» إلى أن «واشنطن» شارك في الأنشطة الماسونية، وحضر العديد من اجتماعات المحافل بنشاط كبير.

«بنجامين فرانكلين» هو الآخر كان ماسونيًا نشطًا كما سبق وذكرنا، وبالإضافة إلى الاسمين؛ يتم تخليد اسم «بول ريفير»، صانع الفضة والرائد في مجال الصناعة آنذاك، والضابط العسكري الذي لعب دورًا رئيسيًا خلال الأشهر الأولى من الحرب الثورية الأمريكية، والذي أصبح لاحقًا رئيسًا عامًا للماسونيين الأحرار في ماساتشوستس؛ من عام ١٧٩٥ إلى عام ١٧٩٧م<sup>(274)</sup>.

كذلك يُخلد اسم النبيل الفرنسي الذي تطوع كضابط في الجيش القاري لتحرير الولايات المتحدة: «ماركيز دي لافاييت»، الذي سبق وتحدثنا عنه، والذي سُمح له في النهاية بقيادة قوات الجيش القاري في حصار يوركتاون الحاسم في عام ١٧٨١م، وهي المعركة الكبرى الأخيرة في الحرب الثورية التي ضمنت استقلال أمريكا كما أشرنا. وبعد عودته إلى فرنسا، أصبح «لافاييت» شخصية رئيسية في الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م وثورة يوليو عام ١٨٣٠م، ولا يزال يُحتفى به كبطل في كل من فرنسا والولايات المتحدة<sup>(275)</sup>.

الفترة الفيدرالية وتأسيس المحافل الكبرى

بعد نجاح الثورة الأمريكية ونيل الاستقلال؛ بدأت المحافل الماسونية الأمريكية في تنظيم نفسها بشكل أكثر استقلالية عن المحافل البريطانية، وتم إغلاق المحافل الكبرى الإقليمية المختلفة، لتشكل المحافل التابعة في كل ولاية محافل أمريكية كبرى مستقلة تابعة لها نفسها، وبدورها أنشأت هذه المحافل محافل جديدة في الأقاليم والولايات الجديدة، ومع ظهور كل ولاية جديدة، تجتمع المحافل التي تم تأسيسها من قَبْل داخل حدودها لتشكل محافل أخرى جديدة؛ وهكذا<sup>(276)</sup>، حتى ظهر عدد ضخم من المحافل الأمريكية في وقتٍ

قياسي.

مع الوصول لأوائل القرن التاسع عشر؛ كانت الماسونية قد نمت بشكل ملحوظ في الولايات، وانتعشت قوائم العضوية الماسونية بسرعة في الربع الأول من القرن التاسع عشر؛ خاصةً في الشمال الشرقي، ففي عام ١٨٠٠م كان هناك ١١ محفلاً رئيسياً و٣٤٧ محفلاً فرعياً، وحوالي ١٦٠٠٠ عضو على مستوى البلاد. وبحلول عام ١٨٢٠م كان لدى ولاية نيويورك وحدها ٣٠٠ محفل يضم ١٥٠٠٠ عضو، ومع الوصول لعام ١٨٢٥م أضافت تلك الولاية ١٥٠ محفلاً آخر و٥٠٠٠ عضو (277).

ازدهار المحافل ذات الأصل الإفريقي

في الماضي وقبل الاستقلال؛ كانت الماسونية قد دعمت واستقطبت الأمريكيان ذوي الأصل الإفريقي، حيث أقبل «المحفل الكبير لأيرلندا» على قبول مجموعة من الأمريكيين من أصل إفريقي، بلغ عددهم خمسة عشرة رجلاً في المحفل رقم ٤٤١؛ بعد رفضهم من قبل المحافل في بوسطن، بعدها شكّل هؤلاء الرجال «المحفل الإفريقي رقم ١» عندما غادر البريطانيون المستعمرة، مما ترك لهم تصريحاً للقيام بكل شيء تقريباً (باستثناء قبول الماسونيين الجدد)، وتم منح ميثاق ماسوني في ٢٩ سبتمبر ١٧٨٤م باسم «المحفل الإفريقي رقم ٤٥٩».

نجح المحفل الإفريقي بسبب زعيمهم الحقوقي «الأمير هول»؛ وبعد وفاته أصبح محفلاً إقليمياً كبيراً، وتحليداً له أسموه ب«محفل الأمير هول الكبير»، وخلال وقتٍ قصير؛ أعادت المحافل الإقليمية لأصحاب الأصل الإفريقي تشكيل أنفسهم كمحفل كبير في بوسطن عاصمة ماساتشوستس، تحت اسم «المحفل الإفريقي الكبير» في ٢٤ يونيو ١٨٤٧م (278)، وهو اندماج كبير لضم جميع المحافل الكبرى التي كانت من سلالة مباشرة للمحفل الإفريقي رقم ٤٥٩، وكانت تلك المحافل الكبرى هي: «المحفل الإفريقي الكبير في ماساتشوستس»، و«المحفل الإفريقي الكبير المستقل الأول في بنسلفانيا»، و«المحفل الكبير حيرام في بنسلفانيا»، وكان مندوبو محفل بوير في نيويورك (الذي كان تابعاً للمحفل الإفريقي الكبير) جزءاً من اتحاد مؤتمر ٢٤ يونيو ١٨٤٧م المذكور (279).

وبهذا الشكل؛ بدأت المحافل الكبرى في الولايات المختلفة سواء من أصل إفريقي أو غير إفريقي، تأخذ طابعاً محلياً وتنسق فيما بينها بشكل أفضل.

أزمة وليام مورجان وحركة مناهضة الماسونية

بعد النجاح والزخم؛ في عام ١٨٢٦م تعرضت الماسونية في أمريكا إلى زلزلة مدوية، أتهمت خلالها بأنها «ليست مجرد حركة أخوية لا علاقة لها بالسياسة» كما تدّعي، والسبب هو اختفاء عضو ماسوني منشق في ظروف غامضة، اسمه «ويليام مورجان» من باتافيا بنيويورك، بعد أن هدد بنشر كتاب سيفضح فيه أسرار الماسونية، وأثارت هذه الحادثة شائعات واسعة تقول إن الماسونيين كانوا وراء اختفائه، وأنهم اغتالوه بسبب فضحه لما يدور داخل الماسونية من مخططات.

على الرغم من عدم إثبات الأدلة ضد الماسونية بشكل قاطع؛ فقد أشعل اختفاء «مورجان» سلسلة من الاحتجاجات ضد الماسونيين في جميع أنحاء الولايات المتحدة، وأدت ردود الفعل العنيفة المطولة إلى استقالة العديد من الماسونيين (280).

وفي هذا الصدد، يتفق المؤرخون الغربيون على أن الماسونيين كانوا بارزين محلياً وقتها، وكانت لديهم المقدرة فعلاً للتستر على «قضية مورجان»، لكن يرى آخرون أن نظرية مؤامرة اختطافه وقاتله، ربما يكون مبالغاً فيها (281).

اعترض «جون كوينسي آدمز» (1767-1848م) رئيس الولايات المتحدة وقت وقوع «قضية مورجان» على سرية الماسونية وغموضها، وجهل عامة الناس بتلك الأسرار التي تُلقن في الأروقة الخاصة، وأعلن قائلاً:

«يجب إلغاء الماسونية إلى الأبد، إنها خطأ جوهري، بذرة شر لا يمكن أن تطرح أي خير أبداً» (282).  
رأيه هذا لم يكن كُرْهاً في الماسونية، لكنه تأثر بشدة بسبب احتياج شعبه على السلطة بفعل «قضية مورجان»، والدليل أنه لم يكافح الماسونية قبل القضية، بل تسامح مع الماسونيين الذين انضموا إلى الأخوية قبل ذلك.

خلال السنوات القليلة اللاحقة؛ تركت «قضية مورجان» رهاباً مجتمعيّاً من نشاطات الماسونية، وتسببت القضية في ظهور أصوات مناهضة لها علانيةً، ووصلت المناهضة إلى ذروتها في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن التاسع عشر، بعدما ساعدت تقارير «قضية مورجان» جنباً إلى جنب مع معارضة الفصيل الديمقراطي؛ في تأجيج حركة مناهضة للماسونية، حيث كان الرئيس السابع للولايات المتحدة المرشح بعد «جون كوينسي» هو الماسوني الديمقراطي البارز: «أندرو جاكسون» (1767 - 1845م)، ولأول مرة تم تشكيل الحزب السياسي المعارض بالولايات المتحدة المعروف باسم: «الحزب المناهض للماسونية» (والذي رشح مرشحين للانتخابات الرئاسية لعامي 1828 و 1832 (283))، وهو أول حزب في التاريخ الأمريكي يركز على قضية محددة تتعلق بتنظيم سري، ورغم أنه لم يكن له تأثير سياسي دائم؛ إلا أنه نجح في إلقاء الضوء على طبيعة التنظيمات السرية، وتسليط الضوء على غموضها.

رَوَّج مناهضو الماسونية إلى أن هناك مؤامرة تهدد الولايات الأمريكية؛ من خلال التآمر للسيطرة على الحكومة واضطهاد المسيحية الإنجيلية، وبسبب هذه التحديات؛ انحدرت العضوية الماسونية التي كانت قد نمت قبلها مباشرة بشكل سريع، فأصبح من بين 450 محفلاً عاملاً في عام 1825م؛ 50 باقين فقط في عام 1834م (284).

بعد أن تراجعت حظوظ الماسونية الأمريكية بشكل حاد في أعقاب «قضية مورجان»، عادت مرة أخرى إلى الارتفاع مع تراجع قوة «الحركة المناهضة للماسونية» في بداية أربعينيات القرن التاسع عشر، وبحلول أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر؛ نسي الناس الواقعة وأصبحت الماسونية في أمريكا موضوع اهتمام شعبي متجدد، وبدأت عضوية المحافل تنتعش مرة أخرى؛ بعدما كانت قد وصلت إلى أدنى مستوياتها

خلال فترة مناهضة الماسونية.

الانتعاش والنمو بعد الأزمة

استعادت الماسونية نفوذها وثقتها العامة، وشهدت الفترة ما بين الأربعينيات والخمسينيات نموًا ملحوظًا في عدد المحافل الماسونية، وبدأت الحركة في التوسع غربًا مع توسع الولايات المتحدة، وعلى الرغم من أن النساء لم يكنَّ عضوات في المحافل الماسونية؛ فقد كنَّ داعمات لأزواجهن الماسونيين، وكان دعمهن مفيدًا للتعافي السريع بعد أزمة ثلاثينيات القرن التاسع عشر، وقد برز اهتمامهن عندما نشرت الكاتبة والمؤثرة والمحركة الأمريكية «سارة جوزيفا هيل» - بدعم مالي من الماسونية - مجموعة من قصائدها بعنوان «عبرية النسيان»، وواصلت الحركة الماسونية دعمها لترويج «هيل» للأدوار النسائية التقليدية وتشجيعهن طوال حياتها المهنية لحث أزواجهن على التطبيع مع الماسونية، وخاصة عندما عملت محررة لمدة أربعين عامًا لمجلة المرأة الأكثر نفوذًا في البلاد: «(285) Godey's Lady's Book».

الماسونية والحرب الأهلية الأمريكية

بحلول وقت الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥م)، تضاعف عدد أعضاء الماسونية الأمريكية ثلاث مرات من ٦٦٠٠٠ إلى ٢٠٠٠٠٠ عضو في أكثر من ٥٠٠٠ محفل في جميع أنحاء البلاد، هذا التضاعد المثير فتح مجالًا للبحث والتفسير، وسمح للماسونيين بإضفاء نوع جديد من الأسطورية على تاريخ منظماتهم، حيث يروجون لروايات عن جنود وبحارة ماسونيون أنقذوا المقاتلين الأعداء لهم على الجانب الآخر؛ الذين عرفوا أنفسهم كأعضاء في الأخوية، كما زعموا تسجيل حوادث ماسونية تتضمن دفن الماسونيين لأقاربهم وفقًا للطقوس الماسونية أثناء الحرب الأهلية، بالإضافة إلى المساعدة والمعاملة الخاصة المقدمة لأسرى الحرب الماسونيين من الجانب المعادي (286).

وبرغم وجود الماسونية بهذا التضاعف - إن صحت هذه الأرقام المسجلة - لا يوجد أي دليل على أن المنظمة ككل كان لها دور مباشر في الصراع أو في اتخاذ قرارات الحرب، حيث وُجد الماسونيون على كلا الجانبين: الاتحاد والكونفدرالية.

العصر الذهبي للأخوة

بعد الحرب الأهلية؛ ازدهرت الماسونية الأمريكية جنبًا إلى جنب مع المنظمات الأخوية الأخرى، خلال ما يسمى بـ«عصر الأخوة الذهبي» (من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٩٢٠ تقريبًا)، والذي شهد ازدهارًا كبيرًا للحركة الماسونية؛ خاصة في الولايات المتحدة؛ حيث نمت العضوية في الجمعيات الأخوية في الولايات المتحدة بوتيرة سريعة للغاية في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، واستمرت حتى الجزء الأول من القرن العشرين، واقترح الباحثون أنه في ذروة هذا العصر؛ كان في الولايات المتحدة ما يصل إلى ٤٠٪ من السكان الذكور البالغين يحملون عضوية في طائفة أخوية واحدة على الأقل (287).

هذه الفترة الذهبية رفعت معها الماسونية لأعلى، وشهدت المحافل نموًا كبيرًا في أعداد الأعضاء، وانتشارًا

واسعاً للنموذج الأنجلوأمريكي في عدة دول أخرى، وأصبح للماسونية تأثير اجتماعي وسياسي أقوى مما كان بمستويات متضاعفة، حيث أصبحت الأخوية الماسونية في العالم الغربي كله رمزاً للهيبة والمكانة الاجتماعية، وانضم إليها العديد من القادة السياسيين والمفكرين البارزين، كما أثرت في النقاشات المتعلقة بحقوق الإنسان والحريات الفردية، وشهدت غزارة في تأسيس المحافل؛ مما جعل الحركة الماسونية أكثر عالمية، وحتى في البلدان التي لم يكن لديها تاريخ طويل مع الماسونية؛ تم تأسيس محافل بفضل تأثير الدول الغربية.

بهذا الشكل نمت «الماسونية الأنجلوأمريكية». وهذا المصطلح لا يميز الماسونية الأمريكية كفرع كما سبق مع القارية؛ لكنه إشارة لنمط من أنماط الماسونية التقليدية التي احتضنتها أمريكا، نسبةً لترابط جذورها مع الماسونية الإنجليزية، لكن مع إدخال بعض التعديلات التي تتناسب مع الفكر الأمريكي، أي أن المصطلحين يعكسان بشكل رئيسي التأثير الجغرافي والثقافي على الماسونية في كل منطقة، مع وجود بعض الاختلافات في التنظيم والتقاليد، ويمكننا تلخيص هذه الاختلافات فيما يلي:

١- السلطة العليا

الماسونية الأنجلوأمريكية لا تمتلك محفلاً كبيراً واحداً؛ بل لديها محافل كبرى متعددة ومستقلة لكل ولاية؛ على عكس النمط الأنجلوسكسوني القديم الذي يُدار بشكل أكثر مركزية، تحت إشراف «المحفل الأكبر في بريطانيا».

٢- التأثير الاجتماعي والسياسي

الماسونية الأنجلوأمريكية تأثرت بشكل كبير بالثقافة الأمريكية، خاصةً ما يخصص التركيز على الحريات الفردية والديمقراطية والمساواة، وأصبحت أكثر انفتاحاً على النقاش حول القضايا الاجتماعية والسياسية؛ أي أنها لا تمنع الدخول في اللوبي السياسي، على عكس ما أعلنته الأنجلوسكسونية. لذلك يمكننا القول بأن الماسونية الأنجلوأمريكية والأنجلوسكسونية يعتبران فرعاً واحداً مع بعض الاختلافات في الهيكل والتنظيم والممارسات.

أما بخصوص التدخل في الشؤون السياسية؛ فالماسونية الأنجلوسكسونية التقليدية نفسها التي حظرت ذلك؛ أهتمت هي الأخرى بالانخراط في الأحداث والمجريات السياسية؛ على عكس ما تعهدت به في السابق، وهذا ما سنشرحه فيما يلي.

\*\*\*

الفصل الرابع  
الماسونية المعاصرة  
(بين النهوض والمعارضة)

على عكس ما لاحظناه في تاريخ الماسونية بفرنسا والولايات المتحدة وغالبية الدول الأخرى؛ لا توجد أي أحداث مسجلة للماسونية البريطانية - التي هي أم الماسونية التقليدية - تُعرب عن تدخلها بشكل مباشر في السياسة؛ أو التورط في أي أجدات تحريضية منذ التأسيس عام ١٧١٧م وحتى منتصف القرن العشرين، وهذا هو سبب غيابها عن حديثنا لعدة أبواب سابقة؛ لكن هناك عدة عوامل يجب مراعاتها.

أولاً: في المملكة المتحدة

رغم عدم تسجيل أي حوادث مريبة؛ قوبلت الماسونية في بريطانيا بالشك والريبة في أعقاب الثورة الفرنسية، خاصةً بعد ما شاع في أوروبا كلها خبر تدبير «الثورة الفرنسية»، واتهام الماسونية بالتنسيق والتآمر مع الجماعات السرية الأخرى، مثل «المتنورين» و«الصليب الوردي» لإشغالها، وأن هذه الجمعيات تسعى لتقويض الاستقرار السياسي في عموم أوروبا.

الجدير بالذكر؛ أنه منذ القدم وحتى الآن، غالبًا ما يتم الخلط بين الماسونيين و«المتنورين» و«جمعيات الصليب الوردية» بكل فروعها، و«النظام الهرمي للفجر الذهبي» وغيرهم العشرات من الحركات الباطنية.. وسبب اللغط أن هذه المنظمات كان لها نُظم وطقوس ودرجات مثل التي في الماسونية، كما أن الكثير من أعضائها كانوا ماسونيين أو العكس؛ لكن الحقيقة الموثقة أن هذه التنظيمات لا تعتبر فروعًا من الماسونية، بل كانت جمعيات سرية مستقلة.

بناءً على هذه السمعة السيئة؛ شرعت بريطانيا في سن قانون الجمعيات غير القانونية لعام ١٧٩٩م، أول قانون قمع للجمعيات التي أنشئت لأغراض الفتنة والخيانة، والذي حظر أي اجتماعات للمجموعات التي تطلب من أعضائها أداء قسم غير مصرح به أو أي التزام كما تفعل الماسونية<sup>(288)</sup>، لكن سرعان ما ظهر للماسونية منقذون رسميون، حيث أسرع ماسونيو الدولة بالتواصل مع رئيس الوزراء «ويليام بيت»، وأوضحوا له أن الماسونية مؤيدة للقانون البريطاني، وأنها سلطة قانونية تشارك بشكل كبير في الأعمال الخيرية؛ وغير منغمسة في الشؤون السياسية، وطالبوا بإدراج بند إعفاء خاص في هذا التشريع لصالح الجمعيات التي عُقدت تحت مسمى «محافل الماسونيين»، ونتيجة لذلك تم إعفاء الماسونية على وجه التحديد من شروط القانون؛ بشرط أن يكون الإعفاء للمحافل الماسونية التي أنشئت قبل تاريخ هذا القانون فقط، وأن يتم تسجيل أسمائهم وأماكن وأوقات اجتماعاتهم وأسماء الأعضاء سنويًا لدى كاتب قضاة الصلح المحليين، (استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٦٧م ثم تم إلغاء هذا القانون بموجب قانون العدالة الجنائية، وتوقف تقديم الإقرارات السنوية من المحافل إلى السلطات)<sup>(289)</sup>.

ما دون ذلك؛ لم يقابل الماسونية في بريطانيا أي تحديات تُذكر طوال القرن التاسع عشر، لكن مع بداية القرن العشرين ظهرت تقارير عن ارتباط ماسونيين كبار ببعض المهن المؤثرة مثل القضاء والشرطة.. ورغم أن الأمر لم يرتق إلى دليل على تآمر سياسي مباشر؛ إلا أنه أثار جدلاً واسعاً حول دور الماسونيين في السلطة

ومكانتهم داخل المؤسسات القضائية والسياسية، مما أدى إلى تصاعد النظرة إلى أعضاء الماسونية البريطانية من النخبة في البلاد باعتبارهم أصحاب نفوذ اجتماعي واسع، واستشعر بعض السياسيين والمواطنين القلق من احتمال أن تكون الماسونية مصدرًا للسلطة الخفية. وبرغم أن هذه الشكوك غالبًا ما كانت تفتقر إلى أدلة دامغة تدين الماسونية كتنظيم؛ فقد بقيت مرتبطة بأسئلة تتعلق بممارسة النفوذ الاجتماعي داخل النظام البريطاني (وليس على شكل تدخل سياسي ظاهري).

بسبب استقرار الماسونية ببريطانيا طوال هذه الفترة الطويلة دون أي مناوشات، خلُصت الاستنتاجات إلى أن الماسونية البريطانية حظيت برعاية ملكية فائقة، ويُنظر إليها على أنها تمكنت من السيطرة على اللوبي السياسي البريطاني نفسه، حيث اجتذبت في بدايتها العديد من الشخصيات البارزة؛ بما في ذلك العائلة المالكة والنبلاء ورجال السياسة، وأصبحت تنظيمًا قويًا بين أعضاء البرلمان البريطاني؛ مما منحها تأثيرًا غير مباشر على بعض جوانب الحياة السياسية والاجتماعية.

وبناءً على ذلك كانت ستتحدى من؟

خاصةً أن تدخلها في سياسات وشؤون المستعمرات الخارجية؛ كان في النهاية يخدم النظام الحاكم، فكل الدول التي استعمرتها بريطانيا؛ سارعت بريطانيا لتدشين محفل ماسوني فيها، غرضه الأول تلبية حاجات الجنود الغزاة وترتيب نشاطاتهم، ثم نشر ثقافتها الإنجليزية فيها بما يخدم الاستعمار. استمر الوضع بهذا الشكل؛ حتى الوصول للحريين العالميتين وزيادة نشاطات الماسونية الإنجليزية من أجل الوقوف مع النظام الحاكم والعائلة الملكية؛ من حيث الدعم وجمع التبرعات الخيرية وإدارة الجمعيات الأهلية، والالتفاف حول المؤسسات وتأييد قراراتها، لكن مع الوصول لأواسط القرن العشرين؛ ظهرت تكهنات جديدة أشد حدة، تتهم الماسونية بالتآمر على المواطن.

مناهضة الماسونية البريطانية

انتشرت موجة معادية للماسونية على يد بعض الصحفيين والكتاب، أمثال: الصحفي والمؤلف البريطاني المناهض للماسونية «ستيفن نايت» (١٩٥١-١٩٨٥م)، الذي اشتهر بكتابه «جاك السفاح: الحل النهائي» الصادر عام ١٩٧٦م، و«الأخوة» الصادر عام ١٩٨٤م، مستغلًا الوقت الذي كانت الماسونية تخضع فيه لتدقيق متزايد من الشعب البريطاني، والذي اقترح في كتابه «جاك السفاح: الحل النهائي» أن جرائم القتل التي ارتكبتها السفاح الشهير «جاك» لها علاقة كبيرة بالماسونية.

إعادة تفسير لغز جاك السفاح

«قصة جاك السفاح» تتجلى كواحدة من أكثر الجرائم الغامضة شهرة في التاريخ، ففي صيف عام ١٨٨٨م؛ أصبحت شوارع منطقة وايت تشابل في لندن مسرحًا لسلسلة من الجرائم المروعة، حيث قام قاتل متسلسل بقتل خمسة نساء على الأقل - بحسب المرصود - بطريقة وحشية؛ مما أثار دُعرًا عامًا في المجتمع البريطاني.

كانت ضحاياه جميعهن من الطبقات الفقيرة، وتميزت الجرائم بالتشويه المتعمد لجثث القتيلات الفقيرات؛ حيث كانت تتضمن قطع الحلق وإزالة الأعضاء الداخلية، بما يشبه طقوسًا باطنية أو ممارسات سحرية غامضة، وتمت عمليات القتل والتقطيع بأسلوب ماهر ودقيق؛ مما يشير إلى معرفته بالأمر الطبية، حتى أُثيرت الشكوك حول أن القاتل ربما كان طبيبًا ماهرًا أو لديه خلفية طبية على الأقل.

أثارت هذه الجرائم اهتمامًا هائلًا من وسائل الإعلام، حيث كانت تُنشر تفاصيل الجرائم في الصحف القومية أولاً بأول، حتى إن الشرطة تلقت رسائل غامضة موقعة باسم «جاك السفاح»، مما زاد من شعبية القاتل في الثقافة الشعبية وجعلت منه رمزًا للغموض والشر.

بعض الكُتّاب يؤكدون أن هذه الرسائل تضمنت استخدام رموز معينة قد تشير إلى ارتباطات ماسونية، وما زاد القصة إبهامًا؛ عدم القبض عليه أو على الأقل تحديد هويته، ف«جاك» ليس اسمه؛ لكنه اسم مستعار لذلك المجرم المتسلسل المجهول الذي حير العالم من يومها وحتى الآن. هذه هي القصة المشهورة غامضة الأركان، أما عن ربطها بالمسونية:

محاو ربط قضية جاك بالمسونية

أثار كتاب «جاك السفاح: الحل النهائي» ل«ستيفن نايت»، جدلاً واسعاً بعد تأكيده أن «قصة جاك السفاح» كانت في الحقيقة جزءاً من مؤامرة من الماسونيين والعائلة المالكة البريطانية.

زواج سري

تركزت المحاور الرئيسية لنظرية «ستيفن»، على أن الأمير «ألبرت فيكتور» - حفيد الملكة فيكتوريا - تورط في علاقة سرية مع امرأة كاثوليكية من الطبقة العاملة تُدعى «آني كروك»، وهذه العلاقة أدت إلى زواج سري غير معترف به رسمياً ونتج عنها طفلة، لو أُعلن هذا الزواج كان من الممكن أن يسبب فضيحة للعائلة المالكة، وكانت مجموعة من النساء - من بينهن الضحايا اللاتي قُتلن في وايت تشابل - على علم بهذه العلاقة، وربما حاولن ابتزاز العائلة المالكة أو كشف السر.

تدخل المسونية

وفقاً للنظرية؛ كان رئيس الأطباء الملكي السير «ويليام جول»؛ ماسونياً بارزاً كُلف بقتل النساء المتورطات لإخفاء السر، واستخدم «جول» مساعداً؛ يُعتقد أنه سائق يُدعى «جون نتلي» لتنفيذ الجرائم، بعد ترتيبات وتخطيطات ووعود من المنظمة الماسونية بإنهاء الأمر.

الرمزية الماسونية في الجرائم

يرى «ستيفن» أن الطقوس والجرائم كانت تحمل رموزاً ماسونية، على سبيل المثال: التشوهات التي عانت منها بعض الضحايا قيل إنها تشبه طقوس الانتقام الماسونية التي تُنفذ بحق «الخنونة».

الدعم من الشرطة

زعم «نايت» أن الشرطة البريطانية العليا؛ التي كان فيها عدد من الضباط الماسونيين، تواطأت في التغطية على الجرائم للحفاظ على سمعة العائلة المالكة وحماية أسرار الماسونية. وبرغم أن نظريته قوبلت بهجوم شديد حيال ذلك<sup>(290)</sup>، في الوقت ذاته أقنعت طائفة كبيرة من المؤمنين ب«نظرية المؤامرة الماسونية» في «المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وأيرلندا الشمالية»، حتى أصبح الاعتقاد السائد بين هؤلاء أن عمليات القتل كانت في الحقيقة عبارة عن طقس انتقامي ماسوني بمباركة من العائلة المالكة.

الجدير بالذكر؛ أن النظرية شقت طريقها إلى فيلم رعب أمريكي كبير في عام ٢٠٠١م، وهو فيلم «From Hell» (من الجحيم)، ويُذكر أن الأخوين «ألين» و«ألبرت هيوز» الذين أخرجوا الفيلم؛ اتصلا ب«المحفل الكبير المتحد لإنجلترا» للحصول على حق الرد الماسوني؛ ولكن تم رفضهم بسبب الطبيعة المناهضة للماسونية في حبكة القصة<sup>(291)</sup>، حيث اقتبس الفيلم أسلوب جرائم «جاك السفاح» في لندن خلال أواخر القرن التاسع عشر، واستعرض جوانب حياة المجتمع البريطاني؛ لا سيما الفروق الشاسعة بين الأحياء الفقيرة وطبقة النخبة، وشملت القصة وصفاً لشخصيات ذات ارتباطات سرية غامضة، واحتوى الفيلم على بعض الإشارات التي تُلمح إلى تواطؤ بعض الشخصيات المؤثرة في البلاد، مما أثار تكهنات حول دور الجمعيات السرية بشكل عام؛ وليست الماسونية تحديداً.

«ستيفن نايت» لم يكن هو الوحيد الذي ناهض الماسونية الإنجليزية، فقد ظهرت بعده أعمال مؤلف الأفلام الوثائقية والمنتج البريطاني «مارتن جون شورت» (١٩٤٣-٢٠٢٠م)، الذي اشتهر بفضائحه عن الجريمة المنظمة والماسونية، خاصة كتابه «داخل الإخوانية: أسرار أخرى عن الماسونيين» لعام ١٩٨٩م، والذي تسبب في نشر المشاعر المعادية للماسونية على نطاق واسع داخل المملكة المتحدة، وكان سبباً واضحاً في قيام العديد من أعضاء الحكومة البريطانية منذ عام ١٩٩٧م باقتراح قوانين تتطلب من الماسونيين الذين ينضمون إلى الشرطة أو القضاء؛ الإعلان عن عضويتهم علناً للحكومة، بعد بزوغ اتهامات واضحة للماسونيين بأداء أعمال نفوذ وتبادل للمصالح داخل المؤسسات، ومخاوف من امتلاكهم اختراقاً غير مسؤول داخل النظام القضائي؛ مما وُلد شكوكاً حول الشفافية في النظام القضائي البريطاني؛ نظراً لسيطرة الماسونيين عليه، حتى ظهرت القضية في صدارة السياسة الإنجليزية في أواخر تسعينيات القرن الماضي.

أزمة جاك سترو

على إثر هذه المزاعم الجديدة المضافة لهواجس الماضي؛ حاول «جاك سترو» -وزير الداخلية في حكومة «توني بلير» - التحقيق في وجود أي فساد بسبب عضوية القضاة في الماسونية، وأعلن عن إلزام جميع ضباط الشرطة القضاة أو قضاة الصلح الماسونيين، بالإعلان علناً عن عضويتهم في المنظمة أمام الجميع<sup>(292)</sup> [٢٩٣]، ولسنوات شغلت القضية الرأي العام، حتى تفاجأ الجميع بإلغاء «سترو» لقراره في عام ٢٠٠٩م بعد مخاوف من أنه سيخسر القضية أمام المحكمة الأوروبية، حيث تم اتهامه بانتهاك حقوق الإنسان!<sup>(294)</sup>(295)

بعد التحدي الناجح في المحكمة الأوروبية من قبل الماسونيين الإيطاليين.

مزامم جديدة

مع العشرية الثانية من القرن الحالي استمرت المخاوف في الارتفاع، وعادت قصة «جاك السفاح» للذكر مجددًا؛ حيث ظهرت أطروحة أخرى من قبل: «بروس روبنسون» في كتابه «كلهم يحبون جاك» لعام ٢٠١٥م، تقترح أن «جاك السفاح» كان محميًا من قبل شخصيات نافذة في النظام البريطاني، وأن جرائمه لم تكن لغزًا معقدًا كما تصورها العامة، بل يعتقد «روبنسون» أن السفاح كان يترك أدلة عمدًا ليهزأ من المجتمع، ورأى أن هذا الغطاء الحكومي أتاح للسفاح الإفلات من العقاب؛ إذ كان جزءًا من شبكة فساد واسعة النطاق تشمل أفرادًا من النخبة في المجتمع الفيكتوري، واتهم «روبنسون» الماسونية بأنها كانت جزءًا من هذه الحماية، وأن هذا التواطؤ هو ما سمح للسفاح بمواصلة جرائمه دون محاسبة<sup>(296)</sup>.

من ناحية أخرى؛ سعى بعض المؤيدين الأصليين لنظريات المؤامرة المناهضة للماسونية الأكثر عمومية وكذلك «المتنورين»، إلى إدانة الماسونية القارية فقط كقوة تخريبية، وزعموا أنهم لا يهاجمون «المحفل الكبير المتحد لإنجلترا» بحد ذاته أو الماسونية البريطانية نفسها<sup>(297)</sup>، كما حاول العديد من منظري المؤامرة إدانة «اليهود» أو «اليسوعيين الكاثوليك» باعتبارهم هم الذين استغلوا الماسونية؛ واخترقوها لتنفيذ مخططاتهم الشيطانية<sup>(298)</sup>.

وعلى الرغم من محاولات التبرئة هذه؛ في النصف الثاني للعشرية الثانية من القرن الحالي؛ ظهرت محاولات جديدة لإعادة قراءة تاريخ الماسونية البريطانية، وتفسير بعض الأحداث وربطها بأذرع الماسونية.

اتهام الماسونية بإغراق تيتانيك

في عام ٢٠١٥م؛ انتشر تقرير مثير للجدل من قبل الصحيفة البريطانية «ديلي ميل»، يزعم ظهور معلومات حصرية من خلال وثائق بريطانية جديدة تتهم التنظيم الماسوني العالمي بالتورط في حادثة الغرق الشهيرة للسفينة «آر إم إس تيتانيك» عام ١٩١٢م.

وبحسب الصحيفة؛ كشفت الأرشيفات التي نشرها «موقع أنيسيتري» لعلم الأنساب ([www.ancestry.com](http://www.ancestry.com))، أن العديد من الأشخاص الذين شاركوا في التحقيق البريطاني حول هذه المأساة - بما في ذلك القاضي الذي أشرف على التحقيق والمحققون الرئيسيون ورئيس الشركة الأم للسفينة وكذلك ربان السفينة - جميعهم ماسونيون، وأنهم سيطروا على التحقيقات وعبثوا بها وضللوا الرأي العام، حيث تضمنت الوثائق برقية سرية تكشف عن علاقات وثيقة بين أعضاء التنظيم الماسوني والمشاركين في تحقيقات حادثة غرق السفينة تيتانيك، وأن اللورد «ميرسي» المشرف على تحقيقات تيتانيك؛ كان في الأصل رئيسًا للمحفل الماسوني الشمالي في لندن، وكان نائبًا في البرلمان البريطاني منذ عام ١٨٨١م، وهذه الوثائق احتوت على قائمة طويلة من أسماء ملوك ورجال دولة وقضاة وكبار قادة في الجيش، بالإضافة إلى عدد كبير من أساقفة الكنيسة؛ مما تسبب في مطالبات بإعادة النظر فيما يقرب من ٢٠٠ سنة من التاريخ البريطاني.

تسببت هذه المعلومات الجديدة في طفو نظرية مؤامرة جديدة تدّعي أن حادث الغرق كان في الحقيقة من تدبير الماسونيين؛ بهدف التخلص من بعض الأثرياء اليهود والمسيحيين المعادين للتنظيم؛ حيث كان من بين الثلاثة آلاف راكب نخبة من أشهر أثرياء العالم؛ على رأسهم: رجل الأعمال الثري والمخترع والكاتب الأمريكي «جون جاكوب استور»، ورائد الأعمال الأمريكي «بنجامين جونغنهايم»، والسياسي اليهودي الألماني «إيسيدور ستراوس»، وغيرهم.. وجميعهم كانوا يعارضون المشروع الماسوني لإنشاء بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي (299)(300).

استمرارًا للمطالبة بإعادة التحقيق في تاريخ بريطانيا الماسوني؛ ظهرت مزاعم جديدة تقول إن «الجمعية الملكية البريطانية» الشهيرة، كانت هي بوابة الماسونيين لاختراق المجتمع البريطاني.

ماسونية الجمعية الملكية

الجمعية الملكية البريطانية (The Royal Society) هي أقدم مؤسسة علمية وطنية في العالم، وهي أحد أهم المؤسسات البحثية التي تتمتع بمكانة مرموقة عالميًا، وتلعب الجمعية دورًا مهمًا في رعاية البحث العلمي، ودعم العلماء من خلال منح وتمويل الأبحاث، وإصدار مجلات علمية مثل Philosophical Transactions التي تعتبر واحدة من أقدم الدوريات العلمية، وهي مؤسسة تتبع المملكة المتحدة، تقوم الحكومة البريطانية بدفع ٣٠ مليون جنيه إسترليني سنويًا لتمويلها.

تأسست الجمعية في لندن عام ١٦٦٠م؛ على يد مجموعة من العلماء بهدف دعم وترويج المعرفة العلمية، وتقول المزاعم الجديدة: أنها أنشأت بعد تكليف الماسوني السير «روبرت موراي» بمهمة التقرب من الملك «شارلز الثاني» (١٦٣٠-١٦٨٥م) ملك إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا، واقتناص موافقة منه لتأسيسها، في نفس العام الذي استعاد فيه السلطة على إنجلترا واسكتلندا وأيرلندا.

وبحسب بعض المنشقين عن الماسونية وعلى رأسهم العضو المنشق «نورمان ماكيفوي»، منذ إنشائها وحتى الآن؛ لم يكن أحد يستطيع تولي أي منصب في الجمعية الملكية دون موافقة الماسونية، وأن غالبية رؤسائها عبر التاريخ كانوا من الماسونيين؛ أو على الأقل من المتعاونين معهم، مما أثار المزاعم التي تدّعي بأن «الجمعية الملكية» كانت - وما زالت - بمثابة نافذة للحركة الماسونية للتأثير على المجتمع البريطاني والعالمي من كل الأركان، وربطوا هذه المزاعم بتزامن تأسيس المحافل في مختلف المقاطعات البريطانية والتي انتشرت لاحقًا في دول الغرب، مع توسع فروع «الجمعية الملكية» داخل بريطانيا وخارجها؛ مما دفع البعض لاعتبار ذلك جزءًا من استراتيجية لنشر النفوذ الماسوني في المجتمع الأوروبي بل والعالمي.

رد الماسونيين على الاتهامات

تنفي المنظمة كل هذه الاتهامات، وردًا على ظهور نظريات المؤامرة حول الماسونيين والآراء المعادية بشكل عام التي اكتسبت انتعاشة جديدة وتصاعدًا لوتيرة الاتهامات؛ كان «المحفل الكبير الموحد لإنجلترا» قد بدأ بالفعل في تغيير الطريقة التي يتعامل بها مع عامة الناس ووسائل الإعلام منذ منتصف التسعينيات؛

مؤكدًا ما أسماه بالانفتاح الجديد<sup>(301)</sup>، وقد لخص ذلك السكرتير الإقليمي لشرق لانكشاير «آلان جارنيت»، الذي أعلن قائلاً:

«نحن لسنا جمعية سرية أو جمعية ذات أسرار؛ لكننا جمعية خاصة»<sup>(302)</sup>.

وعلى غرار هذه الاتهامات؛ ومنذ بدايتها وإلى الآن، بدأت المحافل في جميع أنحاء إنجلترا وويلز في عقد محافل مفتوحة للسماح لعامة الناس برؤية ما يفعلونه، كما تم فتح قاعة الماسونيين في لندن، ومكتبة ومتحف الماسونية للجمهور العام؛ بل وتضمنت جولات إرشادية لتصدير فكرة أننا لسنا غامضين ولا نخطط لأي أفعال كيدية<sup>(303)</sup>، ورغم ذلك لا تزال الماسونية في مرمى الاتهام، حيث يتبنى المعارضون رأياً ملخصه: «ليس المهم ما تعلنونه، لكن المهم ما تخفونه».

ثانياً: في الولايات المتحدة

توقفنا قبل قليل عند «عصر الأخوة الذهبي» (من عام ١٨٧٠ إلى عام ١٩٢٠م تقريباً)، الذي شهد ازدهاراً كبيراً للحركة الماسونية، خاصةً في الولايات المتحدة التي اشترك أكثر من ٤٠٪ من شبانها ورجالها في طائفة أخوية واحدة على الأقل؛ حتى أصبحت الماسونية الأنجلوأمريكية ذات رواج كبير في الولايات المتحدة، وارتبطت بالهبة والمكانة الاجتماعية.

مع بدايات القرن العشرين؛ أصبح عدد الماسونيين في الولايات المتحدة حوالي ٣ ملايين عضو. ووفقاً للمصادر التاريخية؛ في عام ١٩٢٨م وصل عدد الماسونيين إلى نحو ٣.٢ ملايين عضو؛ وهو ما يمثل حوالي ٣.١٪ من السكان الأمريكيين في ذلك الوقت، حتى صعد الرقم لأقصى معدل في عام ١٩٥٩م، حيث وصل عدد الأعضاء إلى ما يتعدى ٤ ملايين عضو<sup>(304)</sup>.

بسبب هذا التطور الملحوظ؛ تدخلت الماسونية الأمريكية في الشؤون العالمية من خلال تكوين علاقات ودية مع الهيئات الماسونية في البلدان الأخرى، وتقديمها آلية للتعاون الدولي بين القادة الوطنيين، وقادت المحافل الماسونية بالولايات المتحدة الجهود الرامية إلى تكوين روابط دائمة بين الدول، ولعبت دوراً نشطاً بشكل خاص في الفترة من ١٩١٤ إلى ١٩١٩م؛ بل وتحكمت الماسونية الأمريكية في «فن الإقناع بالتحولات»، حيث عمل القادة الماسونيون على إقناع المجتمع للقتال ضد «هتلر» وألمانيا في الحرب العالمية الثانية، وتحول قناعاته من مناهضة المنافسين القدامى إلى قبولهم على شكل حلفاء عسكريين حاليين، وهذه الجملة توضيحها باختصار:

الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الأولى لم يكن بينها وبين بريطانيا التي كانت تستعمرها في الماضي أي علاقات جيدة؛ ومع ذلك دخلت الولايات المتحدة في تحالف مع بريطانيا، هذا كان تغييراً درامياً ساهم الماسونيون في تمريره للرأي العام، وتحت شعارات العدل والقيم؛ تقبل الناس تحول الأعداء السابقين إلى حلفاء.

عصبة الأمم والأمم المتحدة

من ناحية أخرى؛ ساهم الماسونيون في إنشاء «عصبة الأمم» كأول منظمة حكومية دولية عالمية مهمتها الرئيسية الظاهرة: «الحفاظ على السلام العالمي» في يناير ١٩٢٠م<sup>(305)</sup>. واستطاع الماسونيون الأمريكيون تطوير مكنوناتها وتحويلها إلى «الأمم المتحدة» الحالية في ١٨ أبريل ١٩٤٦م، باعتبارها نموذجاً للحكم العالمي الحديث؛ لذلك هناك آراء مؤمنة بأن «عصبة الأمم» المدعومة من الماسونية (والتي أصبحت الأمم المتحدة)، هي من شكّلت العالم الحديث بشكل عميق، حيث دعمت الماسونية تعزيز الأمم المتحدة كقوة راسخة في الشؤون الدولية<sup>(306)</sup>.

الماسونية القارية في الولايات المتحدة

على الرغم من وجود المحافل الأنجلوأمريكية بعدد فائق في الولايات المتحدة (على عكس كندا التي تتفوق فيها القارية رغم أنها لا تزال صغيرة)، هناك وجود محدود أيضاً للماسونية القارية، مثل: «اتحاد جورج واشنطن» (GWU)، و«محل الحق البشري»<sup>(307)</sup>، التابعين للتقاليد العالمية القارية أو التقدمية، كما يوجد ل«المحفل الأعظم النسائي لبلجيكا» (GLFB أو WGLB)<sup>(308)</sup>، و«المحفل الأعظم النسائي لفرنسا»؛ فروع ليبرالية في أمريكا الشمالية بما في ذلك كندا.

والجدير بالذكر؛ أنه الآن يوجد بالولايات المتحدة أكبر عدد من الماسونيين في العالم، رغم أن التقديرات تقول إنهم تقلصوا لـ ٢ مليون عضو فقط<sup>(309)</sup> على مر العقود الماضية، ويرجع ذلك جزئياً إلى الشيوخة المتزايدة بين الأعضاء وتغير العوامل الثقافية والاجتماعية، (وسناقش هذه الأسباب في الخاتمة).. ورغم التقلص؛ تعتبر الماسونية الأمريكية أكثر انبساطاً وأقوى تغلغلاً في المجتمع مقارنة بنظيرتها القارية. وبهذا الشكل يتضح أن الماسونية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة هي أساس لتكوين سياساتها - سواء داخلياً أو خارجياً - بعدما ساهموا في بنائها الحديث؛ بل وساهموا في بناء المجتمع الدولي الحديث كله بحسب بعض وجهات النظر.

ثالثاً: في فرنسا

مع العودة لما يحدث في الداخل الفرنسي؛ حيث توقفنا عند زمن الجمهورية الثالثة، وبداية تأسيس «الماسونية القارية» بعد «الانشقاق العظيم» ١٨٧٧م؛ سنجد أن الماسونيين هناك اكتسبوا زخماً سياسياً كبيراً، وقام «محفل الشرق الكبير لفرنسا» بتأسيس «الحزب الجمهوري اليساري» عام ١٩٠١م كواجهة سياسية له<sup>(310)</sup>، وكان حزباً اجتماعياً سياسياً ليبرالياً (وهو أقدم حزب سياسي نشط في فرنسا إلى الآن)، ومن خلاله؛ أصبح للماسونيين وضع سياسي قانوني أكثر فاعلية في السياسة الفرنسية، ورغم هذا التطور الكبير؛ سرعان ما لحق بالماسونية القارية الفرنسية فضيحة سياسية كبيرة.

قضية الأوراق التعريفية

بدأت الماسونية الفرنسية القرن العشرين بفضيحة سياسية تُسمى ب«قضية البطاقات» (أو قضية الأوراق

التعريفية)، وهي فضيحة سياسية اندلعت عام ١٩٠٤م في فرنسا، بدأت تداعياتها على خلفية «قضية دريفوس» السابق ذكرها في الفصل الأول، التي تعلق بالضابط اليهودي «ألفريد دريفوس»، الذي اتُّهم زوراً بالخيانة في ١٨٩٤م.

بدأت القصة في عام ١٩٠٤م؛ حينما أثرت اتهامات حول وجود أنشطة سرية داخل الجيش الفرنسي تتعلق بتعزيز القيم الكاثوليكية والملكية ومعاداة الماسونية، واتُّهمت شخصيات سياسية ماسونية بمحاولة التجسس على انتمايات هؤلاء العسكريين كما حدث مع «دريفوس» من تمييز.

كان من أبرز المتَّهَمين: الجنرال الماسوني «لويس أندريه»، وزير الحرب في ذلك الوقت، والذي طلب جمع البيانات التعريفية للمعتقدات الفلسفية والدينية لنحو ٢٧٠٠٠ ضابط وجندي، وسرعان ما تجاوب معه مئات الماسونيين في جميع أنحاء البلاد للمساعدة في جمع هذه المعلومات؛ حتى وصلت القضية للصحافة الفرنسية التي رأتها محاولة جديدة للعنصرية والتمييز؛ مما تسبب في فضيحة ضخمة أدت إلى إقالة الجنرال الماسوني (311).

ورغم الفضيحة؛ لم تهتز الماسونية الفرنسية واستمرت بكل قوة حتى الوصول للحرب العالمية الأولى، لكن نشاطاتها توقفت قليلاً بعد الخسائر التي تكبدتها الماسونية الفرنسية في الحرب، وبعد وقتٍ بسيطٍ استأنفت نموها مرةً أخرى (312).

في فترة ما بين الحربين العالميتين؛ احتلت الماسونية الفرنسية مكانة رئيسية في المظهر السياسي للجمهورية وشاركت بقوة في نضالاتها، وبالتالي؛ تأثرت بشكل خاص بسقوط الجمهورية على يد «هتلر» و«النازيين» أثناء معركة فرنسا عام ١٩٤٠م في عُبَاب الحرب العالمية الثانية.

فيشي ومناهضة الماسونية

بعد إسقاط «هتلر» لفرنسا في عام ١٩٤٠م؛ تم تشكيل حكومة جديدة مستقلة تحت قيادة الجنرال: «فيليب بيتان»، اسمها «حكومة فيشي» (على اسم المدينة المقر: فيشي)، وهو نظام سياسي مستقل، أصبح بعد ذلك عميلاً بسبب تعاونه مع ألمانيا النازية، وتنفيذ السياسات التي فرضها الاحتلال، مثل: القوانين المعادية للسامية.

اتحدت «حكومة فيشي» مع قوات الاحتلال الألمانية في أكتوبر ١٩٤٠م لتنظيم اعتراض مدبرٍ مناهض للماسونية جاب أنحاء فرنسا، وتمثّل موضوعها الأبرز في أن مؤامرة حيكت ضد فرنسا أدت إلى سقوط البلاد، نظمها «اليهود» و«البروتستانت» و«الماسونيون» و«الأجانب»، وفي عام ١٩٤١م؛ انتشرت مزاعم جديدة رأت في الماسونية أحد الأسباب الرئيسية لهزيمة فرنسا متفوقاً على كل ما ذُكر، وعلى إثر ذلك تم تطبيق قانون عام ١٩٤١م (القانون الخاص بمعاداة اليهود) على الماسونيين على حد سواء، ثم تم إنتاج فيلم مناهض للماسونية واليهودية بعنوان «القوى الخفية»، وتم عرضه في باريس عام ١٩٤٣م (313).. وعلى هذا النحو، تم ترحيل أو قتل مئات الماسونيين الفرنسيين أثناء الحرب العالمية الثانية؛ وسبب ذلك في الغالب هو

مشاركتهم في أنشطة المقاومة الفرنسية أو بسبب أصولهم اليهودية، كما تم نهب المحافل الماسونية وتخريبها ومصادرة أرشيفاتها.

الإعلان عن الاعتزال السياسي

بعد تحرير فرنسا من الاحتلال النازي وهزيمة «هتلر» وانتهاء الحرب العالمية الثانية، عادت المحافل الفرنسية نسبيًا؛ لكن لوحظ انخفاض العدد الإجمالي للماسونيين الفرنسيين النشطين بمقدار الثلثين<sup>(314)</sup>، واستغرقت الماسونية الفرنسية عشرين عامًا لاستعادة أعداد ما قبل الحرب؛ لكنها لم تتمكن أبدًا من استعادة نفس قوة النفوذ السياسي والاجتماعي الذي كانت عليه في كل مراحلها السابقة، وبسبب الشعور بالهزيمة والانتكاس؛ أعلنت أنها ستتحول إلى التأملات الفلسفية التي أصبحت أكثر روحانية في طبيعتها، بدلًا من الانخراط في متاهات السياسة<sup>(315)</sup>.

على إثر هذه القصص؛ تدهورت قوة الماسونية القارية، ومنذ سبعينيات القرن العشرين حدثت عدة انقسامات في الماسونية الفرنسية نفسها أضعفتها أكثر، أدت هذه الانقسامات إلى ظهور العديد من المحافل المستقلة التي تعمل من تلقاء نفسها. ورغم الاعتراف بالإجماع بجدية بعضها؛ هناك اعتراضات على ممارستها للتقاليد الماسونية الصحيحة، ومع الوصول لبداية القرن الحالي، كان في فرنسا نحو ١١ محفلاً كبيرًا، لا يعترف سوى عدد قليل منهم رسميًا بشرعية المحافل الأخرى؛ لذلك ظهرت محاولات ماسونية حثيثة للتقارب.

محاولة التوحيد

في محاولة للملمة التناثر؛ اجتمع كبار الأساتذة ورؤساء تسع محافل ماسونية في باريس في ٢٠ فبراير ٢٠٠٢م، لتوقيع النص التأسيسي لـ «الماسونية الفرنسية» («Maçonnerie française»)، وكان فحواه على النحو التالي:

بعيدًا عن الخلافات الحزبية، ومن خلال رحلة تأهيلية لتحرر الضمائر، تؤكد الطاعات الماسونية الفرنسية معًا:

«أولوية التوازن في الرحلة التمهيدية، وممارسة المنهج الرمزي والانخراط في المجتمع كمواطن، ورفض كل التعصبات والتمييز العنصري وكل النزعات التكاملية والتطرف، والحث على الإرادة للعمل من أجل تحسين الحالة الإنسانية وتقديم الحريات الفردية والجماعية، والدفاع عن الحرية المطلقة للضمير والفكر والتعبير والتواصل وتعزيزهم، والدفاع عن العلمانية وتعزيزها؛ حيث إنها الحرية الأساسية التي تسمح للجميع بالبحث والحوار من أجل السلام والأخوة والتنمية».

وترتب على ذلك، إنشاء «المعهد الماسوني في فرنسا» (Institut maçonnique de France، أو IMF) في أكتوبر ٢٠٠٢م؛ بهدف الترويج للصورة الثقافية للماسونية الفرنسية عبر التراث التاريخي والأدبي والفني وتنوعه، وإعادة اكتشاف ودعم جميع المهتمين من الجمهور بالقيم الثقافية والأخلاقية للماسونية؛ على حد

زعمهم.. وأعلنوا أن IMF هو مؤسسة للثقافة الماسونية ومركز للدراسات والأبحاث، كما قرروا تنظيم صالون سنوي للكتب الماسونية، والإعلان عن منح جائزة أدبية لأي مؤلف (ليس ماسونياً)؛ بشرط أن يدافع عن أفكار وقيم قريبة من أفكار وقيم الماسونية الصحيحة.

الآن أصبحت الماسونية ذات الطراز القاري في فرنسا ذات أغلبية ساحقة، ويعتبر «محفلة الشرق الكبير لفرنسا» هو أكبر هيئة ماسونية على الإطلاق، يليه في المركز الثاني «المحفلة الكبير بفرنسا» (وهو أيضاً ضمن التقاليد القارية)، أما ثالث أكبر هيئة ماسونية فهو «المحفلة الوطني الفرنسي الكبير» ذي الطراز الأنجلوأمريكي<sup>(316)</sup>.

\*\*\*

مع العودة مجددًا لتاريخ أوروبا ككل إبان النهضة الماسونية؛ سنجد أنها شهدت من البداية مخاوف وشكوكًا تجاه هذا التنظيم الغامض؛ خاصةً من جهة رجال الدين الكاثوليك الذين رأوها من الوهلة الأولى العدو الشيطاني الأكبر، كما سبق وذكرنا.

تعملق العداء أكبر؛ وكالمعتاد في مدينة ترينتو بإيطاليا ظهرت فعالية جديدة عام ١٨٩٦م، وهي «المؤتمر الدولي المناهض للماسونية»، برعاية البابا: «ليون الثالث عشر» والإمبراطور النمساوي المجري الكاثوليكي «فرانز جوزيف» (فرانتس يوزف الأول)، وجمع المؤتمر ١٥٠٠ مندوب و٣٠٠ صحفي، بالإضافة إلى أساقفة كاثوليك بارزين، مع مباركات وتشديدات ودعوة للحزم من خلال آلاف البرقيات من الطوائف اليمينية من غالبية دول العالم، وأنشأ المؤتمر هيئة دائمة تحت مسمى «الاتحاد العالمي المناهض للماسونية»؛ بغرض توحيد المعارضة وتحالف جميع الجماعات المناهضة للماسونية، وتعزيز عزيمتهم وقدراتهم على محاربة الماسونيين أمة بعد أمة، لكن من اللحظة الأولى بدا فشله؛ بسبب السيطرة البابوية البحتة وعدم التنظيم المتقن، وبمتمهى الإحباط ثبت عدم فعاليته في تحقيق توقعاته العظيمة.. ورغم ذلك؛ يرى الباحثون أن إنشائه كان بمثابة مقياس للغضب المرير بين أعداء الماسونية الكاثوليك<sup>(317)</sup>.

مع فشل هذا الاتحاد العالمي؛ استمرت الماسونية - القارية الليبرالية أكثر - في النمو والتوسع، وأصبحت قوية في دول مثل بلجيكا، إيطاليا، إسبانيا، خاصةً بعد دعوتها للمساواة بين الجنسين وحقوق الإنسان، ويعتبر «محفل الحق الإنساني» (Le Droit Humain) الذي تأسس عام ١٨٩٣م في فرنسا؛ من أوائل المحافل التي سمحت للنساء بالانضمام إلى الماسونية.

هذا التوجه العلماني والليبرالي جعل الماسونية القارية تجذب عددًا كبيرًا من الأفراد الذين يبحثون عن بديل أكثر حداثة للماسونية التقليدية في الدول الأوروبية.. وعلى الرغم من كل الجهود؛ فإن أعداد الأعضاء الذين يتبعون تقاليد الماسونية العادية في تلك الدول فاقت بنسبة كبيرة أعداد المنتسبين للماسونية القارية<sup>(318)</sup>، خاصةً في الدول الجرمانية (ألمانيا - النمسا - سويسرا - هولندا - الدنمارك - النرويج - السويد - أيسلندا - بلجيكا)، التي تتبنى الطقوس الماسونية التقليدية، وكذلك الطقوس السويدية المفتوحة للمعترفين بالإيمان المسيحي في الدول الاسكندنافية (السويد - النرويج - الدنمارك - فنلندا)، وبسبب اعتراف الماسونية التقليدية بالطقوس السويدية؛ تم اعتبارها ماسونية تقليدية لكن بطقوس منفصلة<sup>(319)</sup>.

ورغم محاولات النهوض؛ قابلت الماسونية - بفرعيها - بأوروبا مناهضاتٌ جديدة أكثر فتكًا في القرن العشرين؛ حتى بعد سقوط إمبراطورية النمسا - المجر، التي ترأست مؤتمر ترينتو المنظم للاتحاد العالمي لمناهضي الماسونية.

الماسونية بعد سقوط إمبراطورية النمسا والمجر

بعد سقوط الإمبراطورية النمساوية - المجرية في الحرب العالمية الأولى، قاد «بيلا كون» - الشخصية

الشيوعية البارزة - قيام «جمهورية المجر السوفيتية» في عام ١٩١٩م؛ كأول دولة شيوعية في وسط أوروبا، وسعى إلى تطبيق ما يُسمى بنظام «ديكتاتورية البروليتاريا»؛ بناءً على الأيديولوجيا الماركسية. في ظل حكم الديكتاتورية الشيوعية؛ أُغلقت المحافل الماسونية المجرية بالقوة. ورغم سقوط الديكتاتورية قصيرة الأمد هذه؛ ألقى زعماء الثورة المضادة اللوم أيضاً على الماسونيين المجرين في هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى وفي الثورة، وتم حظر الماسونية بموجب مرسوم في عام ١٩٢٠م. كان هذا بمثابة بداية لأعمال العنف التي شنها ضباط الجيش على المحافل الماسونية، وسرقة وتدمير المكتبات الماسونية والسجلات والمحفوظات والأدوات والأعمال الفنية، ومصادرة العديد من المباني الماسونية واستخدامها في المعارض المناهضة للماسونية، وتم الاحتفاظ بالوثائق الماسونية إلى الآن، وهي دائماً خاضعة للبحث المتجدد<sup>(320)</sup>.

بعد الحرب العالمية الثانية؛ تم تأسيس المحافل من جديد في المجر، لكن بعد مرور خمس سنوات وافتتاح الحكومة بأنها أوكار تضم أعداء الجمهورية الديمقراطية الشعبية والعناصر الرأسمالية وأتباع الإمبريالية الغربية؛ وبالتالي تم حظرها مرة أخرى في عام ١٩٥٠م<sup>(321)</sup>.

بعد فترة طويلة من القمع؛ بدأت المحافل ذات الطراز القاري الليبرالي في العودة إلى الظهور بالمجر بعد انتهاء الحكم الشيوعي في التسعينيات، والآن توجد عدة محافل في مدن كبرى مثل بودابست وغيور وسوبرون، ويشمل بعضها محافل للرجال وأخرى مختلطة، وأشهر المحافل في بودابست: «محفل سانت جون» و«محفل الملك سليمان».

كما أن هناك محافل تستند إلى تقاليد مختلفة، مثل «محفل الشمس» (Napraforgó) المخصص للنساء، و«محفل التسامح والأخوة» الذي يقبل الأعضاء من كلا الجنسين.

في النمسا أيضاً؛ بعد فترة الحظر التي امتدت خلال الحقبة النازية ثم الحقبة الشيوعية في وسط أوروبا؛ عادت الماسونية فيها لتعمل بشكل رسمي على الطراز القاري كذلك، ويوجد حالياً محافل ماسونية نشطة تعمل بشكل قانوني ومنظم، وتعتبر النمسا جزءاً من الحركة الماسونية الأوروبية العلمانية، وتدار محافلها تحت إشراف «المحفل الأعظم للنمسا» (Großloge von Österreich)، الذي يُعترف به دولياً كمنظمة ماسونية رئيسية في البلاد، كما توجد محافل ماسونية في عدة مدن نمساوية أخرى، أهمها العاصمة فيينا.

الماسونية في إيطاليا

كانت الماسونية مع بداية القرن العشرين قوةً مؤثرة شبه سرية تتحكم في السياسة الإيطالية بعمق دون الإعلان الرسمي عن ذلك؛ من خلال حفاظها على الحضور القوي بين المهنيين والطبقة المتوسطة في جميع أنحاء إيطاليا، وترتب على ذلك؛ تمكُّنها من تمثيلهم في البرلمان، ثم تولي قيادة البرلمان نفسه، تلا ذلك الإدارات العامة، حتى وصلت لقيادة الجيش.

كالعادة؛ تبنى الماسونيون معاداة رجال الدين وروجوا لتوحيد إيطاليا؛ في ظل معارضة الكنيسة

الكاثوليكية للتوحيد، وشهدت إيطاليا فترة من عدم تباين الموقف الماسوني تجاه الحكومات بحسب أيديولوجيتهم؛ تؤيدهم في حال معارضة الكنيسة، وتعارضهم في حال تأييدها<sup>(322)</sup>.

بسبب رغبة الماسونيين في التوحيد؛ روجوا للقومية الإيطالية التي تركز على تقويض قوة الكنيسة الكاثوليكية، وتمكنوا من تعبئة الصحافة وتشجيع الرأي العام والأحزاب السياسية الرائدة؛ لدعم انضمام إيطاليا إلى حلفاء الحرب العالمية الأولى في عامي ١٩١٤ و ١٩١٥م، وفي عام ١٩١٩م اتحدوا مع الماسونية العالمية في مشروع إنشاء «عصبة الأمم» لتعزيز النظام العالمي الجديد بعد الحرب<sup>(323)</sup>.

الماسونية وفاشية موسوليني

في أوائل عشرينيات القرن العشرين؛ كان العديد من المتعاونين مع «بينيتو موسوليني» من الماسونيين، وأشادت المحافل بالفاشية باعتبارها مُنقذ إيطاليا، بسبب سعي «موسوليني» إلى خلق نوع من «الوحدة الوطنية» تحت حكمه؛ عبر السيطرة على جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ورغم ذلك أصدر «بينيتو موسوليني» مرسومًا في عام ١٩٢٤م يقضي بأن يتخلى كل عضو في حزبه الفاشي - الذي كان ماسونيًا - عن إحدى المنظمتين، وفي عام ١٩٢٥م حل الماسونية تمامًا في إيطاليا، مُدعيًا أنها منظمة سياسية تفسد الشأن السياسي الداخلي.. كان هذا خيارًا صعبًا للعديد من رجال الدولة الماسونيين، فعلى سبيل المثال: تخلى أحد أبرز الفاشيين الجنرال «كابيلو»؛ الذي كان أيضًا نائبًا لرئيس «محفل الشرق الكبير لإيطاليا» (المحفل الأعظم الرائد في إيطاليا آنذاك) عن عضويته في الحزب الفاشي بدلًا من تخليه عن الماسونية، وهذا ما دفعه لاحقًا للمشاركة في محاولة فاشلة لاغتيال «موسوليني»، وعلى إثرها تم اعتقاله وحُكم عليه بالسجن لمدة ٣٠ عامًا<sup>(324)</sup>.

بعد سقوط «موسوليني»؛ عادت المحافل الماسونية للعمل، ففي الرابع من ديسمبر ١٩٤٣م بروما؛ أعاد أعضاء «المحفل الأعظم في إيطاليا» تشكيل المجلس الأعلى للطقوس الاسكتلندية، تلا ذلك سنوات من الانقسام والارتباك، حيث حاولت مجموعات مختلفة إحياء نسختها الخاصة من الماسونية؛ بعد منافسة الماسونية القارية والماسونية العادية فيها<sup>(325)</sup>.

في ظل هذه الفوضى والادعاءات بالاستحقاق؛ ظهرت محافل عديدة منها القانونية وغير القانونية؛ حتى أبلج حادث أضجّ أركان العالم في ثمانينيات القرن العشرين، وتسبب في تشويه سمعة الماسونية الإيطالية، بل والعالمية؛ لدرجة أبعد مما كانت عليه، وهو الممارسات غير القانونية لـ «محفل الدعاية المستحقة».

فضيحة الدعاية المستحقة ٢ (P2)

«فضيحة الدعاية المستحقة ٢ (P2)»، هي واحدة من أكبر الفضائح السياسية والمالية في إيطاليا.. بدأت في سبعينيات القرن العشرين واستمرت حتى الثمانينيات. تتعلق الفضيحة بمحفل ماسوني سري يُعرف باسم «محفل الدعاية ٢»، الذي أسس بشكله الأولي في إيطاليا عام ١٨٧٧م؛ ضمن تقاليد الماسونية القارية وتحت سلطة «محفل الشرق الأعظم لإيطاليا»، تم إيقاف عمله في ظل رحلة الاضطهاد السابقة؛ لكنه أُقيم مرة

أخرى سرًا بعد أن تم تحويله من قبل «لوتيشو جيلي» في عام ١٩٧٦م لشبكية إجرامية دولية غير قانونية وسرية ومعادية للشيوعية والسوفييت والماركسية<sup>(326)</sup>.

عملت الجمعية غير القانونية سرًا؛ في انتهاك واضح للمادة ١٨ من دستور إيطاليا الذي حظر جميع الجمعيات السرية، وواصل «لوتيشو جيلي» إدارة التزل غير التابع من عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٨٢م؛ بهدف تعزيز المصالح السياسية والاقتصادية لأعضائه، وفتح قنوات نفوذ في الحكومة والجيش والإعلام.

تورط المحفل في العديد من الجرائم والألغاز الإيطالية، بما في ذلك انهيار بنك أمبروزيانو التابع للكرسي الرسولي؛ وعمليات القتل المأجورة كمقتل الصحفي «كارمين بيكوريللي» ورئيس البنك «روبرتو كالفلي»؛ وانتشار الفساد السياسي والرشوة الوطنية، وكان له تأثير كبير على السياسة والاقتصاد الإيطالي؛ لدرجة أنه يُشار إليه أحيانًا باسم «الدولة داخل الدولة»<sup>(327)</sup>؛ أو «حكومة الظل»<sup>(328)</sup>.

كشفت التحقيقات التي أجرتها الشرطة الإيطالية عن قوائم أعضاء المحفل، وتبين أنها تشمل سياسيين بارزين ورجال أعمال وضباطًا في الجيش، كان من بين الأعضاء رئيس الوزراء والعديد من وزرائه؛ وصحفيون بارزون وأعضاء في البرلمان الإيطالي؛ وصناعيون؛ وكبار ضباط الجيش الإيطالي - بما في ذلك «سيلفيو برلسكوني» الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء إيطاليا عام ١٩٩٤م - وأفراد من آل سافوي المطالبون بالعرش الإيطالي استمرارا لإرث جدهم «فيكتور إيمانويل الثالث» آخر ملوك مملكة إيطاليا<sup>(329)</sup>، كما تورط في القضية رؤساء أجهزة الاستخبارات الخارجية الإيطالية الثلاثة (SISMI و SISDE و CESIS).

أدت الفضيحة إلى زعزعة الثقة في المؤسسات الحكومية الإيطالية، وكشفت عن العلاقات المشبوهة بين السياسة والماسونية، كما أثرت على الانتخابات وخلقت انقسامات سياسية حادة، وذكرت التحقيقات القانونية أنهم عملوا على تأسيس «دولة موازية» تحكم من وراء الكواليس، فعند تفتيش فيلا «جيلي» عثرت الشرطة على وثيقة كانت تحمل عنوان «خطة النهضة الديمقراطية»، والتي دعت إلى الانقلاب وتوحيد وسائل الإعلام، وقمع النقابات العمالية، وإعادة كتابة الدستور الإيطالي<sup>(330)</sup>.

على إثر الفضيحة؛ تم التبرؤ من «جيلي» وشطب عضويته من قبل الإدارة المركزية ل«محفل الشرق الأعظم لإيطاليا» لتجنب أي مساءلة قانونية، وذكرت أنهم لا يعترفون ب P2 بعد أن تم تعليقه في عام ١٩٧٦م، وفي النهاية تم حظر المحفل في ٢٥ يناير ١٩٨٢م.

ألحقت الفضيحة ضررًا خطيرًا بالماسونية في إيطاليا؛ بل والعالم كله.. وبسبب سمعتها التي لم تخمل؛ تخلى السيد الأعظم ل«المحفل الأعظم في إيطاليا» آنذاك «جوليانو دي برناردو» عن المحفل عام ١٩٩٣م، وقرر أن ينأى بنفسه عن الشكوك، وأسس «المحفل الأعظم المنتظم لإيطاليا»، الذي اكتسب على الفور - ولا يزال - اعترافًا من «المحفل الأعظم الموحد لإنجلترا».

الماسونية في إسبانيا

انتهت محاكم التفتيش الإسبانية رسميًا عام ١٨٣٤م؛ عندما أصدرت الملكة «ماريا كريستينا» - الوصية

على عرش إسبانيا نيابة عن ابنتها «إيزابيل الثانية» - مرسومًا ملكيًا بإلغاء هذه المحاكم، كجزء من سلسلة الإصلاحات التي هدفت إلى تحديث الدولة وتخفيف سيطرة الكنيسة الكاثوليكية على الحياة السياسية والاجتماعية، وترتب على ذلك؛ ممارسة الماسونية نشاطاتها بحرية.

العصر الذهبي للماسونية الإسبانية

على إثر ذلك؛ عاشت الماسونية عصرًا ذهبيًا هناك لمدة ست سنوات من ١٨٧٥ م إلى ١٩٠٢ م.. على سبيل المثال؛ في برشلونة كان هناك أكثر من أربعين محفلًا نشطًا في عام ١٨٩٠ م، وتم نشر العديد من المجلات الماسونية التي جمعت الأموال للصناديق الخيرية لتخفيف معاناة أسر الماسونيين المتوفين على يد محاكم التفتيش، كما تأسس في عام ١٨٨٩ م محفل «جراند أورينت لإسبانيا» على الطراز القاري في كاتالونيا، ثم تم تقاسم الهيمنة مع «المحفل الكبير الرمزي لمنطقة البليار الكتالونية»، والذي تم إنشاؤه قبل ثلاث سنوات لدعم القومية الكتالونية، وكان أول محفل إسباني يقضي بعدم إجبار أعضائه على الاعتراف بوجود «المهندس العظيم للكون» على الطراز القاري<sup>(331)</sup>.

مناهضة من جديد

من ناحية أخرى؛ توسعت أيضًا معاداة الماسونية خلال هذه السنوات، بتحفيز من الكنيسة الكاثوليكية التي شعرت بتقهقر عزميتها في إسبانيا ومناطق أخرى، وفي محاولة للاستقواء من جديد؛ في عام ١٨٨٤ م نشر البابا «ليو الثالث عشر» رئيس الكنيسة الكاثوليكية الرسالة العامة المعروفة باسم: «Humanum genus» (الجنس البشري)، أدان فيها مرة أخرى الماسونية واعتبرها واحدة من أعداء الكنيسة الرئيسيين.

تسللت الكراهية من جديد إلى الداخل الإسباني، ليس بسبب التحريض الكاثوليكي وحسب؛ لكن الماسونية الإسبانية في ذلك الوقت اتهمت بالخيانة وإشعال الانتفاضات في كوبا والفليبين (التي كانتا تحت وطأة الاستعمار الإسباني)، والتعاون مع حركات الاستقلال، ومن الأمثلة على هذه الحملة المناهضة للماسونية في الداخل الإسباني، عمل نشره الكاتب والأكاديمي الأصولي الفالنسي والسياسي المؤثر «مانويل بولو إي بيرولون» (١٨٤٦-١٩١٨) في عام ١٨٩٩ م قال فيه:

«الماسونية هي وحش يتأمر في الكهوف، لارتكاب جميع أنواع الجرائم والجُح، وهي آلة تصنيع لجميع الجرائم كالقتل، والتسميم، وقتل الملوك، والاضطهادات ضد الكنيسة، والعرش والوطن، والحروب، والأزمات السياسية، والافتراء، والانتقام، والتدنيس، وأسرار الإثم، وعبادة لوسيفر<sup>(332)</sup>، وهي المسؤولة عن الأحداث الغامضة والشيطانية والإجرامية والشريرة الأكثر فظاعة التي حدثت وتحدث في العالم»<sup>(333)</sup>.

علا الصوت المناهض للماسونية بإسبانيا، وتم إغلاق مقر مدريد ل«الشرق الأعظم لإسبانيا» و«الشرق الأعظم الوطني لإسبانيا»؛ وصودرت جميع وثائقهم، كما أُلقي القبض على عدد كبير من قادة الماسونية بالبلاد؛ لينتهي بذلك عصر الماسونية الذهبي بإسبانيا للأبد.. وعلى إثر هذه القصة؛ مع حلول عام ١٩٢٠ م أصبحت المحافل في برشلونة لا تتعدى اثني عشر محفلًا<sup>(334)</sup>.

رغم التقلص؛ لم تكن الماسونية غريبة على الصراعات السياسية التي كانت قائمة في إسبانيا في العقود الأولى من القرن العشرين؛ خاصةً فيما يُعرف بـ«الهوية الإقليمية»، وهي عبارة عن انقسام له فرعان أو مفهومان: الدولة المركزية، والدولة الفيدرالية، حيث دافع «المحفل الكبير لإسبانيا» عن إقامة نظام مركزي عاصمته مدريد، يُركز على أن تكون السلطة في يد الحكومة المركزية فقط؛ بينما فضّل «المحفل الكبير الرمزي في البليار الإقليمي الكتالاني» النظام الفيدرالي، ل يتم فيه توزيع السلطة بين حكومة مركزية وحكومات محلية (كالولايات أو الأقاليم) تملك كل جهة قدرًا من الحكم الذاتي والسلطات الخاصة بها، وقد دفع ذلك محفل البليار الرمزي إلى العمل في جميع أنحاء إسبانيا لنشر رغبته منذ عام ١٩٢١م، وحاول اتباع نموذج الولايات المتحدة؛ لذلك شرع في إنشاء محفل كبير مستقل في كل منطقة من شبه الجزيرة الأيبيرية، بما في ذلك البرتغال.. وبعد عامين، بناءً على طلب محافلهم الكتالونية؛ اكتسب المحفل الكبير هيكلًا مشابهًا، وتمت إعادة تسمية المنظمة في كاتالونيا إلى «المحفل الكبير لشمال شرق إسبانيا»<sup>(335)</sup>.

من ناحية أخرى؛ في الثلث الأول من القرن العشرين توقفت المحافل عن كونها مقتصرة على الطبقة المتوسطة فقط، حيث ضمت عددًا قليلًا جدًا من أعضاء الطبقة العاملة، وكان غالبية أعضائها من الأناركيين اللاسلطويين الكتالونيين<sup>(336)</sup>، الذين تسللوا إلى الجمعيات الماسونية منذ أواخر القرن التاسع عشر.

الماسونية ودموية فرانسيسكو فرانكو

قاد الجنرال «ميغيل بريمو دي ريفيرا» انقلابًا عسكريًا في ١٣ سبتمبر ١٩٢٣م في إسبانيا، وأطاح بالحكومة المدنية وأسس نظامًا ديكتاتوريًا تحت مسمى «مديرية عسكرية» (Directorate Military)، والمعروفة تاريخيًا بـ«دكتاتورية بريمو دي ريفيرا»، وخلال حكمها شن حملة قمعية على الماسونية، ثم أمر بحظرها في سبتمبر ١٩٢٨م، وسجن ما يقرب من مائتين من القادة الماسونيين، كان أبرزهم السيد الأكبر للمحفل الكبير، بتهمة التآمر ضد الحكومة<sup>(337)</sup>.

ومع الوصول لعام ١٩٣٦م المعروف كبداية للحرب الأهلية الإسبانية (١٩٣٦-١٩٣٩م)؛ تمكن مجموعة من القادة العسكريين، أبرزهم الجنرال «فرانسيسكو فرانكو»، من الانقلاب ضد الحكومة الجمهورية الإسبانية المنتخبة ديمقراطيًا المكونة من تحالف اليساريين والاشتراكيين والشيوعيين، وفي أعقاب الانقلاب العسكري؛ تم القبض على العديد من الماسونيين المحاصرين في المناطق الخاضعة لسيطرة القوميين وقتلهم على الفور، إلى جانب أعضاء الأحزاب اليسارية والنقابيين والاشتراكيين والشيوعيين، وتم تسجيل حالات خنق وإطلاق نار وقتل للمعارضين بما فيهم الماسونيون؛ على يد فرق الموت المنظمة في كل مدينة في إسبانيا<sup>(338)</sup>.

تم حظر الماسونية مرة أخرى رسميًا في قانون قمع الماسونية والشيوعية<sup>(339)</sup>، وبعد مرسوم «فرانكو» الذي حظر الماسونية؛ مُنح أنصاره ورجاله شهرين للاستقالة من أي محفل قد يكونون أعضاء فيه، لكن

اختار العديد منهم الذهاب إلى المنفى بدلاً من التخلي عن ماسونيتهم؛ بما في ذلك الملكيون البارزون الذين دعموا بكل إخلاص التمرد القومي في عام ١٩٣٦م<sup>(340)</sup>.

في هذه الأجواء القمعية؛ زاد نشاط أحد أشد معارضي الماسونية الأب «خوان توسكيتس تيراس» الذي قرر محاربة القوميين، وأعلن تبنيه مهمة فضح الماسونيين، ثم تضامن معه قسيس «فرانكو» الشخصي.. وعلى مدار العامين التاليين جمع هذان الرجلان فهرسًا ضخماً يضم ٨٠.٠٠٠ من الماسونيين المشتبه بهم، وتم حرق مبنى النزل في قرطبة، وتمت مصادرة «محفلة سانتا كروز دي تينيريفي» الماسوني في جزر الكناري (أكبر مركز ماسوني في إسبانيا حتى تلك اللحظة) وتدنيسه والاستيلاء عليه من قبل الكتائب الإسبانية، وتحويله إلى مقر للكتائب، وقُصف مركز آخر بالمدفعية في سلمانكا، ووقعت أحداث مماثلة في جميع أنحاء البلاد، حيث تم تجميع الماسونيين في الأماكن العامة لإعدامهم رمياً بالرصاص، وكان أدنى شك في كون المرء ماسونياً كافياً في كثير من الأحيان لكسب مكان في غرفة إعدام.. وبحلول ١٦ ديسمبر ١٩٣٧م - وفقاً للجمعية الماسونية السنوية التي عُقدت في مدريد - قُتل جميع الماسونيين الذين لم يهربوا من المناطق الخاضعة للسيطرة القومية<sup>(341)</sup>.

يزعم أنصار «فرانكو» أنه كان محقاً في سحق الماسونيين، حيث كان النظام الجمهوري الذي أطاح به «فرانكو» ممولاً من الماسونية، وهذه حقيقة تاريخية لم يمكن استبعادها؛ فالماسونيون الإسبان كانوا حاضرين بالفعل في جميع قطاعات السياسة والقوات المسلحة<sup>(342)</sup>، وكان لدى الجنرال «فرانكو» هوس شديد وجنوني ضد الماسونية، ودائماً ما كانت تُشير دعايته إلى «مؤامرة يهودية ماسونية» (التي تبناها النازيون)، وقد كتب بنفسه ما لا يقل عن ٤٩ مقالاً في مجلات مناهضة للماسونية باسم مستعار، وكتاباً مناهضاً للماسونية خلال حياته، ومن أشهر أقواله:

«يمكن تفسير كل سر الحملات التي سُنت ضد إسبانيا بكلمتين: الماسونية والشيوعية.. يتعين علينا استئصال هذين الشرين من أرضنا»<sup>(343)</sup>.

استمر قانون قمع الماسونية والشيوعية معمولاً بها ولم يُلغَ حتى عام ١٩٦٣م، قبل أن تعود الحياة مجدداً للماسونية الإسبانية.

عودة الروح للماسونية الإسبانية

مع التحول الديمقراطي (١٩٧٥-١٩٨٢) واعتماد دستور عام ١٩٧٨م؛ تم إضفاء الشرعية على الماسونية في إسبانيا في ١٩ مايو ١٩٧٩م بقرار من محكمة التقاضي الإداري التابعة للمحكمة العليا، واستندت المحكمة العليا في حكمها على حرية تكوين الجمعيات التي يعترف بها الدستور ويحميها<sup>(344)</sup>.

الصورة الحالية للمنظمات الماسونية في إسبانيا، متعددة التفسيرات المختلفة للانتظام الماسوني؛ فهي تشمل تنوعاً كبيراً في المحافل: (الليبرالية، المحافظة، التقليدية، العلمانية، الدينية، الباطنية، الإقليمية، الوطنية، الدولية، وكذلك الإناث والمختلطة)، ومع بدايات القرن الحادي والعشرين افتتحت محافل عديدة كـ«محفلة

الشرق الأعظم في شبه الجزيرة الأيبيرية» الليبرالي عام ٢٠٠١م، وفقاً للطقوس الفرنسية.

الماسونية في ألمانيا النازية وأوروبا المحتلة

مع العودة للماسونية الألمانية؛ سنجد أنه منذ عام ١٨٠١م بدأت المحافل التابعة للمحافل الكبرى المختلفة في تأسيس ما يُعرف بـ «أندية المحافل»، وفي أول جمعية من نوعها التقى «المحفل الكبير الإقليمي لهامبورج» بـ «المحفل الكبير لهانوفر» و«المحفل الكبير رويال يورك للصدّاقة»، وعلى إثر ذلك؛ تأسست «الجمعية الماسونية للمحافل الكبرى الثلاثة في برلين»، وفي عام ١٨٣٩م تم تشكيل «نادي الأساتذة الكبار للمحافل الكبرى البروسية القديمة الثلاثة» في مكانه، (والذي استمر حتى عام ١٩٣٥م)، وبهذا الشكل ظهر ما يُعرف بالتوحيد، ونشأت علاقات تعاون وثيقة بين المحافل الكبرى في برلين<sup>(345)</sup>.

بعد هزيمة الحرب العالمية الأولى

في جمهورية فايمار والمعروفة رسمياً باسم الرايخ الألماني في الفترة من (١٨٧١ إلى ١٩٤٥م)؛ كان اليهود والماسونيون هم الأهداف المفضلة للدعاية اليمينية، وجلب المهاجرون مثل الألماني المولود بروسيا القيصرية: «ألفريد روزنبرج» بروتوكولات حكماء صهيون إلى أوروبا الغربية والوسطى، ونُشرت كتابات مثل كتاب «جريمة الماسونية واليهودية واليسوعية والمسيحية الألمانية» عام ١٩٢١م، الذي ركز على «نظرية المؤامرة اليهودية - الماسونية»؛ وعزمها على تقويض وجود الدول الأخرى، وانتشرت الاتهامات التي تدعي تسببها في الثورة الروسية، ونشاطاتها لنشر الرأسمالية والشيوعية، وتطلعات اليهود الدوليون إلى الهيمنة على العالم، وهذا ما استشهد به «هتلر» في كتابه «كفاحي»<sup>(346)</sup>.

وبالضي قدماً نحو نشر المعاداة؛ نجح القائد العسكري السابق «إريك لودندورف» في نشر «أسطورة الطعنة في الظهر»، التي تزعم أن ألمانيا كان من الممكن أن تنتصر في الحرب العالمية الأولى لولا أن القوى العظمى عملت على تقويض «النضال البطولي للشعب الألماني» بطريقة خبيثة، وأن الماسونية كانت أحد أسباب الهزيمة<sup>(347)</sup>، كما ألقت زوجته «ماتيلد» كتابات عن «القوى فوق الوطنية» التي كانت موجودة، وقصدت بها: اليهود والماسونيون المتحدون في شبكة دولية تشكلت لغرض اكتساب السلطة على العالم، وقد تبنى «هتلر» وأتباعه الكثير من نظرية المؤامرة المناهضة للماسونية التي طرحها «لودندورف»<sup>(348)</sup>.

وبهذا الشكل؛ اعتُبر الماسونيون عدوًا أيديولوجيًا للنازية في تصورهم للعالم (Weltanschauung) فقد ذكر «هتلر» في «كفاحي»:

«الماسونية استسلمت لليهود، وأصبحت أداة ممتازة للقتال من أجل أهدافهم واستخدام خيوطهم لسحب الطبقات العليا من المجتمع إلى تصاميمهم».

وأردف قائلاً:

«إن الشلل السلمي العام للغريزة الوطنية للحفاظ على الذات الذي بدأته الماسونية؛ ينتقل بعد ذلك إلى جماهير المجتمع عن طريق الصحافة»<sup>(349)</sup>.

أقر البرلمان الألماني (الرايخستاغ) القانون المعروف بـ«قانون التمكين» في ٢٣ مارس ١٩٣٣م، والذي قضى بحل الماسونية نهائياً في ٨ يناير ١٩٣٤م، ومصادرة ممتلكات جميع المحافل، ويُذكر أن «هتلر» مع توليه السلطة؛ منع الشخصيات الماسونية البارزة في الدولة من تولي مناصب في الحزب النازي أو أسلحته شبه العسكرية، وكانوا غير مؤهلين للتعيين في الخدمة العامة؛ نظراً لاعتبارهم باستمرار عدوًا أيديولوجيًا للنازية في تصورهما للعالم.

في الثامن من أغسطس عام ١٩٣٥م؛ أعلن الفوهرر والمستشار «أدولف هتلر» في صحيفة الحزب النازي «فولكشير بيوباتشر» مشروع «الحل النهائي» لجميع المحافل الماسونية في ألمانيا، واتهم المقال مؤامرة الماسونية واليهودية العالمية بالسعي إلى إنشاء جمهورية عالمية<sup>(350)</sup>، وتم إنشاء أقسام خاصة من جهاز الأمن (SD) وفي وقت لاحق المكتب الرئيسي لأمن الرايخ (RSHA)؛ للتعامل مع الماسونية. وتم تصنيف نزلاء معسكرات الاعتقال الماسونية كسجناء سياسيين، وارتدوا مثلثًا أحمر مقلوبًا (وجهه لأسفل) لتمييزهم<sup>(351)</sup>، (وهو نفس الرمز الذي يتم تداوله حاليًا ضد الصهاينة بشكل كبير أثناء حربهم على غزة منذ السابع من أكتوبر ٢٠٢٣م)، وفي عام ١٩٣٧م افتتح وزير دعايته «جوزيف جوبلز» معرضًا مناهضًا للماسونية، لعرض الأشياء التي استولت عليها الدولة.

#### مزاعم الهولوكوست

تُظهر السجلات المحفوظة لمكتب الأمن الرئيسي للرايخ؛ اضطهاد الماسونيين أثناء الهولوكوست<sup>(352)</sup>، وفي حين أن عدد الضحايا في ألمانيا أو البلاد المحتلة غير معروف بدقة، يُقدر الماسونيون أن ما بين ٨٠,٠٠٠ إلى ٢٠٠,٠٠٠ ماسوني قُتلوا في ظل القمع النازي<sup>(353)</sup>، وكمقاومة لمن ينكرون الهولوكوست؛ أنشأت حكومة المملكة المتحدة «يوم ذكرى الهولوكوست» للاعتراف بجميع المجموعات التي كانت هدفًا للنظام النازي، وبالطبع تم إدراج الماسونيين على أنهم من بين أولئك الذين تم استهدافهم.

#### الماسونية خلال الحرب العالمية الثانية

خلال الحرب العالمية الثانية؛ تم حظر الماسونية بموجب مرسوم في جميع البلدان التي كانت إما متحالفة مع النازيين أو تحت الاحتلال النازي؛ بما في ذلك بولندا والنرويج وفرنسا والدنمارك وبلجيكا ولوكسمبورغ وهولندا واليونان وغيرها، وأقيمت معارض مناهضة للماسونية في العديد من البلدان المحتلة، كما تم التنديد بالمارشال الميداني الألماني: «فريدريش باولوس» باعتباره «ماسونيًا رفيع المستوى» عندما استسلم للاتحاد السوفييتي في عام ١٩٤٣م<sup>(354)</sup>.

وفي عام ١٩٤٣م؛ قامت كتبية الدعاية، وهي وفد من وزارة الدعاية الألمانية النازية داخل فرنسا المحتلة أو «حكومة فيشي»، بإنتاج فيلم دعائي بعنوان «القوى الخفية»، كما سبق أن ذكرنا.

#### الماسونية في ألمانيا الغربية

بعد سقوط النظام النازي؛ ربما كانت أولى اجتماعات الماسونيين هي التي قام بها الجنود البريطانيون والأمريكيون والكنديون الذين وفدوا لتحرير فرنسا، وبحلول نهاية الأربعينيات من القرن العشرين؛ حصل بعض هؤلاء على تصاريح وبدأوا في العمل كمحافل، وفي نفس الوقت؛ كان الماسونيون الألمان يقومون بإصلاح محافلهم القديمة معتمدين البدء في إعادة تشكيل المحافل الكبرى الألمانية، لاستئناف الأعمال بعد سقوط حظرها مع سقوط الاحتلال النازي.. وبحلول الخمسينيات؛ ازدهرت المحافل من جديد وبدأت في إعادة البناء والتنظيم، وتعتبر التحالفات مع المحافل العالمية - خصوصاً في بريطانيا والولايات المتحدة - هي السبب في دعم إعادة إنشاء هذه المحافل.

لم تكن الماسونية العادية تُمارس من قبل قوات التحرير فحسب؛ فقد تمكنت عناصر الماسونية الألمانية الأصلية (المحافل الألمانية الكبرى الثلاثة هامبورج + هانوفر + رويال يورك للصدقة) من البقاء على قيد الحياة في المنفى في القدس وتشيلي، حتى تجمّعوا مرةً أخرى في ألمانيا الغربية وقاموا بتوحيد ١٧٤ محفلاً من جميع المحافل الكبرى الألمانية السابقة في ١٩ يونيو ١٩٤٩م.. تلا ذلك عدة سنوات أثبتت خلالها جميع محاولات التوحيد الإضافية عدم جدواها، لكن بمساعدة قوية من «المحفل الأعظم المتحد في إنجلترا» في ٢٧ أبريل ١٩٥٨م؛ ظهر كيان فريد من نوعه في تاريخ الماسونية الألمانية؛ ألا وهو «المحفل الأعظم المتحد في ألمانيا» (Vereinigte Großlogen von Deutschland).

في عام ١٩٧٠م؛ اتحدت المحافل الوطنية الكبرى الثلاثة (الجمعية الماسونية للمحافل الكبرى الثلاثة في برلين)، مع «محفل الأراضي الكبير للماسونيين البريطانيين في ألمانيا»، و«محفل الأراضي الكبير الأمريكي الكندي»، وبعدها مُنح محفلاً الأجنبي لقب «المحفل الكبير» عام ١٩٨٠م؛ أدى ذلك إلى استكمال اتحاد «المحافل الكبرى المتحد في ألمانيا» الحالي، باعتباره اتحاداً للخمسة محافل الكبيرة المستقلة ذات السيادة (ثلاثة ألمان + اثنان أجنبي) والناطق الرسمي باسم الماسونية الألمانية الحالية<sup>(355)</sup>.

الماسونية في ألمانيا الشرقية وأوروبا الشرقية

بعد هزيمة النظام النازي؛ تم حظر الماسونية في المناطق المحتلة من قبل السوفييت في ألمانيا الشرقية، والتي عُرفت فيما بعد باسم «جمهورية ألمانيا الديمقراطية»، ونفس الشيء حدث في الدول الأخرى التي أصبحت تحت السيطرة السوفيتية بعد خسارة النازيين في الحرب، مثل: بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر، ففيهم تم قمع المحافل الماسونية مرةً أخرى تحت الحكم الشيوعي، الذي اعتبر الماسونية معادية للاشتراكية، وبقيت المحافل محظورة في تلك الدول حتى سقوط الستار الحديدي في عام ١٩٨٩م، حيث شهدت الماسونية نهضة في معظم تلك الدول بعد انهيار الشيوعية.

الماسونية بعد توحيد ألمانيا

شهدت ألمانيا الموحدة بعد عام ١٩٩٠م اندماج المحافل في الشرق والغرب، وأصبحت المحافل في الشرق أيضاً جزءاً من الكيان الوطني الماسوني، وتمكنت الماسونية الألمانية من أن تكون جزءاً من الحركة العالمية من

جديد، وإلى اليوم تعمل المحافل في ألمانيا ومعظم دول أوروبا التي كانت تحت الاحتلال النازي سابقًا بحرية تامة، وتنسق مع المحافل الماسونية العالمية لتعزيز التواصل والتعاون.

الماسونية في روسيا والاتحاد السوفيتي

في روسيا؛ كانت قد نشطت الماسونية بشكل فائق في القرن الثامن عشر، حيث عملت على إدخال مُثل التنوير كما سبق وذكرنا، لكن من الوهلة الأولى كانت تحت ظلال قمع الحكومات بشكل متزايد<sup>(356)</sup>.

الماسونية في روسيا القيصرية

مع قيام ثورة ١٩٠٥م ضد حكم القيصر «نيكولاي الثاني» (نيقولا الثاني) - من عائلة رومانوف - والنظام القيصري، (التي كانت خطوة مهمة نحو إجباره على التنازل عن العرش في ١٩١٧م) عاد الماسونيون المنفيون من باريس؛ بعد ما مُلئت رؤوسهم بالأفكار الليبرالية هناك، وقاموا بدعم الليبرالية الدستورية ضد القيصرية من خلال العلاقات الوطيدة مع فرنسا، وأصبحت اجتماعاتهم السرية مركزًا للمُثل التقدمية التي جذبت السياسيين والناشطين، كما دعمت هذه المحافل في البداية الحرب العالمية الأولى، وعززت العلاقات الوثيقة مع فرنسا، وساهم الماسونيون بالفعل في الإطاحة بالقيصر «نيكولاي» في عام ١٩١٧م، وأصبح «ألكسندر كيرينسكي» أحد زعماء الحركة الماسونية في روسيا رئيسًا للوزراء في الحكومة المؤقتة لروسيا بعد الإطاحة به، لكن انهارت الماسونية الروسية مجددًا عندما استولى البلاشفة على السلطة؛ ليتم حظرها مرة أخرى<sup>(357)</sup>.

في ظل الاتحاد السوفيتي

بعد نجاح الثورة الروسية والإطاحة بالحكم القيصري وصعود الشيوعيين بقوة تحت قيادة «فلاديمير لينين»؛ تم تأسيس الاتحاد السوفيتي في ٣٠ ديسمبر ١٩٢٢م، من خلال توحيد عدة جمهوريات اشتراكية سوفيتية تمثلت في: روسيا السوفيتية، وأوكرانيا السوفيتية، وبيلاروسيا السوفيتية، والقوقاز السوفيتي، وأجزاء أخرى من الأراضي التي كانت تحت حكم الإمبراطورية الروسية.

من الوهلة الأولى؛ رأت الشيوعية السوفيتية الماسونية على أنها عدو أيديولوجي، حيث اعتبرتها جزءًا من الأنظمة البرجوازية التي تتعارض مع أيديولوجية الماركسية والفكر الشيوعي الذي يركز على سيطرة الدولة على جميع جوانب الحياة، كما رأتها أيضًا شبكة نخب مغلقة ذات تأثير سياسي واقتصادي كبير، ومصدرًا محتملاً لتهديد سيطرتهم على الدولة والمجتمع، واستشعرت أنها مستقبلًا ستكون منافسةً لنفوذها؛ خاصةً بعد التأكد من قوة هذا النفوذ في الثورة الأولى.

لهذه الأسباب؛ حظر الاتحاد الماسونية بشكل نهائي مع بداية عام ١٩٢٣م، وفي أحد اجتماعات المؤتمر الدولي الثاني؛ طالب عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي «جريجوري زينوفيف» بتطهير الاتحاد من الماسونيين.. وعلى هذا المنوال؛ تم حظر الماسونية في جميع الدول الشيوعية والاشتراكية

الأخرى<sup>(358)</sup>، وتم إجهاض النهضات الماسونية التي كانت واضحة بعد الحرب في كل من تشيكوسلوفاكيا والمجر في عام ١٩٥٠م<sup>(359)</sup>.

استمر الحظر حتى تسعينيات القرن الماضي، ولم تستأنف الماسونية نشاطها إلا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، حينما عادت المحافل إلى العمل في دول مثل: بولندا والمجر وجمهورية البلطيق.

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي

بعد إعلان انهيار الاتحاد السوفييتي في ٢٦ ديسمبر ١٩٩١م؛ عاد النشاط الماسوني إلى روسيا على استحياء، وتأسس «المحفل الأعظم لروسيا» في ٢٤ يونيو ١٩٩٥م بموسكو، كأول محفل كبير وطني يتم إنشاؤه في البلاد بعد إغلاق المحافل الكبرى الروسية الأصلية في عام ١٩٢٢م من قبل البلاشفة، وكان عبارة عن خليط من المحافل القديمة: «المحفل الأعظم الوطني الفرنسي»، والمحافل الأربعة التي تم إنشاؤها سابقاً على أراضي روسيا (هارموني، لوتس، أستريا، جامايون)، وكان أول رئيس أعظم لـ «المحفل الأعظم لروسيا» بالانتخاب هو «جيورجي ديرجاتشيف»، ليصبح هذا المحفل هو الهيئة القضائية الماسونية المنتظمة هناك.

تمتع «المحفل الأعظم لروسيا» بسلطة قضائية في جميع أنحاء البلاد، خاصةً بعد أن حصل على الاعتراف المتبادل من معظم المحافل الكبرى المنتظمة في جميع أنحاء العالم؛ بما في ذلك المحافل العالمية الكبرى، حيث تم الاعتراف من قبل «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا» في عام ١٩٩٦م، تلا ذلك اعتراف «المحفل الأعظم لأيرلندا»، و«المحفل الأعظم لاسكتلندا»، كما اعترف به أكثر من ١٠٠ محفل كبير آخر في العالم<sup>(360)</sup>.

في مارس ٢٠٠١م؛ حدث انشقاق داخل الماسونية المحدودة بروسيا، وفي عام ٢٠٠٧م تم التوحيد مجدداً تحت اسم «المحفل الكبير لروسيا»، وفي يونيو ٢٠٠٨م قرر بعض الأعضاء إقامة علاقات مع «محفل فرنسا الكبير» (غير محفل الشرق لفرنسا القاري كما سبق وفرقنا بينهما).. وبالفعل في أكتوبر ٢٠٠٨م، تم تأسيس «المحفل الأعظم الموحد لروسيا» (UGLR)، وقد مُنح موافقة من «محفل فرنسا الكبير» بحق القيام بأعمال تتعلق بالطقوس الاسكتلندية القديمة والمقبولة<sup>(361)</sup>.

الجدير بالذكر أن كل هذه الممارسات كانت خاضعة للتدقيق الحكومي، وكل هذه الفعاليات والاتحادات قد تمت والماسونيون في روسيا وأوروبا الشرقية عددهم ضئيل جديد؛ ففي الثاني من يوليو ٢٠١٦م؛ أحصى المنتدى الماسوني العالمي ما يقرب من ٧٠٠ ماسوني فقط متحدين في ٣٣ محفلاً، وفي الثاني من يوليو ٢٠١٩م؛ أحصت رابطة الماسونيين الأحرار في أوروبا الشرقية ما يقرب من ٢٠٠ ماسوني فقط متحدين في ١١ محفلاً<sup>(362)</sup>.

الماسونية في فنلندا

فنلندا شرّدت عن كل التقسيمات الوارد ذكرها، والسبب أنها حملت تاريخاً معقداً نسبياً، ملخصه: في عام ١٨٠٩م؛ بعد حرب السيطرة على فنلندا التي خاضتها السويد وروسيا، أصبحت فنلندا تحت

سيطرة الإمبراطورية الروسية؛ لكنها تمتعت بالحكم الذاتي كـ«دوقية كبيرة»، مما أعطها نوعاً من الاستقلالية السياسية. وفي أعقاب الثورة الروسية عام ١٩١٧م، أعلنت فنلندا استقلالها عن روسيا في ٦ ديسمبر ١٩١٧م، ثم بعد الاستقلال نشبت حرب أهلية بين «القوات البيضاء» التي دعمتها ألمانيا، و«القوات الحمراء» التي دعمتها روسيا السوفيتية، وانتهت الحرب بفوز القوات البيضاء بدعم ألماني؛ مما عزز الاستقلال الفنلندي.

وعن تاريخها الماسوني في القرن العشرين؛ سنجدها على عكس الدول الأوروبية الأخرى، تبنت فنلندا الماسونية الأنجلوأمريكية من الولايات المتحدة وليس من إنجلترا أو أوروبا الوسطى، وتسبب توجه الماسونيين الفنلنديين إلى الولايات المتحدة في مرارة، ولم يعترف «المحفل الأعظم الموحد في إنجلترا» بـ«المحفل الأعظم الفنلندي» حتى عام ١٩٢٧م، وحجبت منظمة الماسونيين السويدية اعترافها السابق بالماسونية الفنلندية حتى عام ١٩٤٨م<sup>(363)</sup>، على الرغم من وجود إشارة تاريخية لإحياء الطقوس السويدية في فنلندا عام ١٩٢٣م؛ عندما أعادت منظمة الماسونيين السويدية فتح «نزل القديس أوغسطين»، وأسست اجتماعات في الأجزاء الناطقة بالسويدية في فنلندا<sup>(364)</sup>.

فنلندا هي الأخرى لم يُرحّب بالماسونيين فيها منذ الثلث الأول من القرن الماضي، حيث مارست الجماعات اليمينية المتطرفة بها قوة مناهضة كبيرة في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين، وضغطت على الحكومة لطرد الماسونيين من القوات المسلحة، ولعل أبرز الأحداث: محاولة المواطنين الوطنيين في فيتاساري تطهير البلاد من اليهود والماسونيين، بعد ما اعتبروهم وجهين لعملة واحدة، ونُشرت عشرات الآلاف من الكتيبات المناهضة للماسونية، خاصةً بعد ترويج النائب عن حركة الشعب الوطني «بافو سوسيتايغال» ادعاءات جديدة تزعم أن الماسونيين مسؤولون عن جرائم القتل الطقسية التي انتشرت آنذاك<sup>(365)</sup>.

بعد الحرب العالمية الثانية

ومع الوصول للحرب العالمية الثانية؛ تعرضت فنلندا لغزو من قبل الاتحاد السوفيتي في حرب الشتاء عام ١٩٣٩م، لكنهم تمكنوا من الصمود رغم التضحية الكبيرة، وعادت النشاطات الماسونية في فنلندا سرّاً وبشكل ضئيل جداً لسنوات بسيطة، ومع الوصول لعام ١٩٤١م؛ أوقفت المحافل الفنلندية أنشطتها طواعيةً، لتجنب تعقيد العلاقات مع ألمانيا النازية الحليفة أثناء حربها ضد الاتحاد السوفيتي<sup>(366)</sup>، وفي عام ١٩٤٤م؛ تم توقيع اتفاقية سلام مع الاتحاد السوفيتي؛ مما أدى إلى تنازل فنلندا عن بعض الأراضي واستشعارها بالهدوء النسبي.

استؤنفت الأنشطة الماسونية في فنلندا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد توقيع اتفاقية السلام، لكن لم يحمل النشاط أي جدية حتى أوائل الخمسينيات، ثم استعادت الماسونية نشاطها هناك تدريجياً لأكثر من عقدين، لكن مع الوصول للثمانينيات، ويلاه من فضيحة محفل P٢ الإيطالي سابق الذكر؛ نشرت وسائل الإعلام الفنلندية عددًا من القصص حول الفساد المزعوم للماسونيين الفنلنديين النشطين في السياسة والأعمال،

وأثيرت المسألة في البرلمان الفنلندي، لكن الحكومة ردت على ذلك بأن الماسونية نشاط مدني قانوني ومقبول(367).

ومع بدايات القرن الحادي والعشرين؛ سعت الماسونية الفنلندية إلى تقليل السرية المحيطة بها، على سبيل المثال: أعلنت عن فتح متحف للماسونية الفنلندية والتعاون مع الباحثين الأكاديميين، كردّ على الشكوك التي تحيط الماسونية في كل أنحاء العالم، وفي عام ٢٠١٤م أعلن «المحفل الكبير الفنلندي» أنه يضم ٧٤٠٠ عضو، بينما كان نظام الطقوس السويدية يضم ١٤٠٠ عضو في عام ٢٠١٨م(368).

هذه الدول الأوروبية هي التي دوّنتها السجلات الغربية من حيث تسجيل الصراعات والأحداث المتصاعدة؛ باستثناء الدول التي كانت تابعة أو لم يكن لها وجود، أو التي اتبعت الحياد السياسي في الحروب الأوروبية لا سيما الحروب العالمية في القرن العشرين مثل «السويد وسويسرا، أو تلك الدول التي لم يكن بها تأثير مع أو ضد الماسونية ولم يُسجل بها تفاعلات وأحداث، كذلك تم استثناء تركيا التي سنتحدث عنها لاحقاً في فقرة الدول الإسلامية والدول ذات الأغلبية المسلمة.

الآن هناك قائمة كبرى للمحافل الماسونية المعترف بها عالمياً في أوروبا، من الصعب ذكرها هنا لضخامتها، بعكس القوائم التي سنذكرها لاحقاً في إفريقيا وآسيا والبلدان العربية والإسلامية.

\*\*\*

خرجت الماسونية من أوروبا إلى أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا في وقتٍ مبكرٍ من التمدد الماسوني، ولعل العامل الأول لنقلها هو الاستعمار الذي وصل إلى الأطراف المترامية للعالم المعروف.

أولاً: أمريكا اللاتينية ودول الكاريبي

كانت معظم مناطق أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي تحت الاستعمار الإسباني والبرتغالي، وكانت إسبانيا صاحبة النصيب الأكبر؛ حيث سيطرت على: المكسيك - غواتيمالا - السلفادور - هندوراس - نيكاراغوا - كوستاريكا - بنما - كوبا - جمهورية الدومينيكان - كولومبيا - فنزويلا - الإكوادور - بيرو - بوليفيا - باراغواي - الأرجنتين - تشيلي - أوروغواي - بورتوريكو (لا تزال اليوم إقليمًا تابعًا للولايات المتحدة بعد انتقال السيطرة من إسبانيا إلى الولايات المتحدة في ١٨٩٨ م).. وفي جزر الأنتيل الصغرى: كان لإسبانيا نفوذ في بعض الجزر، ولكنها لم تتمكن من الاحتفاظ بها جميعًا لفترات طويلة بسبب المنافسة من القوى الأوروبية الأخرى مثل فرنسا وبريطانيا.

الماسونية واستقلال المستعمرات

بسبب هذه السيطرة الإسبانية الهائلة؛ كانت الماسونية قد وصلت لغالبية مستعمرات أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي مع الجنود الغزاة والمهاجرين المستعمرين الإسبان سرًا في المقام الأول، وبدءًا من منتصف القرن الثامن عشر شنت السلطة الإسبانية حملة قمعية للماسونية في المستعمرات، ضمن سياساتها لحظر الماسونية في المستعمرات الخارجية الضخمة بالقوة كما حدث بالداخل تمامًا، ورغم الحظر والاضطهاد؛ خلال عقود بسيطة نشطت المحافل الماسونية في أمريكا اللاتينية، وبدأت بالتأثير على بعض القيادات الفكرية والسياسية التي سعت إلى الاستقلال عن القوى الاستعمارية، حيث رأت الماسونية (التي تعاند الكاثوليكية الإسبانية) في هذه البلاد مرتعًا لنشر أفكار الحرية والديمقراطية، وكان العديد من الماسونيين نشطين في التخطيط والتأمر من أجل الاستقلال<sup>(369)</sup>، ومن بين القادة الذين كان لديهم عضوية «جراند ماستر» (الأستاذ الأعظم):

القائد العسكري والثوري الفنزويلي: «فرانسيسكو دي ميراندا» (١٧٥٠-١٨١٦ م).

و«خوسيه دي سان مارتين» (١٧٧٨-١٨٥٠ م) المحرر والجنرال الأرجنتيني الذي ساعد في استقلال الأرجنتين عام ١٨٢١ م ورئيس بيرو الأول (١٨٢١-١٨٢٢ م).

كذلك العسكري والسياسي الفنزويلي «سيمون بوليفار» (١٧٨٣-١٨٣٠ م) مؤسس ورئيس كولومبيا الكبرى، المعروف بلقب «جورج واشنطن أمريكا اللاتينية»، والذي يُعد من أهم وأشهر الشخصيات التي ساهمت في تحرير غالبية دول أمريكا اللاتينية من الاستعمار الإسباني، حيث تدين له ست جمهوريات هناك باستقلالها: فنزويلا والإكوادور وبيرو وبنما وبوليفيا وكولومبيا.

وأيضًا القائد التشيلي «برناردو أوهيجينز» (١٧٧٨-١٨٤٢ م) أحد أبرز الشخصيات في تاريخ تشيلي

وأمرىكا اللاتينية، حيث يُعتبر بطل الاستقلال التشيلي، ورئيس أول حكومة وطنية دائمة فيها.. والعديد والعديد من القادة الكبار الآخرين (370).

الماسونية بعد استقلال المستعمرات

رغم الضغوط؛ استمر تأثير الماسونية في الحياة السياسية بأمرىكا اللاتينية ودول الكاريبي، وساهمت الماسونية في نيل الاستقلال، على سبيل المثال: لعبت المحافل الماسونية دورًا مؤثرًا في الثورات الإصلاحية وحركات حقوق الإنسان، وفي بعض البلدان مثل المكسيك؛ حصلت الماسونية على اعتراف قانوني ودعمت الحركات الليبرالية بعد الاستقلال، وعملت الماسونية في هذه الدول بنشاط واضح، وأصبح لها شأن وتقدير هناك بعد تحقيق الاستقلال في عشرينيات القرن التاسع عشر (371)، وكان العديد من قادة المكسيك أعضاء بارزين في الماسونية؛ بل منهم من تولى رئاسة المكسيك من ضمن الستين رئيسًا الذين حكموها منذ عام ١٨٢١م كـ«غوادالوبي فيكتوريا»، و«فالتين غوميز فارياس»، و«أنطونيو لوبيز دي سانتا آنا»، و«بينيتو خواريز»، و«سيباستيان ليردو دي تيخادا»، و«بورفيريو دياز»، و«فرانسيسكو ماديرو»، و«فينوستيانو كارانزا»، و«بلوتاركو إلياس لازارو كارديناس»، و«إميليو بورتس جيل»، و«باسكوال أورتيز روبيو»، و«أبييلاردو إل رودريغيز»، و«ميغيل أليان فالديس» (372)، والآن تشكل الماسونية - القارية - المكسيكية جزءًا مهمًا من المشهد الماسوني في أمرىكا اللاتينية.

كذلك في البرازيل كان العديد من الثوريين البارزين ماسونيين، ولعبوا دورًا رائدًا في إلغاء العبودية (373)، وكذلك الاستقلال وإعلان الجمهورية.

أما في جاميكا التي دخلت الماسونية إليها مع دخول الاستعمار البريطاني الذي استمر لأكثر من ٣٠٠ عام، أثناء العبودية؛ كانت المحافل مفتوحة لجميع الرجال الأحرار فقط، وبعد إلغاء العبودية بالكامل في عام ١٨٣٨م؛ أصبحت المحافل مفتوحة لجميع الرجال الجامايكيين من أي عرق، ومع الوصول لعام ١٩٠٨م أصبح بها أحد عشر محفلاً ماسونيًا مسجلًا (374)، ورغم أن الماسونية القارية طغت عليها؛ حافظت جاميكا على علاقات وثيقة مع الماسونيين التقليديين في الدول الأخرى، ولاحظت مؤرخة الماسونية الجامايكية وأحد الشخصيات البارزة في دراسة التاريخ الماسوني في منطقة البحر الكاريبي «جاكي رانستون»؛ أن جاميكا كانت بمثابة مستودع أسلحة للقوات الثورية بأمرىكا اللاتينية عندما قام اثنان من الماسونيين في كينغستون بتمويل حملات القائد «سيمون بوليفار».

والجدير بالذكر أن العديد من هؤلاء القادة الكبار في القارة ككل؛ قاموا بمعارضة الماسونية، أو على الأقل قيّدوا نشاطاتها بعد تحقيق الانتصار، على سبيل المثال: كان «بوليفار» ماسونيًا كبيرًا ومتصلاً بالإخوة في إسبانيا وإنجلترا وفرنسا، لكن بعد حصوله على السلطة في فنزويلا واستمراره في بناء الدول المستقلة؛ أدرك أن لبعض المحافل الماسونية تأثيرًا قويًا في السياسة والمجتمع؛ مما جعله يتحفظ على دورها السياسي؛ إلا أنه لم يوثق عنه إصدار مرسوم رسمي بحظر الماسونية، لكن ترى «رانستون» أن قانون «سيمون» الخاص

يحظر جميع الجمعيات السرية في عام ١٨٢٨ م؛ شمل الماسونيين<sup>(375)</sup>، أما في الفترة الحديثة؛ تُواصل الماسونية في فنزويلا العمل بشكل قانوني.

كذلك من الدول التي غيّرت موقفها تجاه الماسونية نسبيًا وتعاملت معهم بحذر بعد ما ساهمت في إشعال ثوراتهم ونيل الاستقلال: كوبا؛ حيث استمرت الماسونية موجودة في كوبا حتى بعد الثورة الكوبية لكن بقيود؛ فوفقًا للفولكلور الكوبي: يُقال إن «فيدل كاسترو» قد ساهم في احتوائهم وقت ضعفهم هناك بعدما منحوه ملجأً في محفل ماسوني في خمسينيات القرن العشرين؛ لكنه عندما اعتلى الحكم أبقى عليهم تحت رقابة مشددة، واعتبرهم عنصرًا تخريبياً في المجتمع الكوبي يوفر ملاذًا آمنًا للمعارضين<sup>(376)</sup>، وإلى الآن رغم قيام النظام الشيوعي هناك؛ لا تزال المحافل الماسونية تعمل في كوبا؛ مثل «المحفل الأعظم لكوبا»، والذي يعد جزءًا من التراث الثقافي في البلاد، وبشكل شاذ نسبيًا تُعتبر الماسونية من بين القليل من المنظمات التي بقيت مسموحة هناك خارج إطار الحزب الشيوعي.

الوضع الحالي

وبشكل عام؛ فإن الماسونية في أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي اليوم، منتشرة في الغالبية العظمى من الدول إن لم يكن جميعها، وتضم عددًا من المحافل القانونية والعامّة؛ إذ توجد محافل رسمية في دول مثل: البرازيل، والمكسيك، والأرجنتين، وكوبا، وجزر البهاما، وجزر الكاريبي، وهايتي، وبورتوريكو، وكولومبيا، وجمهورية الدومينيكان، وبوليفيا، وتشيلي، وكوستاريكا، والإكوادور، والسلفادور، وجواتيمالا، والهندوراس، وتيكارجوا، وبنما، وبارجواي، وأورجواي، وبيرو، وفنزويلا، والنصيب الأكبر والأهم للبرازيل التي تتمتع بماسونية ساحقة، وما زالت المحافل الماسونية موجودة ومرخصة فيها إلى الآن.

تختلف هذه المحافل من حيث الطقوس والأنظمة التي تتبعها، حيث تتبع بعض الدول النظام الأنجلوسكسوني التقليدي؛ بينما تتبع دول أخرى الماسونية القارية، والثانية مؤثرة أكثر من الأولى هناك بشكل واضح جدًا.

أما من حيث التدخلات السياسية في العصر الحديث، حاليًا نشاطات الماسونية السياسية في هذه الدول تراجعت بشكل ملحوظ؛ حيث تزعم ظاهريًا أنها تركز بشكل رئيسي على الأنشطة التعليمية والخيرية فقط.

ثانيًا: إفريقيا

تعود جذور الماسونية في إفريقيا إلى نهايات القرن الثامن عشر وبدايات التاسع عشر؛ فمع تأثيرات الاستعمار الأوروبي في المنطقة، جلب التجار والمستعمرون الأوروبيون من دول مثل: فرنسا وبريطانيا والبرتغال، الماسونية إلى المستعمرات الإفريقية، وأقيم فيها محافل ماسونية للمغتربين الأوروبيين في وقت مبكر، ثم تطور النشاط الماسوني لاحقًا ليشمل أفرادًا من الأفارقة المحليين، حيث انضم بعض القادة الأفارقة إلى المحافل، وقد استخدموا هذا الانتماء لتعزيز روابطهم مع الأوروبيين وتعزيز قضاياهم الوطنية.

بدايات النشاط الماسوني في إفريقيا

تأثرت الشمال الإفريقي بالماسونية الفرنسية مع نهاية القرن الثامن عشر، وظهرت محافل ماسونية في مدن مثل الإسكندرية والجزائر وتونس، حيث كانت مصر إحدى الدول التي شهدت تواجدًا مبكرًا للمحافل الماسونية تحت التأثير الفرنسي والبريطاني، وسنوضح ذلك بالتفصيل لاحقًا.

بدأت المحافل في الظهور بغرب إفريقيا تحت الإدارات الاستعمارية البريطانية والفرنسية، وتم تأسيس أول محفل في سيراليون في أوائل القرن التاسع عشر، ومنه انطلقت الماسونية إلى غرب إفريقيا. في إفريقيا عمومًا؛ نجد أن الماسونية الأنجلوسكسونية هيمنت على الدول التي كانت من بين المستعمرات البريطانية السابقة مثل: جنوب إفريقيا، ونيجيريا، بينما نجد الماسونية القارية سيطرت على المشهد الماسوني في المستعمرات الفرنسية والبرتغالية السابقة والدول الناطقة بالفرنسية: مثل السنغال، الكاميرون، وساحل العاج. واعتُبرت المحافل الماسونية هناك امتدادًا للفكر الليبرالي الفرنسي، وانتمى زعماء أفارقة مثل «باسكال ليسوبا» (١٩٣١-٢٠٢٠م) الذي شغل منصب رئيس جمهورية الكونغو من ١٩٩٢ إلى ١٩٩٧م، إلى الماسونية القارية<sup>(377)</sup>.

توجد المحافل الماسونية اليوم في عدد من الدول الإفريقية، وبعضها ينشط بشكل قانوني وعلني. في الوقت نفسه، تعارض بعض الحكومات الإفريقية الأخرى هذا النشاط متأثرةً بالمواقف الثقافية والدينية تجاه الماسونية.

فيما يلي قائمة بالدول الإفريقية التي يتواجد بها محافل ماسونية كبرى حاليًا، ربما تكون مضمورة أو غير نشطة بشكل بارز، لكنها وإلى الآن لم يُعلن عن حلها أو حظرها، والقائمة تستثني الادعاءات الماسونية على شبكات الإنترنت وغير المعترف بها؛ أي أن هذه القائمة تتضمن المحافل ذات الوجود الفعلي (على عكس الوجود الافتراضي أو عبر الإنترنت)، أو النُزل السرية غير المعترف بها من المحافل العظمى، كما تستثني القائمة «الدول العربية والدول الإسلامية الرسمية؛ لذكورهم لاحقًا في قائمة الماسونية الخاصة بالدول العربية والإسلامية».

١ - بنين: «محفل بنين الكبرى التابع لجمهورية بنين» ١٩٦٧م، و«المحفل الكبير في بنين» ١٩٩٥م<sup>(378)</sup>.  
(379).

٢ - بوركينا فاسو: «المحفل الكبير لبوركينا فاسو» ١٩٩٧م<sup>(380)</sup>.

٣ - الكاميرون: «المحفل الوطني الكبير في الكاميرون» ٢٠٠١م<sup>(381)</sup>.

٤ - جمهورية الكونغو الديمقراطية: «السجل الوطني الكبير للكونغو ذات طقوس مصرابيم ممفيس»

١٩٨٦م، و«محفل الشرق الأعظم للكونغو» ١٩٧٣م<sup>(382)</sup>، و«المحفل الكبير لفرنسا، منطقة الكونغو»<sup>(383)</sup>.

٥ - جمهورية الكونغو: «المحفل الكبير للكونغو»<sup>(384)</sup>، و«المجمع الشرقي الكبير للكونغو»<sup>(385)</sup>.  
٦ - الجابون: «المحفل الكبير للجابون» ١٩٨٣ م<sup>(386)</sup>، و«النزل الكبير الرمزي للجابون»<sup>(387)</sup>.  
٧ - غانا: «المحفل الكبير الإقليمي لغانا ذات الدستور الإنجليزي» ١٨١٠ م، و«المحفل الكبير لغانا»<sup>(388)</sup> ٢٠٠٩.

٨ - غينيا: «محفل الحق الإنساني، ولاية غينيا كوناكري»<sup>(389)</sup>.  
٩ - ساحل العاج: «المحفل الكبير لساحل العاج» ١٩٨٩ م<sup>(390)</sup>، و«محفل الحق الإنساني، الولاية القضائية لساحل العاج»<sup>(391)</sup>.

١٠ - ليبيريا: «المحفل الكبير لجمهورية ليبيريا» ١٨٦٧ م<sup>(392)</sup>.  
١١ - مدغشقر: «محفل الحق الإنساني، الولاية القضائية لمدغشقر»<sup>(393)</sup>، و«المحفل الوطني الكبير لمدغشقر ١٩٩٦ م»<sup>(394)</sup>، و«محفل طقوس مالغاشي الكبرى»<sup>(395)</sup>.  
١٢ - موريشيوس: «المحفل الكبير لموريشيوس» ٢٠٠٥ م<sup>(396)</sup>، و«محفل الحق الإنساني - ولاية جزيرة موريس»<sup>(397)</sup>.

١٣ - نيجيريا: «المحفل الأعظم لمنطقة نيجيريا» ١٨٠٦ م، و«المحفل الكبير لنيجيريا» ٢٠١٢ م<sup>(398)</sup>.  
١٤ - جنوب إفريقيا: «المحفل الكبير لجنوب إفريقيا» ١٩٦١ م<sup>(399)</sup>، و«اتحاد جنوب إفريقيا، النظام العالمي للماسونية المشتركة» ١٩١٢ م<sup>(400)</sup>.

١٥ - توجو: «المحفل الوطني الكبير لتوجو» ١٩٩٢ م، و«محفل الحق الإنساني - ولاية توجو»<sup>(401)</sup>.  
هذه هي الدول التي تدّعي الماسونية أن لها نشاطات بها، كما يُعتقد أن هناك دولاً إفريقية أخرى تعمل بها الماسونية بشكل سري، بسبب الحظر المفروض عليها، حيث يُزعم أن هناك نوادي وجمعيات خيرية في غالبية الدول الإفريقية عبارة عن واجهة ماسونية.  
وبالرجوع لمصادر القائمة الموثقة هذه؛ سيتبين أن عدد أعضاء هذه المحافل المعترف بها ضئيل للغاية، فمنهم محافل عدد أعضائها ثمانون عضواً فقط، وأقصى عدد في أكبر المحافل لا يتعدى ثلاثة آلاف، والسبب هو أن الماسونية لا تتمتع بشعبية أو قبول واسع في جميع أنحاء القارة الذهبية.

ثالثاً: آسيا

وصلت الماسونية لآسيا أيضاً في فترة الاستعمار الأوروبي، حيث جلبت الإمبراطوريات الأوروبية الماسونية إلى العديد من الدول الآسيوية، ونشأت المحافل الماسونية في آسيا كامتداد لنشاط المحافل في أوروبا، وتطورت بتأثير مباشر من المستعمرين البريطانيين والفرنسيين والهولنديين، وشملت أيضاً بعض الشخصيات البارزة هناك.

بدايات النشاط الماسوني في آسيا

كانت الماسونية قد بدأت في الانتشار في المناطق التي كان لها اتصال مع القوى الأوروبية، مثل: الهند والشرق الأقصى؛ نتيجة للتوسع الاستعماري والعلاقات التجارية والدبلوماسية، ويُعتبر أول محفل أُقيم في آسيا من نصيب الهند في عام ١٧٢٩م في مدينة كلكتا (كالكتا)، وكان ذلك تحت رعاية «المحفل الكبير لإنجلترا».

ومع الوصول لنهايات القرن الثامن عشر وبوادر القرن التاسع عشر؛ امتد نشاط الماسونية إلى مناطق أخرى مثل: الصين، واليابان، ومنطقة جنوب شرق آسيا، حتى انتشرت الماسونية في آسيا بصورة تدريجية. مرت الماسونية الآسيوية بتحديات ثقافية واجتماعية، نظرًا للطبيعة المتنوعة في المجتمعات الآسيوية من حيث اللغات والعرقيات والقوميات المتعددة والتحويلات الإقليمية وغير ذلك؛ لذلك لم تتمكن الماسونية من إحداث فعاليات كبرى فيها.

فمن ناحية أولى: تعامل العديد من الأنظمة الشمولية في القرن العشرين - سواء الفاشية أو الشيوعية - (اليابان، والصين، وتايلاند، وروسيا الآسيوية، وكوريا الشمالية، وفيتنام، ولاوس، وكمبوديا، ومنغوليا) مع الماسونية باعتبارها مصدرًا محتملاً للمعارضة؛ نظرًا لطبيعتها السرية وارتباطاتها الدولية، لذلك تمكنت هذه الأنظمة من بتر التمدد الماسوني في آسيا لفترات متباينة، وقد زعم علماء الماسونية أن اللغة التي استخدمتها الأنظمة الشمولية تشبه تلك التي يستخدمها بعض منتقدي الماسونية المعاصرين؛ بإشارتهم إلى نظريات المؤامرة العالمية وإفساد الشعوب (402).

من ناحية ثانية: انقسمت الماسونية وتأثرت بفعل الانقسامات الإقليمية، على سبيل المثال الصين التي شهدت الماسونية في وقت مبكر، ففي عام ١٨٧٥م انقسم «المحفل الكبير الإقليمي للصين» إلى منطقتين، شمال الصين، وهونج كونج وجنوب الصين؛ بسبب الظروف السياسية هناك، وخلال الحرب العالمية الثانية توقفت جميع الأنشطة الماسونية في هونج كونج بسبب الغزو الياباني، وبعد تأسيس الحكومة الصينية الجديدة (الشيوعية) عام ١٩٤٩م؛ انتقلت بعض المحافل في الصين إلى هونج كونج؛ أو أغلقت أبوابها بسبب نقص الإقبال (403).

من ناحية ثالثة: استخدمت بعض الأنظمة مصطلح الماسونية كتهمة تقذف بها الأنظمة الأخرى المنافسة، على سبيل المثال في عام ١٩٣٨م صرحت اليابان قائلةً:

«الماسونية اليهودية تجبر الصينيين على تحويل الصين إلى رأس حربة للهجوم على اليابان، وبالتالي تجبرنا على الدفاع عن أنفسنا ضد هذا التهديد، اليابان في حالة حرب ليس مع الصين ولكن مع الماسونية، ممثلة في الجنرال «تشيانج كاي شيك» خليفة سيده الماسوني» «صن يات صن» (404).

وهذا يوضح أن الماسونية في آسيا اصطدمت بتحديات معقدة ساهمت في تقييد نشاطها هناك.

الوضع الحالي

تختلف أنشطة الماسونية في آسيا حسب السياسات المحلية لكل دولة، فبينما تعمل المحافل بشكل قانوني في

الهند والفلبين وسنغافورة وبعض دول جنوب شرق آسيا؛ تواجه حظرًا أو تقييدًا في دول مثل: الصين وكوريا الشمالية وغيرهما؛ أي أنها ظلت عرضة للتقلبات السياسية والتشريعية في كل بلد منذ القدم وحتى الآن.

فيما يلي قائمة مماثلة للمحافل الماسونية المعترف بها من قبل المحافل الماسونية العظمى حاليًا، وكما هو الحال مع القائمة الإفريقية السابقة؛ تستثني هذه القائمة الادعاءات الماسونية على شبكات الإنترنت وغير القانونية، أو السرية غير المعترف بها من المحافل العظمى، وكذلك الدول العربية والدول الإسلامية الرسمية.

- ١ - تايبان: «المحفل الأعظم للصين» ١٩٤٩ م<sup>(405)</sup>، الخاص ببر الصين قديمًا قبل الانفصال.
- ٢ - هونج هونج: «المحفل الكبير لمنطقة هونج كونج والشرق الأقصى» ١٨٤٦ م، و«المحفل الإقليمي الكبير للشرق الأقصى» ١٨٩٩ م، و«المحفل الكبير الإقليمي للشرق الأقصى» الخاص باليابان وكوريا والفلبين<sup>(406)</sup>.
- ٣ - الهند: «المحفل الكبير لمنطقة مدراس» ١٧٦٧ م، و«المحفل الكبير لمنطقة بومباي»<sup>(407)</sup>، و«المحفل الكبير لمنطقة شمال الهند»<sup>(408)</sup>.
- ٤ - الكيان الصهيوني المحتل: «المحفل الأعظم للكيان الصهيوني» ١٩٥٣ م<sup>(409)</sup>، وهو معترف به من قبل «المحفل الأعظم الموحد لإنجلترا»<sup>(410)</sup>، و«المحفل الأعظم للماسونيين في القدس» ٢٠١٣ م<sup>(411)</sup>، و«محفل الحق الإنساني - القضاء الإسرائيلي» ١٩٨٩ م<sup>(412)</sup>.
- ٥ - اليابان: «المحفل الأعظم لليابان» ١٩٥٧ م<sup>(413)</sup>.
- ٦ - كازاخستان: «المحفل الأعظم لكازاخستان» ٢٠١٦ م<sup>(414)</sup>.
- ٧ - الفلبين: «المحفل الأعظم للماسونيين الأحرار والمقبولين في الفلبين» ١٩١٢، و«المحفل الأعظم المستقل للماسونيين الأحرار والمقبولين في جزر الفلبين» ٢٠٠٦ م<sup>(415)</sup>.
- ٨ - سنغافورة وماليزيا وتايلاند: «المحفل الكبير الإقليمي للأرخبيل الشرقي» ١٨٥٨ م<sup>(416)</sup>، و«المحفل الأعظم الإقليمي للشرق الأوسط» ١٩١٦ م، و«المحفل الإقليمي الكبير لجنوب شرق آسيا» ٢٠٠٩ م<sup>(417)</sup>.  
وباستثناء آسيا وأوروبا وإفريقيا والأمريكتين؛ وصلت كذلك الماسونية إلى منطقة أستراليا وأوقيانوسيا، حيث دخلت أستراليا ونيوزلندا في أواخر القرن التاسع عشر، ولاحقًا كاليدونا الجديدة عام ١٩٩٧ م، وهي تمارس هناك بحرية إلى الآن.

\*\*\*

يرى باحثو الغرب أنه على الرغم من حظر السلطان العثماني: «محمود الأول» (١٦٩٦-١٧٥٤م) الماسونية في الوقت المبكر لانتشار المحافل ومساواتها بالإلحاد؛ فقد اخترقت الماسونية العالم الإسلامي؛ إما من خلال التفاعل الفكري والثقافي مع بعض الحركات الصوفية الإسلامية، أو من خلال تمريرها مع الاحتلالات، حتى أصبحت الماسونية ناجحة في الإمبراطورية العثمانية في عهد السلاطين: «عبد المجيد الأول» (حكم ١٨٣٩-١٨٦١م)، و«عبد العزيز الأول» (حكم ١٨٦١-١٨٧٦م)، و«عبد الحميد الثاني» (حكم ١٨٧٦-١٩٠٩م) (418).

بدايات النشاط الماسوني في الدولة العثمانية

في حقيقة الأمر؛ كانت البلاد العربية المستعمرة آنذاك مغلوبة على أمرها، فالماسونية عندما دخلت إلى بلاد العرب ما بين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، لم يكن دخولها عن اقتناع؛ لكنها ولجت عبر التوافد؛ ولاحقاً الاستعمار الأوروبي والاحتكاك المتزايد مع الغرب، وبالأخص خلال الوجود البريطاني والفرنسي في المنطقة. هذا الوجود أتاح تأسيس محافل ماسونية في عدة دول عربية، حيث أسس الأوروبيون المقيمون هناك أول هذه المحافل، ولم يكن هذا معناه أنها لم تستقطب طوائف من المجتمع العربي، بل بدأت من الوهلة الأولى في جذب اهتمام بعض المثقفين والطبقات الاجتماعية الرفيعة في المدن العربية الكبرى بسبب سحر شعاراتها، فمنذ أواسط القرن التاسع عشر، كان العديد من العلماء والمفكرين والسياسيين المسلمين البارزين، مثل: «عبد القادر الجزائري» (١٨٠٨-١٨٨٣م)، و«جمال الدين الأفغاني» (١٨٣٩-١٨٩٧م)، و«رضا توفيق» (١٨٦٩-١٩٤٩م) وغيرهم الكثير، نشطين في الماسونية، عندما انبهروا بشعاراتها ونشاطها الثقافي الأخوي الظاهري (419).

ومع نهايات القرن التاسع عشر وبدايات العشرين، عملت المحافل الماسونية على نطاق كبير في جميع أنحاء الإمبراطورية، وشارك العديد من الطوائف الصوفية في علاقة وثيقة مع الماسونيين، على سبيل المثال: كان العديد من الشباب الأتراك التابعين ل«طائفة بكتاش» الصوفية أعضاء ورعاة للماسونية، بعد أن استقطبتهم بشعارات مضادة للإمبريالية الأوروبية، وكان هذه التفاعل سببه اعتقاد العديد من المثقفين المسلمين أن الصوفية والماسونية تشتركان في أوجه تشابه وثيقة في العقائد والنظرة الروحية والتصوف؛ والمساواة والعدل والحرية (420).

تعتبر مصر هي بوابة الشرق الأوسط للماسونية آنذاك، دخلت الماسونية إليها في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وأصبحت مركزاً مهماً لنشر الماسونية في المنطقة، فالماسونية الفرنسية (قبل أن تصبح قارية) انتشرت في مصر بشكل أساسي أثناء الحملة الفرنسية على مصر وسوريا، عندما أسسها الماسونيون الفرنسيون من خلال «محفل الإسكندرية» عام ١٧٩٨م، وبعدها بسنوات توافدت جاليات إيطالية من تنظيمات ثورية، بعد ما أُجبر أعضاءها على الفرار بعد فشل الثورة الإيطالية عام ١٨٣٠م، خاصةً

أعضاء جماعة «الكاربوناري» (حارقو الفحم) الثورية الإيطالية سابقة الذكر، ووصلوا إلى الإسكندرية التي كانت الجالية الإيطالية تقطن فيها بغزارة، وأسسوا سرًا فرعًا معتمدًا للطقوس الاسكتلندية في الإسكندرية، وبعدها بسنوات أعلن الماسونيون الفرنسيون أن «محلل الإسكندرية» محفل كبير عام ١٨٤٥ م<sup>(421)</sup>.

ميلاد الطقوس الماسونية المصرية القديمة

مع بداية دخول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ م، ومع انشغال الماسونيين الفرنسيون وانبهارهم بعظمة الآثار المصرية وإشاراتها ورموزها القديمة - التي كانت حُظوة اهتمام فرنسي أثناء حملة نابليون- أصابهم نوع من الهوس الأثري، وصدّروا هذا الهوس إلى أوروبا، ثم ترتب على ذلك ظهور «طقوس مصرايم» و«الماسونية المصرية» حوالي عام ١٨١٠ م بإيطاليا، بين القوات الفرنسية التي كانت متمركزة هناك بعد احتلال «نابليون» لأجزاء كبيرة من شمال ووسط إيطاليا كما سبق وذكرنا، ثم سافرت الطقوس فيما بعد إلى فرنسا في عام ١٨١٤ م.

طقوس مصرايم

كانت التأمّلات المبكرة نحو الأسرار المصرية قد بدأت منذ عام ١٧٣٨ م، حتى أصبحت طقوسًا مليئة بالإشارات الكيميائية الغامضة والباطنية، بعدما أنشأها أحد الشخصيات المثيرة للجدل في تاريخ الماسونية، الساحر والمنجم الإيطالي «جوزيف بالسامو»؛ الملقب ب«كاليوسترو» (١٧٤٣-١٧٩٥ م) في عام ١٧٨٤ م، بدعم من الأستاذ الأعظم ل«محلل فرسان مالطا»: «مانويل بيتتو دي فونسيكا»<sup>(422)</sup>.

كان «كاليوسترو» منجذبًا إلى الأسرار الغامضة والعقائد الروحية، وقدّم «مصرايم» كمذهب ماسوني يتميز بعناصر رمزية مستوحاة من الحضارة المصرية القديمة ومن الرمزية الهرمسية (كما ذكرت ذلك في كتابي الصادر مع هذا الكتاب إدريس النبي، الذي يتحدث عن نبي الله إدريس والهويات المتعددة المنسوبة إليه<sup>(423)</sup>) واستخدم الرموز المصرية القديمة مثل: الإله أوزوريس والهرم، والرموز الأخرى التي تشير إلى الخلود والمعرفة.

لقيت «ماسونية مصرايم» رواجًا كبيرًا في إيطاليا، ومنها إلى فرنسا مع جنود «نابليون» كما ذكرنا، ثم إلى أوروبا ومناطق متفرقة في العالم، ولاقت اهتمامًا واسعًا بين الماسونيين. وفي وقتٍ بسيط، أصبحت هذه الطقوس أكثر عمقًا وتعقيدًا من الطقوس الماسونية التقليدية، واشتملت على مستويات عديدة تجاوزت ٩٠ درجة من الدرجات الماسونية؛ مما أضف لها طابعًا من الغموض جذب الفضول إليها.

طقوس ممفيس

تأسست «طقوس ممفيس» في عام ١٨٣٨ م، على يد الكاتب الفرنسي الماسوني «جاك إتيان ماركوني دي نيجر» (١٧٩٥-١٨٦٨ م)، كنوع من «طقوس مصرايم»، حيث جمعت بين عناصر من طقوس جماعة «فرسان الهيكل الصليبية» والفروسية والأساطير المصرية والأساطير الهرمسية والكيميائية، وكان لها على

الأقل محفلان: «أوزوريس» و«دي فيلادلفي» في باريس، ومحفلان آخران «لا بينيفيلاس» و«دي هيليوبوليس» في بروكسل ببلجيكا، وعدد من المؤيدين الإنجليز. وقد حققت هذه الطقوس نجاحًا واضحًا بين المحافل الماسونية العسكرية آنذاك، واكتسبت بُعدًا سياسيًا، وبين عامي ١٨٥٣ و١٨٥٦م، تم إنشاء محافل أخرى عديدة ل«طقوس ممفيس»<sup>(424)</sup>.

دمج مصرايم - ممفيس

تم دمج الطقسين في عام ١٨٨١م على يد الجنرال الإيطالي والثوري الجمهوري وأحد آباء الوطن الإيطالي «جوزيبي ماريا غاريبالدي» (١٨٠٧-١٨٨٢م)، ليصبحا ساريين اعتبارًا من عام ١٨٨٩م، وزادت شعبيتهما بشكل كبير بسبب أعمال الكاتب والصحفي الماسوني الألماني «ألبرت كارل ثيودور رويس» (١٨٥٥-١٩٢٣م)، المعروف بتأسيس «النظام الشرقي للمعبد» (Ordo Templi Orientis) أو O.T.O، وهو تنظيم ماسوني غير معترف به، يجمع بين عناصر من الماسونية والصوفية وأفكار الفلسفة الباطنية.

أصبح «ألبرت» هو السيد الأعظم ل«طقوس ممفيس - مصرايم» في عام ١٩١٣م، بعد أن اكتملت قناعاته المتأثرة بالماسونية الفرنسية و«جماعة الصليب الوردي» للأعمال الباطنية، وبعد أن لُقّب ب«الأسقف الغنوصي الجديد»، كما عمل «ألبرت» مع الساحر الكبير «أليستر كراولي»، وتعلم «كراولي» منه الكثير، وباعتباره تلميذًا مجتهدًا؛ استلم لاحقًا زعامة هذا النظام المعروف بO.T.O بعد وفاة «ألبرت» في عام ١٩٢٣م<sup>(425)</sup>.

وفي العصر الحديث؛ تُعد «طقوس ممفيس - مصرايم» جزءًا من الماسونية ذات الاتجاه الرمزي والفلسفي، وتستمر في تقديم نفسها كنوع من الطقوس التي تجمع بين العلم والفلسفة مع الطابع الروحي المصري القديم، وكرمز لتطوير الفهم الروحي والفلسفي؛ حيث اعتقد المنضمون إلى هذه الطقوس أن لديهم إمكانية للوصول إلى المعرفة الروحية التي توصلهم إلى الحقيقة الكونية، وهي معترف بها وتمارس إلى الآن من قبل المحافل الكبرى القانونية<sup>(426)</sup>.

مصر كنموذج متعدد التأثيرات

كما ذكرنا؛ كانت مصر من أوائل الدول العربية التي ظهر فيها أول نشاط ماسوني بعد تأسيس «محفل الإسكندرية عام ١٧٩٨م»، ثم انتشرت المحافل لاحقًا في القاهرة، لتُصبح مصر مركزًا رئيسيًا للماسونية العربية، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

بعد ست سنوات من دخول الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢م؛ تأسس أول محفل ماسوني تابع لمحفل إنجلترا، وهو «المحفل الكبير المصري» الذي تم تأسيسه عام ١٨٨٨م، تحت رعاية «المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا»، بزعم أنه يهدف إلى تلبية احتياجات الأعضاء البريطانيين والمصريين الذين كانوا مهتمين بالماسونية.

وهذا يعني أن مصر كان لها حضور لكلا التيارين بسبب الوجود الاستعماري الفرنسي والبريطاني في

فترات متلاحقة؛ مما جعلها مركزاً لنشاط المحافل المتنوعة، وعليه كان الأعضاء المصريون ينتمون إلى كلتا المدرستين، ويستفيدون من علاقاتهم مع الشخصيات الفرنسية والبريطانية المؤثرة. الأمر ذاته تكرر في غالبية البلدان العربية، فوصلت الماسونية إلى لبنان وسوريا وفلسطين والعراق ودول المغرب العربي (تونس، الجزائر، والمغرب) وغيرها، بعد إعلان الانتدابات وفرض الحماية والاستعمار سواء الفرنسي أو الإنجليزي أو الإيطالي، وتأرجح التفاوت في مقارنة عدد المحافل الماسونية الإنجليزية بالفرنسية على حسب سيطرة كل إمبراطورية منهم على مستعمرات. ومع التوغل والانتشار وصل التجار الماسونيون الشاميون إلى تركيا العثمانية خلال نفس الحقبة، حتى انتشرت الماسونية بنشاطٍ كبير في تركيا العثمانية<sup>(427)</sup>.

التراجع الماسوني في الدول العربية والإسلامية

يرى الغربيون المناهضون للماسونية؛ أنه بعد تأثر بعض الشخصيات الإسلامية الكبيرة بالماسونية بسبب مناداتها بمبادئ تتفق مع مبادئ الإسلام، كالمساواة والعدل والحرية والأخوية وغيرها؛ انشقوا عنها بعد ذلك، وزعموا أنها تروج لأعمال سرية بعكس ما تنادي به، وظهرت العديد من المذاهب الإسلامية المعاصرة المناهضة للماسونية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بمعاداة الصهيونية، وكذلك تم ربط الماسونية بـ«نظريات المؤامرة ونهاية العالم الإسلامي»، وخاصة شخصية «المسيح الدجال»<sup>(428)</sup>.

ويُركز الغرب على الدور البارز الذي لعبه عالم الدين الإسلامي السوري المصري «محمد رشيد رضا» (١٨٦٥-١٩٣٥م) خلال أوائل القرن العشرين، حيث قاد المعارضة ضد الماسونية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، من خلال المجلة الإسلامية الشعبية «المنار»، التي أسسها وأطلق العدد الأول منها في (٢٢ من شوال ١٣١٥هـ / مارس ١٨٩٨م).. ومن هذا المنطلق؛ ظهرت موجة معارضة كبرى تزعم أن الماسونية تعزز مصالح اليهود في جميع أنحاء العالم، وأن أحد أهدافها هو تدمير «المسجد الأقصى» من أجل إعادة بناء «هيكل سليمان» في القدس، بعد انكشاف ما يدور داخل الماسونية من معتقدات ورمزيات تُقدس الهيكل المزعوم، كما سبق وذكرنا عن تاريخ مهد الماسونية.

حظر الماسونية

في مصر التي كانت أولى الدول العربية في الحضور الماسوني، تم حظر الماسونية عام ١٩٦٤م بأمر من الرئيس «جمال عبد الناصر».

العراق ذات التاريخ الماسوني النشط، افتُتح فيها أول محفل تحت مظلة «المحفل الأعظم الموحد لإنجلترا» في عام ١٩١٧م، وبحلول الخمسينيات وصل عدد المحافل فيها إلى تسعة محافل، وجميعها كانت تابعة لـ«المحفل الأعظم الموحد لإنجلترا»، بالإضافة إلى محفل اسكتلندي تم تدشينه في عام ١٩٢٣م، لكن بعدما أُطيح بالملكة العراقية الهاشمية عام ١٩٥٨م وإعلان العراق جمهورية على إثر ذلك؛ أُجبرت جميع المحافل على الإغلاق في عام ١٩٦٥م<sup>(429)</sup>، وقد تعزز هذا الموقف لاحقاً عام ١٩٨٠م في عهد الرئيس «صدام حسين»، حينما فرض عقوبة صارمة على من يُروج لمبادئ الماسونية والصهيونية ومن يرتبطون بهما<sup>(430)</sup>.

واعتبارها جريمة جنائية<sup>(431)</sup>.

كذلك أُغلقت محافل سوريا وفلسطين، والأردن، فعلى الرغم من أن الأردن لم تحظر الماسونية بشكل صريح كما في بعض الدول العربية؛ لا توجد تقارير أو دلائل موثوقة تشير إلى وجود محافل ماسونية معلنة في المملكة الهاشمية حالياً.

وبحسب تسجيلات الغرب؛ امتد الحظر الماسوني ليشمل غالبية الدول العربية منذ منتصف القرن العشرين.. وبهذا الشكل، بدأ النشاط الماسوني في البلدان العربية والإسلامية بالتجمد، نتيجة لتصادم القومية العربية وتزايد النظرة السلبية لها، واعتُبرت الماسونية من يومها حركة مشبوهة أو معادية للقيم الدينية والتقاليد الإسلامية والعربية.

كما يذكر الغرب أن أهم إعلان عربي صدر ضد الماسونية؛ هو الذي أصدره المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي<sup>(432)</sup>، في دورته الأولى بمكة المكرمة في ١٥ يوليو ١٩٧٨م، حيث أقر إعلاناً طويلاً اعتبر من خلاله الماسونية منظمة سرية خطيرة، وقال إن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها سرية خبيثة يعكس المعلن عنه، وأن الماسونية تبني صلة أعضائها بعضهم في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري، لتمويه المغفلين بما تدعي أنه إحاء إنساني بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والمذاهب، وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية لتأخذ منهم اشتراكات مالية، كما رأى المجمع أن الأعضاء المغفلين يُتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية بحرية، لتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها، دون ترقية من المراتب الدنيا التي لن يُسمح لبصيرتهم أن يتخطوها؛ أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد؛ فترتقي مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو على حسب استعداده لخدمة مخططاتها ومبادئها الخطيرة.

كما انتقد المجمع تدخلهم في السياسة والانقلابات السياسية والعسكرية بأصابعم الظاهرة أو الخفية، وقال إن الماسونية في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية وصهيونية النشاط، وأن أهدافها السرية موجهة ضد الأديان جميعها لتهديمها بصورة عامة، وتهديم الإسلام بصفة خاصة، وأن مبادئها ونشاطاتها الخبيثة تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية<sup>(433)</sup>.

الجدير بالذكر؛ أن «جامعة الدول العربية» أيضاً أصدرت في عام ١٩٧٩م قراراً تحت رقم: ٢٣٠٩، اعتبرت من خلاله أن الحركة الماسونية هي حركة صهيونية تروج لأباطيل الصهيونية وأهدافها، ونددت بدعمها المادي للكيان الصهيوني، وضخها الأموال لتقوية مجهوده الحربي ضد الدول العربية.

كما كان لمؤسسة الأزهر الشريف فتوى على لسان عضو لجنة الفتوى آنذاك، الشيخ «عطية صقر» في ٢٨ نوفمبر عام ١٩٨٤م، تقول:

«المسلم لا يمكن أن يكون ماسونياً، لأن ارتباطه بالماسونية انسلاخ تدريجي عن شعائر دينه، ينتهي بصاحبه إلى الارتداد التام عن دين الله».

المقصود الدول المصنفة إسلامية بسبب إقرار دستورها بذلك، أو الدول التي لم يقر دستورها ذلك لكنها ذات أغلبية مسلمة.

#### ١- الدول الإسلامية رسميًا

باكستان

في عام ١٩٧٢م، فرض «ذو الفقار علي بوتو» - رئيس وزراء باكستان آنذاك - حظرًا على الماسونية، وصادرت الحكومة مباني المحافل<sup>(434)</sup>، ثم أطاح بها «محمد ضياء الحق» مرة أخرى في عام ١٩٨٣م للأبد، وتم تحويل قاعة المحفل الماسوني في لاهور التي بُنيت عام ١٨٦٠م؛ إلى مبنى حكومي متعدد الأغراض.

إيران

دخلت الماسونية لإيران في القرن التاسع عشر، ثم تأسس بها «المحفل الأعظم لإيران» عام ١٩٦٩م في طهران، وكان من بين أعضائه شخصيات سياسية مختلفة، بما في ذلك رئيس الوزراء السابق «جعفر شريف إمامي» الذي شغل منصب رئيس المحفل الأعظم في وقت ما<sup>(435)</sup>؛ لكن منذ قيام الثورة الإسلامية؛ تم حظر الماسونية في إيران، وتم تأسيس محفل أعظم لإيران في المنفى عام ١٩٨٥م وتحديدًا في لوس أنجلوس<sup>(436)</sup>، والآن غير مسموح بالنشاط الماسوني داخل البلاد.

ماليزيا

ماليزيا التي أقر دستورها الإسلام كديانة، والتي تخطى عدد المسلمين فيها ٦٠٪؛ لم تخطو خطى باكستان وإيران، ولم يتوقف النشاط الماسوني بها منذ بدايته في منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، وحاليًا توجد محافل ماسونية في جميع الولايات في ماليزيا؛ باستثناء ترينجانو وكلنتن وبرليس، كما يقع أكبر محفل ماسوني في ماليزيا في بوكيت جليل، حيث تتشارك مع تايلاند وسنغافورة في «المحفل الكبير الإقليمي للأرخبيل الشرقي» منذ ١٨٥٨م<sup>(437)</sup>، و«المحفل الأعظم الإقليمي للشرق الأوسط» منذ ١٩١٦م، و«المحفل الإقليمي الكبير لجنوب شرق آسيا» منذ ٢٠٠٩م<sup>(438)</sup>.

السنغال

السنغال التي تعتبر دولة إسلامية رسميًا تتبع الإسلام كدين رئيسي، حيث يشكل المسلمون حوالي ٩٥٪ من السكان، ويغلب عليها المذهب المالكي، وهي جزء من «منظمة التعاون الإسلامي»؛ لم يتوقف النشاط الماسوني بها إلى الآن، وبها «المحفل الأعظم للسنغال» المقام منذ عام ١٩٩٣م، والآن يحتوي فقط على ١٢ عضو<sup>(439)</sup>؛ مما يُشير إلى ضعفه وعدم الإقبال الشعبي عليه.

مالي

مالي التي تعتبر أيضًا دولة إسلامية رسميًا، حيث يدين حوالي ٩٠٪ من سكانها بالإسلام، والتي كانت جزءًا من إمبراطوريات إسلامية كبرى في غرب إفريقيا، مثل «إمبراطورية مالي» التي ازدهرت في القرن الثالث عشر، وكان من أبرز ملوكها «مانسا موسى» الذي دعم الإسلام ونشره في المنطقة؛ تذكر المصادر أن الماسونية بها لم تتوقف، حيث يقام فيها حاليًا «محفل الحق الإنساني - الولاية القضائية في مالي»<sup>(440)</sup> و«المحفل الوطني الكبير في مالي»<sup>(441)</sup>، ولم تحدد المصادر عدد الأعضاء.

٢- الدول ذات الغالبية المسلمة

تركيا

تركيا في الظاهر ليست دولة إسلامية رسميًا، حيث تعتبر دولة علمانية وفقًا لدستورها، لكنها في الواقع دولة ذات غالبية مسلمة ساحقة، حيث يعتنق حوالي ٩٩٪ من سكانها الإسلام، وتشير التقديرات إلى أن حوالي ٨٥-٩٠٪ من المسلمين في تركيا يتبعون المذهب السني وخصوصًا المذهب الحنفي، كما أن لها تاريخًا إسلاميًا كبيرًا؛ لا سيما بسبب أنها كانت عاصمة الدولة العثمانية.

بعد حظر الماسونية بها ونفي الماسونيين كجزء من حملة على البكتاشيين في عام ١٨٦٢م<sup>(442)</sup>؛ تسللت إليها الماسونية مجددًا مع ضعف الإمبراطورية العثمانية في بداية القرن العشرين، وتأسست «منظمة جراندي أورينت» في عام ١٩٠٩م (لاحقًا المحفل الأعظم لتركيا)، وانضم بعض القادة العثمانيين والإصلاحيين في أوائل القرن العشرين إلى الماسونية.

يُعتقد أن بعض قادة حزب الاتحاد والترقي الذي لعب دورًا كبيرًا في الإطاحة بالسلطان العثماني «عبد الحميد الثاني»؛ كانوا أعضاء في المحافل الماسونية. ورغم ذلك؛ ليس هناك أي توثيق مباشر لأي دعم علني للماسونية في هذه الفترات المضطربة، لكن ما هو معروف أن هؤلاء القادة اعتمدوا على الشبكات السرية لتنظيم حركاتهم، وقد تكون الماسونية إحدى هذه الشبكات التي دعمت بعض الشخصيات أو المبادئ بشكل غير مباشر، خاصةً المحامي اليهودي العثماني من السفارديم الأتراك «عمانوئيل قرصوه»؛ أحد قادة حزب الاتحاد والترقي النشطين آنذاك.

ماسونية عمانوئيل قرصوه

«عمانوئيل قرصوه» الذي تزعم حادثة خلع السلطان العثماني «عبد الحميد الثاني» عام ١٩٠٨م؛ كان ماسونيًا بارزًا، وهو مؤسس «محفل الشرق لإسطنبول» في أواخر القرن التاسع عشر، ولعب دورًا كبيرًا في تطوير الأنشطة الماسونية هناك، وتنسب له الماسونية التأثير الملحوظ في تاريخ الماسونية وتشكيل بعض المؤسسات الماسونية في الدول العثمانية خلال فترة تفكك الإمبراطورية، وكان أثناء وجوده في الدولة العثمانية أستاذًا أعظم ل«محفل مقدونيا ريزولتا» الماسوني<sup>(443)</sup>.

ماسونية أتاتورك

«مصطفى كمال أتاتورك» رغم اتهامه أيضًا بالماسونية؛ قام بحظر نشاط الجمعيات السرية بما في ذلك المحافل الماسونية، في إطار بناء الدولة القومية وتعزيز السيطرة الحكومية في عام ١٩٣٥م، واستمر الحظر حتى وفاته في ١٠ نوفمبر ١٩٣٨م؛ بل امتد حتى عقد آخر، ولم يُرفع إلا في عام ١٩٤٨م<sup>(444)</sup>.

وهذا ليس تأكيدًا على عدم ماسونيته؛ فهناك قادة ماسونيون كثر - قد ذكرنا بعضهم - انقلبوا على الماسونية بعدما دعمتهم، لكن في الوقت ذاته؛ لا يوجد أي نفي أو تأكيد على ماسونيته، وللعلم هناك «نظرية مؤامرة» تركية متداولة تزعم أن «مصطفى كمال أتاتورك» مات مسمومًا على يد الماسونيين بسبب إغلافه للمحافل الماسونية، حيث زعمت صحيفة «يني شفق» في عام ٢٠١٥م، أن رئيس تركيا الأسبق «عصمت إينونو» كان مسؤولاً عن التخطيط لقتل «أتاتورك» بتحريض ماسوني<sup>(445)</sup>.

بعد وفاة «أتاتورك» بسنوات؛ رُفع الحظر عن الماسونية وُسُمح لها بالممارسة، ثم في عام ١٩٦٤م حدث انشقاق ماسوني بتركيا؛ حيث قامت مجموعة صغيرة من الماسونيين بالانسحاب من «المحفل الأعظم لتركيا»، وقاموا بإنشاء «المحفل الأعظم للماسونيين الليبراليين»، والذي حظي بعد ذلك باعتراف رسمي من «محفل الشرق الأعظم لفرنسا»<sup>(446)</sup>.

إلى الآن يمارس المحفلان نشاطهما، «المحفل الأعظم لتركيا» الموجود منذ ١٩٠٩م، وبحسب آخر إحصاء عدد أعضائه ١٤,٧٨٨ عضو، و«المحفل الأعظم الليبرالي لتركيا» الموجود منذ عام ١٩٦٦م، وعدد أعضائه ٢٠٠٠ عضوًا<sup>(447)</sup>، لكنها دومًا تحت رقابة حكومية صارمة.

كازاخستان

كذلك كازاخستان، ورغم أنها ليست دولة إسلامية رسميًا، لكنها تُعد دولة ذات غالبية مسلمة، حيث إن الإسلام هو الديانة الأكثر انتشارًا فيها، ويعتقه نحو ٧٠٪ من السكان معظمهم من المسلمين السُنّة، ومع ذلك؛ فكازاخستان تُعرّف نفسها كدولة علمانية تضمن حرية الدين وتحتضن طوائف متعددة، بما في ذلك المسيحية والبوذية وأديان أخرى، وإلى الآن لم تحظر نشاط الماسونية، حيث يعمل بها «المحفل الأعظم لكازاخستان» منذ عام ٢٠١٦م، لكن بحسب المصادر فإن تعدادها ٥٠ عضوًا فقط<sup>(448)</sup>.

كذلك من القائمة الإفريقية السابقة نجد دولًا إفريقية ذات غالبية إسلامية، هي:

غينيا

غينيا ذات الأغلبية المسلمة، حيث يُقدر حوالي ٨٥٪ من سكان غينيا مسلمين، ولم تُحظر الماسونية إلى الآن، ويُعمل بها: «محفل الحق الإنساني - ولاية غينيا كوناكري»<sup>(449)</sup>، ولم تحدد المصادر عدد الأعضاء.

بوركينافاسو

هي الأخرى؛ رغم أنها ليست دولة إسلامية رسميًا؛ لكنها تتمتع بنسبة كبيرة من المسلمين، حيث تُقدّر نسبة المسلمين في بوركينافاسو بحوالي ٦٠-٦٥٪ من السكان، ومع ذلك لم تُحظر الماسونية، ويُعمل بها حاليًا

«المحفل الكبير لبوركينا فاسو ١٩٩٧م الذي يضم حالياً ٣٧٥ عضواً<sup>(450)</sup>؛ مما يدل على عدم الإقبال الشعبي.

ويمكننا استنتاج أن:

باستثناء ماليزيا والسنغال ومالي من الدول الإسلامية رسمياً، وتركيا وغينيا وبوركينا فاسو وكازاخستان من الدول ذات الغالبية الإسلامية؛ لا توجد دول تنتسب للدين الإسلامي - من غير العرب - تحتضن الماسونية حالياً.

أما في الدول العربية فهناك حظر واسع النطاق على نشاطات الماسونية المعلنة؛ باستثناء دولتين إحداهما تمارس الماسونية بشكل معلن ورسمي، والثانية لم تحظرها بشكل رسمي وحوها مزاعم قائمة.

ثانياً: دول عربية بها محافل ماسونية

الماسونية في لبنان

وصلت الماسونية إلى بلاد الشام، لبنان وسوريا وفلسطين وكذلك الأردن؛ مع الاستعمار الأجنبي، وجميعها حظرت النشاط الماسوني ما عدا لبنان، فلبنان التي تأسس «محفل لبنان الكبير» بها عام ١٨٦٠م، تحت سلطة «المحفل الأعظم للماسونيين القدامى والأحرار والمقبولين في اسكتلندا»<sup>(451)</sup>، ثم «المحفل الأعظم الإقليمي لسوريا ولبنان» عام ١٩١٢م، تحت سلطة «المحفل الأعظم للماسونيين الأحرار والمقبولين في نيويورك»؛ شهدت في السنوات الأخيرة تأسيس «المحفل الأعظم لمقاطعة كولومبيا-٢ في لبنان» في عام ٢٠١٠م، تحت سلطة «المحفل الأعظم في واشنطن العاصمة»، كما تأسس بها أيضاً في عام ٢٠١٦م «المحفل الأعظم للطائفة المسيحية في لبنان»، بعد أن تم تشكيله من قبل المحافل العاملة تحت «محفل لبنان الأعظم»، وحصل على الدعم الرسمي والميثاق من «المحفل الأعظم في نيويورك» في ٢٤ أكتوبر ٢٠١٨م، لكن في عام ٢٠٢٣م؛ أعلن مؤتمر كبار الأساتذة في أمريكا الشمالية أن «المحفل الأعظم في لبنان» الذي شكّله «المحفل الأعظم في نيويورك» غير نظامي حيث يعتبر تشكيله غير قانوني<sup>(452)</sup>.

الجدير بالذكر أن مجموع الأعضاء في المحافل الرسمية المعترف بها لا يتعدى ٦٠٠ عضو بحسب المصادر الماسونية المعلنة، لكن هناك محافل أخرى غير معترف بها لم يُحدد عدد أعضائها، كـ «المحفل الأعظم للطائفة المسيحية في لبنان» الذي سُجِب الاعتراف به، والعديد من المحافل الأخرى غير النظامية كـ «محفل الملك سليمان الأعظم في لبنان»، و«محفل الشمس الأعظم (SGL)»، و«محفل شرق كنعان الأعظم»، و«محفل لبنان المركزي الأعظم»، و«محفل الأرز الأعظم»، و«محفل الشرق العربي الأعظم»<sup>(453)</sup>، و«محفل بيت إيل الأعظم»، وكل المحافل النظامية وغير النظامية هذه تتبع تقاليد الماسونية القارية الفرنسية.

وعلى الرغم من عدم الحظر وقانونية المحافل الكبرى المختلفة فيها<sup>(454)</sup>، وافتتاح المحافل الحديثة في السنوات القليلة الماضية؛ تتسم الماسونية اللبنانية بالخمول، وهذا قد استدعى الماسونيين إلى الاعتراف

بالإحباط، وإعلانهم أن عدم الاستقرار السياسي المستمر والأزمة الاقتصادية في لبنان؛ جعلاً من الصعب على الماسونية أن تزدهر هناك، علاوة على ذلك؛ قالوا إن صعود المحافظة الدينية والصراعات الطائفية في الثقافة اللبنانية قد أدى إلى زيادة التدقيق وعدم الثقة في الماسونية؛ الأمر الذي قد يعيق توسعها وانتشارها؛ على حد زعم الماسونيين أنفسهم<sup>(455)</sup>.

مزاعم ماسونية حول المغرب

دخلت الماسونية إلى المغرب عبر فرنسا، أثناء الحقبة الاستعمارية في القرن التاسع عشر، مثلها مثل العديد من الدول العربية، وأسست المحافل الماسونية في المغرب خلال هذه الفترة؛ لا سيما في المدن الكبرى مثل: الدار البيضاء ومراكش والرباط.

بعد الاستقلال في عام ١٩٥٦م؛ ظلت الماسونية جزءاً من النخبة المغربية، خصوصاً في صفوف بعض الشخصيات السياسية والاقتصادية، وكان هناك انفتاح نسبي على الأنشطة الماسونية؛ لكن بحلول السبعينيات والثمانينيات بدأت الأنشطة الماسونية تتعرض للمراقبة الشديدة من قبل الحكومة. لم يُسمح بوجود محافل ماسونية علنية أو قانونية في المغرب حالياً.. ورغم ذلك؛ تزعم البيوت الماسونية على مواقعها الموثقة أن لها فروعاً هناك! لذلك تُثار بعض النظريات حول وجود محافل ماسونية سرية فيها، لكن من الصعب تأكيد أو نفي هذه الادعاءات، فمحفل «القصر الكبير بالمغرب» الذي تأسس عام ١٩٦٤م وقيل إنه توقف عن العمل - دون حظر رسمي - زعموا أنه لم يتوقف؛ بل زعمت المصادر أيضاً أن محفلاً جديداً تم تأسيسه فيها عام ٢٠٠٥م تحت اسم «المحفل الكبير المتحد المغربي»، وتقول المصادر إن عدد أعضائه حالياً ٨٠ عضواً فقط<sup>(456)</sup>، وكذلك محفل آخر حديث باسم «المحفل الكبير العادي للمملكة المغربية»<sup>(457)</sup>، وأخيراً «المحفل الكبير للنساء في المغرب» عام ٢٠٠٨م<sup>(458)</sup>، ولم تحصى المصادر عدد أعضائهما.

ومع ذلك؛ لا توجد معلومات موثوقة تثبت أن هذه المحافل تعمل أو مستمرة الآن بشكل رسمي في المغرب، فبالنظر إلى السياق السياسي هناك؛ سنجد أن هناك قيوداً على الأنشطة الماسونية؛ لكن يزعم الماسونيون أنفسهم أن هذه المحافل تعمل في سرية ولم يتم وقف نشاطاتها، وهذا يتوافق مع ما ذكره أحد كبار الماسونيين بالمغرب - دون الإفصاح عن هويته - ل«جريدة الأيام المغربية» في عام ٢٠١٩م، في تحقيق تحت عنوان «الأيام تخرق محافل الماسونية في المغرب وتُحاوِر واحداً من كبار البنائين الأحرار»، حيث قال العضو إن عدد أعضاء الماسونية بالمغرب يصل لـ ٥٠٠ فرد بينهم مسؤولون كبار، ورفض الكشف عن هوية «الأستاذ الكبير» الذي يقود الماسونية بالمغرب، وأشار التحقيق ذاته؛ إلى أن مدينة مراكش احتضنت قبل أيام من نشر التحقيق وفي سرية تامة؛ اجتماعاً كبيراً على أعلى مستوى لقيادة الحركة الماسونية التي تضم كبار رجال الأعمال والسياسة الدوليين بأحد الفنادق الفاخرة بمقاطعة النخيل؛ على حد زعم المقال.. وذكر التحقيق أن عدد المشاركين وصل إلى ٦٠٠ شخص من ١٥ بلداً من قارات أوروبا وإفريقيا وبعض دول البحر الأبيض

وسواء كان هذا الادعاء حقيقياً أو غير حقيقي؛ لا يوجد نشاط ماسوني ملموس بالمغرب، والدليل على ذلك المطالبات الماسونية بإحياء وإنقاذ الماسونية في المغرب ولبنان من الانقراض؛ فقد ذكر موقع (craftsmen online) الماسوني ذلك، وهو موقع ماسوني رسمي مخصص لتقديم مقاطع صوتية ومدونات وموارد تعليمية تتعلق بالطقوس الماسونية وتاريخها وقوانينها وممارساتها الرمزية، ويقدم محاضرات ودروساً تتعلق بكيفية إدارة المحافل الماسونية، نشر هذا الموقع تقريراً يوصي بمحاولة إنعاش الماسونية بلبنان والمغرب، لأنها تواجه هناك عقبات كبيرة مع عدم قبول الشعبين، واستنكر هذا الموقع الماسوني الموثق القيود التي تفرضها الحكومات اللبنانية والمغربية على حرية التنظيم والتجمع، وقال إنها تمكنت من إعاقة قدرة المحافل على العمل بحرية واستقطاب أعضاء جدد، حيث ذكر نصاً:

«فيما يبدو أن الماسونية أصبحت انقرضت هناك وشيكاً».

كما أوصى التقرير بمحاولة معالجة قضية تضائل العضوية من خلال التفاعل النشط مع الأجيال الشابة، والتأكيد على أهميتها في العالم الحديث، والحث على التعاون النشط مع الجمهور والحكومة؛ لتبديد الأساطير وتعزيز الثقة (460).

ونستنتج مما ذكر؛ أنه باستثناء لبنان (والمغرب إن افترضنا صحة المزاعم حولها)؛ لا توجد أي محافل ماسونية نشطة بالعالم العربي قد أعلن عنها الماسونيون أنفسهم.. ومع ذلك؛ هناك بعض التقارير التي تشير إلى وجود محافل سرية في بعض البلدان العربية، ولكن لا يمكن تأكيد هذه المعلومات بشكل رسمي، إذ تظل مثل هذه الأمور في إطار الشائعات أو التقارير غير المؤكدة.

\*\*\*

في التاريخ المعاصر؛ أصبح للنساء عضوية في الماسونية، على عكس ما بدأت عليه هذه الحركة، وهو بمثابة حدث جليل، فعلى الرغم من تطور الماسونية وانتشارها؛ فإن موقفها من النساء كان متبايناً على مر العصور.

في الماسونية العملية

لا تزال مكانة المرأة في النقابات القديمة في العصور الوسطى غير واضحة، حيث لم يؤكد أنها تمتعت بعضوية في هذه النقابات، فالماسونية من الوهلة الأولى كانت مخصصة للرجال، وهذا الموقف كان مرتبطاً بنظامها التقليدي الذي كان يرى أن النساء لا يناسبهن الفلسفة الماسونية في تلك الفترات، كما يُعتقد أن الانضمام إلى الحركة كان يتطلب تمارين بدنية وروحية قد تكون غير مناسبة للنساء، ولعل الاستثناء الوحيد المذكور هو السماح للأرملة بمواصلة تجارة زوجها، لكن عن طريق تفويض أعضاء ماسونيين معتمدين يقومون بنشاطاتها العملية<sup>(461)</sup>.

في الماسونية الرمزية

تُظهر «دساتير أندرسون» المطبوعة؛ استبعاداً واضحاً للنساء من الماسونية<sup>(462)</sup>؛ ورغم ذلك شارك عدد قليل من النساء في الماسونية قبل القرن الثامن عشر، على الرغم من المحظورات القانونية في «المحفل الأعظم الأول في إنجلترا»، لكن التجربة لم تلقَ ترحيباً، وبالعكس «الماسونية الإنجليزية»؛ سمحت الماسونية الفرنسية بشكل شرعي للماسونيين وأقاربهم من الإناث بممارسة طقوسهم الخاصة بالقرن الثامن عشر في نظام من الدرجات الموازية؛ لكنها كانت غير مرتبطة بالطقوس الأصلية، (حيث تباينت عدد الدرجات على مدار تاريخها)؛ لكن الدرجات الثلاث الأولى حملت نفس أسماء درجات الحِرَف اليدوية، على الرغم من أن كلمات المرور وموضوعات الطقوس كانت مختلفة تماماً.

هذه المشاركة النسائية عُرِفَت بـ«محافل التبني» كما ذكرناها داخل السياق، والتي نشأت بين الأرستقراطيين الفرنسيين الكبار، حيث كانت دوق بوربون كونديه، شقيقة دوق شارتر؛ سيدة عظيمة في عام 1743م، في «محفل تبني» عُمِل بثلاث درجات بنفس أسماء الرجال ولكن بمحتوى مختلف.

ومع ازدهارها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وانتشارها في معظم أنحاء أوروبا القارية؛ توقفت الممارسة النسائية بعدما عطلتها الثورة الفرنسية، ثم أصبحت هذه المحافل رائجة مرة أخرى في عهد «نابليون»، لكن بعد رحيل «نابليون»؛ تخلى الفرنسيون رسمياً عن هذه التجربة وألغوها في أوائل القرن التاسع عشر<sup>(463)</sup>، بعدما أعلنت محافل «الشرق الأعظم لفرنسا» أنها غير دستورية بدعوى أنها غير مفيدة.

رغم الإلغاء؛ أسست الصحفية الفرنسية الشهيرة «ماريا ديرايسميس» (1828-1894م) محفلاً ماسونياً مختلطاً<sup>(464)</sup>، ونقلت الناشطة البريطانية الشيوصوفية «آني بيسان» التجربة إلى العالم الناطق باللغة الإنجليزية<sup>(465)</sup>، وبسبب أنها لم تلقَ قبولاً؛ أدت الخلافات حول الطقوس إلى تشكيل هيئات نسائية مستقلة

للماسونيات في إنجلترا دون اعتراف رسمي، والتي انتشرت منها إلى دول أخرى تتبع التقاليد العادية، وظهرت منظمات لاحقة بهدف مماثل في الولايات المتحدة؛ لكنها ميزت أسماء الدرجات عن تلك الخاصة بالماسونية الذكورية؛ مما سمح للماسونيين وأقاربهم النساء - خاصةً في الولايات المتحدة - بالمشاركة في الطقوس معاً؛ ورغم ذلك، كانت هذه الهيئات أكثر حرصاً على التمييز بين الطقوس المختلطة والماسونية الحقيقية للرجال، وبدا وكأن غرضها الوحيد هو إرضاء المطالبات النسائية فقط.

في الوقت نفسه؛ أعاد الفرنسيون هيكله «محفلة التبني» كجمعية نسائية مستقلة في عام ١٩٠١م، لكنهم ألغوها مرة أخرى في عام ١٩٣٥م، وعلى إثر ذلك؛ استمر المحفل النسائي في الاجتماع رغم حظره وسحب الاعتراف به؛ مما أدى إلى ظهور هيئة كاملة من النساء يمارسن الماسونية القارية في عام ١٩٥٩م<sup>(466)</sup>، والمنظمة النسائية الناتجة عن هذا الفصل هي الآن: «المحفلة الأعظم للنساء في فرنسا»<sup>(467)</sup>.

استمر الحظر لسنوات عديدة؛ لم تعترف خلالها هيئة الشرق الكبرى بالماسونية النسائية؛ لكنها اعترفت بنساء ماسونيات تم تعيينهن في ولايات قضائية أخرى واستقبلتهن، حتى تغير هذا في عام ٢٠١٠م، فبعد الكثير من الاختلافات والانتكاسات، أصبحن ماسونيات شرعيات مؤخرًا<sup>(468)</sup>.

أما بخصوص عضوية النساء في الماسونية التقليدية، فمؤخرًا أصدر «المحفلة الكبرى الموحد لإنجلترا» في عام ١٩٩٩م، بياناً يعترف بالمحفلين الكبيرين النسائيين هناك: «وسام الماسونيات النسائيات» و«الأخوة الموقرة للماسونيات القدامى». ورغم كل هذه المحاولات؛ بشكل عام يظل موقف معظم المحافل الكبرى الأنجلوسكسونية والأنجلوأمريكية المنتظمة؛ هو أن النساء الماسونيات لسن ماسونيات شرعيات<sup>(469)</sup>.

في عام ٢٠١٨م؛ أصدر «المحفلة الكبرى الموحد لإنجلترا» إرشادات توضح عضوية النساء المتحوليات جنسياً وقال:

«الماسوني الذي يتوقف عن كونه رجلاً بعد البدء لا يتوقف عن كونه ماسونياً».

وكما الوضع مع النساء المتحوليات؛ تنص الإرشادات أيضاً على أن يُسمح للرجال المتحولين جنسياً بالتقدم بطلب ليصبحوا ماسونيين<sup>(470)</sup>.

وملخصاً لذلك:

شهدت الماسونية تحولاً كبيراً في موقفها من المرأة، ففي البداية كانت المحافل الماسونية تقتصر على الرجال فقط، ولكن مع مرور الوقت وتطور الحركات النسوية؛ بدأت بعض المحافل الماسونية بالسماح للنساء بالانضمام إليها.. اليوم؛ توجد محافل ماسونية نسائية نشطة، ويستمر الحوار حول كيفية دمج المرأة بشكل أكبر في هذه المنظمة السرية، التي طالما كانت محط اهتمام للعديد من الدراسات والأبحاث، وفيما يلي:

الفرق بين عضوية المرأة في التقليدين

١- التقليد العادي

الهيكل والممارسات: يعتمد التقليد العادي المنتشر - خاصةً في الدول الناطقة بالإنجليزية - على نظام

أخوي حصري للرجال، ورغم ذلك؛ في هذا التقليد ظهرت بعض المحافل التي تتيح للنساء الانضمام، لكنها تُعتبر محافل جانبية لا تُعامل بنفس الاستقلالية والشرعية. الفلسفة والموقف: في التقليد العادي؛ تُعتبر الماسونية العادية أن الانضمام للماسونية جزء من الروابط الأخوية بين الرجال فقط؛ حيث يُعتقد أن الطقوس والفلسفات تعزز هذه الروابط، ورغم ذلك توجد منظمات نسائية تحت رعاية الماسونية العادية؛ ولكن ليست جزءاً رسمياً من محافلها.

٢- التقليد القاري

الهيكل والممارسات: هذا التقليد أكثر شمولاً؛ ويُقر بالمساواة بين الجنسين، ويعترف بالمسونية المختلطة ويقبل الرجال والنساء على حد سواء، وخلالها تتمكن النساء من الوصول إلى أعلى المناصب داخل المحفل تماماً كأقرانهم من الرجال.

الفلسفة والموقف: يميل التقليد القاري إلى تبني فلسفة تقدمية تشدد على الحرية والمساواة؛ مما يسمح بدمج النساء ضمن المحافل الرسمية، ويشمل الطقوس والتقاليد بشكل يشابه محافل الرجال، ويشجع النساء على تحقيق نفس الاستقلالية والتقدمية التي يتمتع بها الأعضاء الذكور.

\*\*\*

الفصل الخامس  
الهيكل والممارسات  
(ما بين السرية والعلنية)

فيما يلي؛ سنأخذ فكرة مختصرة عن الطقوس وشروط العضوية وخطوات الاشتراك والترقي في الدرجات الأساسية، مع الأخذ في الاعتبار أن ما سيرد هو الموثق والمعلن عنه؛ أو ما تم تسريبه من قبل المنشقين فقط، بعيداً عن أي معلومات أخرى تكهنية منتشرة لم يتم إثباتها.. كذلك يجب أن نؤمن جميعاً أن ما يلي ليس كل شيء؛ فهو ما تم الإعلان عنه أو ما تم تسريبه فقط، وربما ما خفي أكثر من ذلك.

الدستور

إلى الآن لا يزال دستور الماسونية هو «دستور أندرسون» الصادر في ١٧٢٣م، والذي أعاد «بنجامين فرانكلين» طباعته في عام ١٧٣٤م، كأول نسخة مطبوعة للدستور في العالم الجديد حينها (أمريكا الشمالية)، ويشكل هذا الدستور الأساس لهيكله وتوجه الماسونية -خصوصاً في التقليد العادي- ويضم مجموعة من القواعد والمبادئ التوجيهية الأساسية التي تنظم أنشطة المحافل وتحدد القيم والأخلاقيات الأساسية للأعضاء.

يحتوي الدستور على عدة أجزاء؛ بما في ذلك مبادئ عضوية الماسونية، ومراسم القبول وإرشادات مفصلة حول طقوس الانتساب، وأسس التعاون بين الأعضاء، والإطار التنظيمي للمحافل المحلية، وتسجيلها ودمجها ضمن هيكل المحافل الكبرى، كما يحدد كيفية إدارة الاجتماعات وتولي المناصب، ويقدم إرشادات حول مسؤولياتهم في إدارة المحفل، ويشدد على مراعاة الطابع السري للرموز والمراسم؛ خاصة ما يتعلق بالطقوس والرموز بشكل محدد، طالباً من الأعضاء أن تكون بعيدة عن أعين ومسامع العامة، لحفظ الخصوصية والرمزي للماسونية.

بالإضافة إلى ما ذكر، هذا الدستور المستخدم الآن يحتوي على ٤٠ صفحة من تاريخ الماسونية، الذي يبدأ على حد زعمهم من بداية الخليفة<sup>(471)</sup> ماراً بكل القصص المزعومة كما سبق وذكرنا بالتفصيل، وفيه تم دمج عجائب الدنيا السبع باعتبارها من إعجازات الحرفة.

العضوية والانضمام

انضمام الأعضاء الجدد إلى المحافل الماسونية يتطلب عادةً مرحلتين، يتخللها عدة خطوات ما بين تحقيقات خاصة وإجراءات طقسية معقدة.

١ - التقديم والتحقيق الأولي

يبدأ الشخص إما بالتقديم الحر عبر الإنترنت، أو بدعوة من عضو ماسوني، ومن ثم يتم دعوته إلى حضور حدث اجتماعي أو أمسية مفتوحة للمحفل المختار، وبمجرد إجراء الاستفسار الأولي، يمكن اقتراح طلب رسمي وتأيينه أو الإعلان عنه في محفل مفتوح. وعادةً ما يتبع ذلك مقابلات رسمية للتأكد من أن لديه سمعة طيبة في مجتمعه، ويُطرح عليه عدة أسئلة للتأكد من مدى معرفته والتزامه بالمبادئ الماسونية، وإذا

رغب المرشح في الاستمرار، تخضع عضويته للمراجعة خلال فترة غير محددة، حتى يتمكن الأعضاء من الاستفسار عن ملاءمة المرشح وعضويته.

٢ - موافقة المحفل

بعد الموافقة الأولية، يُعرض طلب الانضمام على المحفل، حيث يجب على جميع الأعضاء التصويت بشأن قبول أو رفض المتقدم، بشكل رسمي «لكن سري»<sup>(472)</sup>.

الصفات التي يجب توافرها في المتقدم

المرشح نفسه يتم اختياره بعناية، ويجب أن تتوفر فيه الصفات التالية:

١ - أن يكون المرشح حرًا وحسن السعة<sup>(473)</sup>.

كلمة «حر» كانت ترمز في الماضي لعدم قبول العبيد، وفي الوقت الحاضر أصبحت تعني مستقلًا؛ أي يكون ذا شخصية مسؤولة<sup>(474)</sup>.

٢ - أن يعلن عن إيمانه بكائن أعلى

في الأنجلوسكسونية لا يُشترط دين معين، أما الأنجلوأمريكية فترجح المسيحية نوعًا ما، بينما في الطقوس السويدية الأكثر شيوعًا في الدول الاسكندنافية، فلا يُقبل إلا المسيحيون فقط<sup>(475)</sup>، أما الماسونية «الليبرالية» أو القارية فما زالت إلى الآن تستقبل المؤمنين والملحدين على حدٍ سواء<sup>(476)</sup>.

٣ - أن يكون المتقدم قد بلغ سن الرشد

غالبًا ما يشترط أن يكون بلغ ١٨ عامًا، وفي بعض المحافل ٢١ عامًا.

٤ - أن يكون ناضجًا معافي العقل والبدن، وخرينًا جامعيًا.

٦ - أن يكون قد زكّي استمارته اثنان من الأعضاء.

القَسَم

بعد القبول وخلال مراسم البدء، يُطلب من المرشح ارتداء الملابس الماسونية الخاصة التي جُهزت من أجله، ثم يتقدم للقَسَم معصوب العينين، ويرى الماسونيون أن الحكمة من ذلك، رمزية الجهل أو الظلام الذي كان فيه الشخص قبل اكتشافه لحقيقة نفسه عن طريق الماسونية، وأن هذه العصابة تزول فورًا بعد أدائه القَسَم، وكأن عيناه سترى دنيا جديدة.

يتم إرشاد العضو الجديد من قبل ماسوني متمرس (غالبًا من مرتبة أعلى) عن كيفية القَسَم على «مذبح الماسونية»، والذي يحمل «الأدوات الرمزية» كالمربع (الزاوية) والبوصلة، مع نسخة من الكتاب المقدس للعضو حسب إيمانه (في بعض المحافل القارية، يُمنح الأعضاء حرية الاختيار لأداء القسم على الكتاب

الذي يمثل إيمانهم الشخصي أو قيمهم، سواء كان كتاباً دينياً أو فلسفياً؛ لكن في غالبية المحافل يتم أداء القسم على الدستور الماسوني).

من ضمن القسم؛ يتعهد بأنه في حال ترقيه مستقبلاً، يقوم بإخفاء أسرار درجاته عن الغرباء والأعضاء ذوي الدرجات الأدنى بقدر ما تسمح به الممارسة والقانون، كما يتعهد بالولاء ودعم زميله الماسوني في المحن<sup>(477)</sup> (تجدر الإشارة إلى أن محتوى القسم يختلف من محفل لآخر، ويتأثر بتقاليد المحفل والطقس المتبع).

#### درجات الماسونية

بعد الاشتراك؛ يحق للعضو الجديد التدرج في الدرجات الماسونية بشكل هرمي، يبدأ من درجة «التلميذ المبتدئ» وصولاً إلى درجات عليا تختلف وفقاً لتقاليد الماسونية المتبعة في كل نظام. الدرجات الثلاثة الرئيسية تُعرف باسم: «درجات الطقس الأزرق»، وتُشكل الأساس لما يُعرف بـ«المحفل الأزرق» أو «محفل الحرفة»، وهي مرحلة أساسية في جميع الطقوس الماسونية حول العالم مهما كانت مختلفة وأياً كان مساهما، وفي بعض الطقوس هناك درجات تكميلية بعدها، كالطقوس الاسكتلندية القديمة والمقبولة التي تتكون من ٣٣ درجة، بما في ذلك درجات المحفل الأزرق الثلاث التي يديرها مجلس أعلى محلي أو وطني، ذاك النظام الشائع في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأوروبا القارية، وكذلك طقوس مصرابيم ذات الـ ٩٩ درجة، كما تُدار طقوس يورك أيضاً بهذا النطاق المماثل؛ درجات المحفل الأزرق الأساسية، ثم يُمكن للأعضاء استكمال رحلتهم التعليمية فيها حتى يصلوا إلى درجات: القوس الملكي والماسونية الخفية وفرسان الهيكل<sup>(478)</sup>.

الدرجات الأساسية الثلاثة المعروفة في كل الطقوس بدرجات الطقس الأزرق هي:

#### ١ - التلميذ المبتدئ

فور قبوله، وبعد أدائه للقسم، يبدأ المبتدئ في ممارسة طقس الطواف حول «هيكل سليمان الرمزي» القائم داخل المحفل باتجاه دوران عقارب الساعة، ويقول الماسونيون إن هذا رمز لحركة الشمس، أما الهيكل ذاته القابع في منتصف المحفل، فهو بالنسبة لهم رمز لنقطة التقاء الشخص مع إلهه -بصرف النظر عن ديانته- وفي القارية يرمز لنقطة التقائه بنور الماسونية ذاتها.

وخلال هذه الدرجة يبدأ الماسوني في تعلم أساسيات وتعاليم الماسونية، مع التركيز على القيم الأخلاقية والرمزية فقط، ولا يمتلك إلا صلاحيات محدودة، على سبيل المثال: لا يحق له التصويت لقبول أعضاء مستجدين.

#### ٢ - رفيق الصنعة

هي الدرجة الثانية التي يتقدم فيها العضو للتعلم في التعاليم الفلسفية والرمزية للماسونية، ففيها يصل

الماسوني إلى مرحلة البلوغ والمسؤولية، ووجوب بناء صفاته الحسنة.

الطقس البارز في مراسم تنصيب هذه المرتبة، هو صعود العضو سُلماً يصل به إلى وسط الهيكل؛ وهو رمز لـ «سُلّم يعقوب» المذكور بسفر التكوين، في شرح «رؤيا يعقوب» عندما رأى سُلماً واصلاً للسماء تشغله الملائكة، أثناء هروبه من أخيه «عيسو»<sup>(479)</sup>، ويقول الماسونيون إن هذا رمز للصعود والتعمق. كما يتم استخدام مواد القياس التي استخدمها البنائون القدامى، وأبرز هذه الرموز: الزاوية القائمة التي يرون أنها تجسد الأساس المتين لبناء أي عمل أو مشروع، ثم يتم تلقين المُترقي بعض المعاني والرموز التي كانت بالنسبة له مُبهمة في الدرجة الأولى، وفي هذه المرحلة يمر من بين عمودين عند مدخل «هيكل سليمان الرمزي»، وهما نسخة رمزية طبق الأصل من التصميم اليهودي المزعوم لـ «ياكين» و«بوعز»، العمودان المذكوران في «سفر الملوك» كمدخل لـ «هيكل سليمان»<sup>(480)</sup>، وفي السياق الماسوني، تُمثل هذه الأعمدة الليل والنهار ومعاني أخرى مزدوجة؛ بما في ذلك الظلام والنور وغير ذلك، كما تُمثل لهم التوجيه الروحي كمحاكاة لـ «إرشاد بني إسرائيل إلى الأرض الموعودة»، مثلما هو مذكور في العديد من المصادر التي تشرح الرمزيات، وتستعين بتفسيرات نصوص قديمة مثل الكتاب المقدس، ككتاب «شرح الرموز الماسونية» لـ «كاثي بيرنز».

٣ - الرفيق الخبير

درجة الخبير هي الدرجة الثالثة والأعلى في المحفل الأزرق الأساسي لجميع الطقوس الماسونية، والتي يتمتع فيها العضو بمكانة كاملة كأخ ماسوني، حيث يُمنح الحق في المشاركة في اجتماعات المحفل واتخاذ القرارات؛ فبحسب الماسونية، وصول العضو إلى هذه المرتبة يعني اكتمال توازنه الداخلي والروحي. طقوس تنصيب «الرفيق الخبير» تتضمن رموزاً وشعائر خاصة تعكس مكانته الجديدة ومعرفته المتقدمة، فخلال الطقوس يتم التركيز على جوانب الفلسفة الماسونية والتأمل في مفاهيم مثل: الموت والبعث الرمزي، التي تعتبر جزءاً أساسياً من هذه الدرجة، حيث يُطلب من العضو التفكير بعمق في حياته ومسؤولياته تجاه المجتمع الماسوني.

ومن الرموز المستخدمة في طقوس هذه المرتبة آلة البناء الشهيرة «المالغ»<sup>(481)</sup>. وفي السياق الماسوني ترمز إلى ربط جميع مفاهيم الماسونية، ومساواة العضو في قدسية الأخوية، وتربطه بـ «حيرام آييف» أحد البنائين الرئيسيين في مشروع بناء «هيكل سليمان»، كما سبق وذكرنا. وبهذا الشكل، يتضح أن النظام المشترك بين كل الماسونية هو نظام الدرجات الثلاث للماسونية الحرفية أو المحفل الأزرق الذي شرحناه هذا، والذي يركز رمزه على خروج «بني إسرائيل» وبناء «معبد سليمان»، وقصة كبير المهندسين المعماريين «حيرام آييف»؛ لكن بعد هذه الدرجات، يمكن للماسوني التقدم إلى درجات أعلى عديدة، أشهرها على الإطلاق «درجات الطقس الاسكتلندي» و«درجات الطقس اليوركي». تختلف هذه الدرجات في تفاصيلها وطقوسها، ولكن أرقى الدرجات الدرجة ٣٣ في الطقس

الاسكتلندي، والدرجة ١٣ في اليوركي، وهذا ليس معناه أن عدد الدرجات ٣٣ في الطقس الاسكتلندي و١٣ في اليوركي و٩٩ في طقس مصراييم؛ فالماسونية لا يوجد لها أكثر من هذه الدرجات الأساسية، أما الدرجة ٤ والدرجة ٣٣ في الطقس الاسكتلندي والدرجة ١٣ في الطقس اليوركي وغيرها في الطقوس المختلفة؛ فهي درجات فخرية تُمنح كأعلى مراحل التبجيل، على عكس ما يعتقد البعض بأن هذا تعداد الدرجات<sup>(482)</sup>، وهي بالنسبة لهم شرف لا يمكن منحه إلا للماسوني البارز، ولا يحق للعضو التقدم بطلب للحصول عليها، فهي رُفعة يمنحها المجلس الأعلى فقط، ويتم تمييز الحاصل على هذه الدرجات بخاتم مميز منحوت عليه رقم الدرجة<sup>(483)</sup>، كما تحتوي الدرجات العليا (التي لا يُعرف عددها بدقة) على رموز أساسية مختلفة، وهناك محافل ماسونية عليا لا تقبل إلا الحاصلين على الدرجات الفخرية<sup>(484)</sup>.

الطقوس

الطقوس الماسونية باختصار: عبارة عن الكلمات والأفعال المكتوبة التي يتم التحدث بها أو تنفيذها أثناء الممارسة؛ للحصول على الدرجة العلمية في المحفل الماسوني<sup>(485)</sup>.

وكما قلنا من قبل عن المحافل الماسونية الأولى، نكرر نفس القول الآن عن الماسونية الحديثة: «لا يوجد عدد ثابت لمجموع الطقوس الماسونية»، ولكن يمكن أن تصل الطقوس الماسونية لما يقارب ٢٠ طقسًا، ومجموع درجات هذه الطقوس المختلفة مجتمعة ربما يصل إلى أكثر من ١٠٠ درجة، مع اعتبار وجود تداخلات وتشابهات بين بعض الطقوس، وكذلك اعتبار أن منها ما هو ممارَس إلى الآن، ومنها ما توقفت ممارستها، وأكثر الطقوس الماسونية شيوعًا: الطقوس الاسكتلندية وطقوس يورك المذكورين، بالإضافة لطقس ممفيس - مصراييم، والطقس الفارسي. وقد رأيت أنه لا جدوى من ذكر قائمة الطقوس الماسونية؛ رغبةً في تجنب الإطناب، وعدم وجود معلومات واضحة عن ما يدور فيها، كذلك عدم وجود فائدة من التعرف عليها.

أما تعريف الرمزية الماسونية: فهي تلك التي تُستخدم لتوضيح المبادئ التي تتبناها الماسونية، والمحفل الماسوني دائمًا ما يكون ممتلئًا بالرمزيات، من خلال أدوات البناء التي استخدمها الحرفيون في العصور الوسطى أو عصر النهضة.

ومن خلال التعريفين، تصف الماسونية نفسها بأنها «نظام أخوي أخلاقي جميل وعميق، محجوب بالاستعارات وموضح بالرموز».

رمزية الطقوس

تماشيًا مع الموضوع الهندسي والمعماري للماسونية، يتم الإشارة إلى «الكائن الأسمى» في الطقوس الماسونية بألقاب: «المهندس العظيم للكون»، أو «المهندس الأعظم» أو ما شابه ذلك؛ بحسب دين كل عضو. وهذه المسميات الفريدة غرضها - من وجهة نظرهم - توضيح أن مرجعهم عام وليس مرتبطًا بمفهوم دين معين عن الله<sup>(486)</sup>.

تستخدم بعض المحافل لوحات التتبع، وهي عبارة عن رسوم مرسومة أو مطبوعة تصور الرموز المختلفة للماسونية، ويمكن استخدامها كوسائل تعليمية أثناء المحاضرات التي تلي كل درجة من الدرجات الثلاث، عندما يشرح أحد الأعضاء ذوي الخبرة المفاهيم الماسونية المختلفة للأعضاء الجدد.

«معبد سليمان» أو «هيكل سليمان» هو رمز مركزي للماسونية جميعها، تم ترسيخه في دساتيرهم القديمة كما ذكرنا من قبل؛ كتخليد لأول ثلاثة أساتذة عظماء: «الملك سليمان»، و«الملك حيرام الأول» ملك صور، و«حيرام أيبف» المهندس المعماري الذي بنى المعبد. وتشمل طقوس البدء الماسونية إعادة تمثيل مشهد الهيكل أثناء بنائه؛ لذلك -من وجهة نظرهم- فكل محفل ماسوني هو رمز للمعبد طوال مدة الدرجة، ويمتلك المحفل أشياء طقسية تمثل هندسة المعبد، يمكن أن تكون هذه الأشياء مدمجة في القاعة أو محمولة من بعض الأعضاء، من بين أبرزها: نُسخ طبق الأصل من الأعمدة «بوعز» و«ياكين» التي يجب على كل مبتدئ المرور من خلالها<sup>(487)</sup>.

سرية الطقوس

غالبًا ما يُردد الماسونيون شعارًا رنانًا يقول:

«لسنا مجتمعًا سرّيًّا؛ بل مجتمع به أسرار».

تتمثل أسرار الماسونية في طرق التعرف المختلفة: كالتقبضات والمصافحات والعلامات (إيماءات اليد) والكلمات السرية (المشابهة لكلمات المرور الحديثة)، للإشارة إلى أن المرء ماسوني، وجميعهم من ضمن الأسرار القصوى، وعلى الرغم من تسريب بعضها من المنشقين عدة مرات، وعلى الرغم أيضًا من أن المحافل الرسمية نفسها تنشر بشكل متكرر بعض الصور والوثائق التي تُظهر هذه الطقوس والإيماءات على مواقعها على الإنترنت<sup>(488)</sup>؛ يواصل الماسونيون التصرف كما لو كانت سرية، ويعدون بعدم مناقشتها مع الغرباء، وقد فسروا ذلك على أنه تخليد للوعد، وتقليد أهم من السرية الفعلية<sup>(489)</sup>؛ لذلك يقولون إن الأسرار ليست غاية في حد ذاتها، بل هي انعكاس للتاريخ والقيم والأخوة.

وعلى مر السنين، تم نشر مجموعة متنوعة من الكشوفات التي تدعي تمثيل الطقوس الماسونية؛ بما في ذلك «تاريخ الماسونية» ل«صمويل بريشارد» في عام ١٧٣٠م كما سبق وذكرنا<sup>(490)</sup>.. ورغم ذلك هناك مزاعم مناهضة تقول إن هذه الأسرار هي مجرد حقائق سمحت الماسونية بنشرها، وهناك ثلة أخرى من الأسرار الباطنية، وقد أدى هذا التصور للسرية إلى ظهور العديد من «نظريات المؤامرة الماسونية».

\*\*\*

للماسونيين الكثير من الرموز، وهي بالنسبة لهم ذات معانٍ عميقة وطابع مرجعي للحرفة والأخوية؛ بدءًا من الهندسة المعمارية الشاهقة إلى دبابيس الياقة الصغيرة؛ لذلك تُزين الرموز كل جزء من التجربة الماسونية؛ فهي من وجهة نظرهم تسمح للأعضاء بتجاوز الحواجز اللغوية، وبالتواصل بسرعة. تم تفسير هذه الرموز عدة مرات من وجهة نظر مناهضي الماسونية وخضعت للبحث والتدقيق، وجميعهم -بلا استثناء- أعلنوا عن ريبتهم تجاه ما قالوا إنها تمثل رموزًا شيطانية تارة، ورموزًا تحكيمية تارة، ورموزًا تهديدية عنيفة تارة أخرى؛ لذلك سنسرد بعضها مع (تفسيرها المعلن عنه من قبل الماسونيين أنفسهم)، ثم في النهاية (سنناقش ادعاءات المناهضين).

أولاً الرموز الأكثر شهرة<sup>(491)</sup>

## ١ - المنزرة

المنزرة أو المزيّلة هي رداء لحماية الملابس، يغطي في المقام الأول الجزء الأمامي من الجسم، يرتديه الحرفيون لحماية ملابسهم من الأمام، وفي الماسونية غالبًا ما تكون من جلد الحمل الأبيض، وهي أهم من أي رمز آخر؛ حيث يعد مئزر جلد الحمل شارة عالمية للماسوني، بسبب رمزية الحمل الأبيض إلى الطهارة والبراءة والتضحية، وفي بعض المحافل يتم دفن العضو بمئزره كتأكيد على أهميته الرمزية في حياته ومسيرته الماسونية.

## ٢ - الزاوية والبوصلة

هما الرمز الأكثر شيوعًا في الفلسفة الأساسية للماسونية، ويستخدمان لتمثيل الماسونيين والمحافل الماسونية على مستوى العالم، وفي رمزيتهم: المربع أو الزاوية يُعبر عن الأخلاق وقيم النزاهة والعدل، والبوصلة تعبر عن العلاقة المتزنة بين الفرد والمجتمع، كما يقول البعض الآخر إن لهما دلالة رمزية بالعلاقة مع «المهندس الأعظم للكون»، حيث الاتجاه من أسفل إلى أعلى يرمز إلى علاقة الأرض بالسماء، ومن أعلى إلى أسفل يدل على علاقة السماء بالأرض.

## ٣ - الحرف G

غالبًا ما يُرى الحرف G في وسط الزاوية والبوصلة، وهو يرمز من وجهة نظرهم إلى الهندسة، ويعتمدونه كرمز لأساس البناء بالحجارة في الماسونية الحديثة، حيث يرمز للحرف الأول من «Geometry» (الهندسة)؛ بينما هناك تفسير ماسوني آخر يقول إنه يشير إلى «God» (الله)، ككناية عن تقدير الماسونية للهندسة والنظام الكوني.

## ٤ - عين العناية الإلهية

العين الموجودة داخل مثلث أو دائرة أو فوق الهرم، يسمونها عين «العناية الإلهية» أو «عين الحكمة»، وهي تمثل لهم المراقبة الإلهية والرؤية الشاملة من وجهة نظرهم، وغالبًا ما يرددون: «العين التي ترى كل شيء»، كرمز لمراقبة الله ووجوده، من وجهة نظرهم.

٥- الهرم

بالنسبة لهم، يرتبط الهرم بالاستقرار والتكامل، ويظهر في الدرجة الثالثة كرمز للبناء الشخصي والنمو، ويشير إلى الالتزام ببناء الذات.

٦- النجمة الخماسية

يقول الماسونيون إن النجمة الخماسية هي رمز آخر يمثل «المهندس الأعظم»، حيث يرمز إلى الطبيعة المتوازنة وعناصر الكون الخمسة: (الأرض، والماء، والنار، والهواء، والروح).

٧- نجمة داوود

هي من أهم الرموز لديهم، لا سيما بسبب تقديسهم لمملكتي «داوود» و«سليمان» والهيكل المزعوم، وهي بالنسبة لهم رمز لاتحاد السماء مع أهل الأرض، حيث تتكون النجمة من هرمين، الهرم الأسفل ينظر إلى «الكائن الأعلى» بالسماء، والهرم الأعلى ينظر إلى أهل الأرض، ومن وجهة نظرهم اندمجت المعادلة من قبل، على يد «داوود» عند حكمه، وقيام «مملكة بني إسرائيل»<sup>(492)</sup>.

٨- المدرج الثلاثي

تشير درجات المدرج الثلاثي إلى مسارات التدرج داخل الماسونية، وهي: درجة المبتدئ، ودرجة الزميل، ودرجة الرفيق الخبير، وكل درجة من وجهة نظرهم تضيف معرفة وتجربة عميقة عن الفلسفة والأسرار الماسونية.

٩- مربعات الأبيض والأسود في أرضية المحافل (الضوء والنور)

يرمز النور في الماسونية إلى المعرفة والاستنارة، ويعتبر البحث عن النور هدفًا مهمًا للماسوني، حيث يعبر عن السعي المستمر لتحقيق المعرفة والفهم الأعمق.

١٠- عمودا ياكين وبوعز

العمودان مستوحيان من عمودي «هيكل سليمان» كما وضحنا، وبالنسبة لهم يمثل العمودان الاستقرار والقوة، ويعبران عن التوازن بين الأضداد مثل الليل والنهار، مما يُعد مفهومًا أساسيًا في الفلسفة الماسونية.

١١- الشمس والعين والقمر والنجوم

من وجهة نظرهم، هذه الصور مجتمعة تستخدم لوصف «مهندس الكون الأعظم»، الذي تطيعه الشمس

والقمر والنجوم، كما أن الشمس والقمر يذكّران ضباط المحفل بإدارة المحفل بانتظام.

١٢ - سُلم يعقوب

هو تخليد لما ذُكر في سفر التكوين، عندما رأى يعقوب في حلمه سُلمًا يمتد من الأرض إلى السماء كما سبق وأشرنا. وفي الماسونية يُوصف السُلم بأنه يتكون من ثلاث درجات رئيسية تمثل الإيمان والأمل والمحبة، وتشمل الدرجات الإضافية الأخرى الاعتدال والشجاعة والحصافة والعدالة.

١٣ - السلام الحلزونية

السلام الحلزونية هي رمز آخر مستوحى من «هيكل سليمان»، حيث تشير إلى الدرجات المؤدية من المدخل إلى الغرفة الوسطى من المعبد، وتكمن رمزيتها بالنسبة لهم في تقدم العضو من مبتدئ إلى زميل في الحرفة.

ثانيًا: الرموز الأقل شهرة (493)

١ - المنجل والساعة الرملية

المنجل أو خطاف التعبئة أو خطاف الحصاد، هو تلك الأداة الحادة المستخدمة لأغراض مختلفة.. وبحسب الماسونيين، يُستخدم المنجل وكذلك الساعة الرملية لتذكير الماسونيين بالخطر الدائم المتمثل في الموت والفناء الذي ينتظر الجميع.

٢ - الميزان والمستوى

رمزها أيضًا مقتبس من البناء؛ ففي البناء بالحجارة يضمن الميزان والمستوى أن تكون الأسطح مستوية رأسياً وأفقيًا، وبالنسبة للماسونيين اليوم، يعتبر الميزان رمزًا للعدالة والاستقامة؛ في حين أن المستوى هو تذكير بأن جميع الرجال متساوون.

٣ - المالج

يُعد المالج أو «المسطرين» من أهم أدوات العمل التي يستخدمها عمال البناء، حيث تُستخدم لتوزيع طبقة متساوية من الملاط بين الطوب أو الأحجار عند بناء الجدران، وفي الماسونية المعلنة تُمثل الحب الأخوي لتوحيد المجموعة المقدسة.

٤ - الحجارة المنحوتة الخشنة أو المثالية

هما تجديد للرمزية الموجودة من الماضي: الحجر الخشن والحجر الأملس كما سبق ذكرنا. وبشكل مستحدث فالحجارة المنحوتة عبارة عن مكعبين حجريين يوضعان بالقرب من منصة السيد في المحفل، أحدهما ذو حواف خشنة تم جلبه مباشرة من المحجر، والآخر أملس وجاهز للبناء. وبالنسبة لها تمثل

الحجارة المنحوتة الخشنة الإنسان في شكله الخام؛ بينما تمثل الحجارة المنحوتة المثالية الإنسان الذي أصبح أكثر صقلًا من خلال تعاليم الماسونية، وهم يرددون شعار: «لا نصبح أبدًا حجارة منحوتة مثالية، لكننا نعمل من أجل ذلك».

٥ - المطرقة الشائعة

المطرقة بالنسبة لهم غرضها تذكير البنائين بالسعي إلى إزالة الحواف الخشنة من شخصيتهم، ليصبحوا أكثر شبهاً بالحجر المنحوت المثالي.

٦ - المرساة والفلك

في محاضرات الماسونية، يتم الجمع بين المرساة والفلك كرمز للحياة التي تم قضاؤها بشكل جيد، وبالنسبة للماسونية العادية المرساة فهي رمز للأمل، والفلك (مثل سفينة نوح) هو رمز للإيمان.

٧ - الحذاء

هذا رمز يتعلق بالطريقة التي يتم بها إعداد المرشحين للحصول على الدرجات العلمية، يأتي التفسير الماسوني من عادة عبرانية تتمثل في خلع الحذاء وإعطائه لجار لإبرام اتفاقية، كوعد بالشرف والإخلاص.

٨ - نقطة داخل دائرة وخطوط متوازية

هذا الرمز الصغير هو أحد أكثر الصور إرباكًا في الماسونية؛ لم يتضح ما يعنيه بشكل متفق، إنه دائرة بها نقطة في المنتصف، أعلى الدائرة يوجد كتاب مقدس أو مجلد من الشريعة المقدسة، وعلى جانبي الدائرة يوجد خطان متوازيان، ولم أجد له تفسير متفق عليه في المصادر الماسونية.

٩ - خلية النحل

لطالما كان النحل رمزًا للعمل الجاد والجماعي، وبالنسبة للماسونيين خلية النحل رائعة بشكل خاص، لأن قرص العسل عبارة عن بنية هندسية مثالية.

١٠ - سيف تايلر وكتاب الدساتير

يفسر الماسونيون هذا الرمز بأن دستور الماسونية وسيف تايلر الموجود على الجانب الآخر منه، هما تحذير لحماية مؤسسة الماسونية من خلال ضبط الأفكار والأفعال والكلمات غير الجديرة التي قد تجلب سمعة سيئة للأخوة.

١١ - مقياس ٢٤ بوصة

مقياس ٢٤ بوصة يمثل ٢٤ ساعة من اليوم، وهو تذكير بعدم إضاعة الوقت في ما لا يستحق.

١٢ - المصباح أو الشعلة

بالنسبة لهم يعينان التنوير والعقل والفهم.

١٣ - التابوت والمجرفة والمطرقة وغصن السنط والقبر المفتوح، والجمجمة والعظام المتقاطعة والمقابر الرمزية

يزعم الماسونيون أن جميعها ترمز إلى التذكير بالموت وإعادة البعث، وحث الأعضاء على التدبر في معاني الحياة والموت والمسؤولية الشخصية. وعشرات الرموز الأخرى ك: شجرة الأكاسيا تحليداً لقبر «حيرام أبيف»، والمعضلة السابعة والأربعين لإقليدس، وسحب الكابل، وحزمة الذرة، وغيرها وغيرها.

تحليل الرموز

بالنظر لتفسيراتهم لهذه الرموز، ستقتنع بأنها خليط من الرمزيات اليهودية في المقام الأول، مُدمجة برمزيات وثنية وباطنية وغنوصية وهرمسية ومصرية قديمة؛ لذلك تجد هذه الرموز وعشرات الرموز الأخرى مفسرة بشكل أعمق من وجهة نظر المناهضين الغربيين، ومتهمة بأنها شيفرات شيطانية سرية، قال بعضهم إنها تُمجد «لوسيفر»، وآخرون قالوا تُمجد «بافوميت» (بافوميت)، بينما قال غيرهم إنها تُمجد «المسيح الدجال»، وهناك من هم أكثر تفاؤلاً منهم، قالوا إنها ترمز للسيطرة على العالم.. ومبدأياً دعنا نتعرف باختصار على الفرق بين «لوسيفر» و«بافوميت» و«المسيح الدجال».

لوسيفر

عادةً ما يُعتبر شخصية سلبية في الفكر الديني المسيحي (كشيطان)، ويرتبط بشكل رئيسي بالتمرد ضد الله، فبحسب مفسري الكتاب المقدس، يُشار إلى الشيطان «لوسيفر» على أنه الملاك الساقط الذي عصى الله، المذكور بـ«حامل النور» أو «الزهرة» أو «نجمة الصباح»<sup>(494)</sup>، فوفقاً لما ذكره سفر إشعياء من العهد القديم، كان «لوسيفر» ملاكاً قوياً ورائعاً، إلا أنه سقط من الجنة بسبب كبريائه ورغبته في التفوق على الله؛ لكن هناك تفسيراً آخر يقول إن الملاك الساقط المذكور في السفر هو ملك بابل، واستُخدم لاحقاً كتشبيه لـ«تمرد لوسيفر»<sup>(495)</sup>.

تطور الأسطورة

في العصور الوسطى، تطور مفهوم «لوسيفر» ليصبح رمزاً للشيطان، وظهر في الأدب والفن على أنه كائن يجسد الشر والخطيئة، كوصف الشاعر «جون ميلتون» في «الفردوس المفقود»، الذي صور فيه «لوسيفر» ككيان يتمرد على الله ويدافع عن حريته وحقه في الاختيار، وهذا التصوير زاد من تعقيد الشخصية، حيث بات يُنظر إليه من أصحاب الأفكار الفلسفية الباطنية كبطل مأساوي يبحث عن حقه رغم أفعاله.

بافوميت

«بافوميت» أو (بافوميت) هو رمز مُركب، يرتبط بالأسرار والحكمة والتوازن بين الأضداد، وغالباً ما

يرتبط بالجماعات السرية والرمزية الماسونية والشياطين الحديثة؛ لكنه لم يكن بالضرورة رمزاً للشيطان التقليدي.

غالبًا ما يُصوّر في شكل كائن ميثولوجي برأس ماعز وجسد إنسان، يرتبط تاريخيًا بالعديد من المعاني الغامضة والمفاهيم المرتبطة بالخمياء<sup>(496)</sup> والباطنية. وعلى عكس الاعتقادات الشائعة، لا يرتبط «بافومت» بشكل مباشر بتقاليد الماسونية القديمة. ورغم ذلك استُخدم كرمز غامض في بعض النصوص الماسونية بعد القرن التاسع عشر، وأصبح «بافومت» في التقاليد الماسونية يفسّر أحيانًا كرمز للحكمة والمعرفة، ولكن المعاني قد تختلف حسب السياقات الثقافية والتاريخية.

يُزعم أيضًا أن صورة «بافومت» أُعيدت خلال العصور الوسطى واستخدمت للإشارة إلى تهمة وادعاءات موجهة ضد «فرسان الهيكل» بعبادته سرًا، أثناء اتهام «فيليب الرابع» لهم بالهرطقة والزندقة، وهي تفسيرات انتشرت لاحقًا ضمن مختلف الحركات الغامضة.

في الأدب والفلسفة الباطنية، يُستخدم «بافومت» كرمز للتحرر الفكري وللكشف عن المعرفة غير التقليدية؛ مما يجعله محاطًا بالغموض والجدل، ويرى المعارضون أن استخدام «صورة بافومت» ضمن بعض المحافل، يعزز الشكوك بأن الماسونية قد تتبنى أفكارًا باطنية تتعارض مع المبادئ الدينية؛ لذلك دعنا نفسر صورته المزعومة من وجهة نظر المنظمات الباطنية، كي ندرك خطورة أو عدم خطورة استخدامه كرمز.

تفسير صورة بافومت

شعار «بافومت» يُعتبر رمزًا معقدًا له العديد من التأويلات، ويشتهر بالربط بين مختلف الرموز، ويُعتقد أنه مثل لدى الحركات الباطنية التوازن بين الأضداد مثل: الخير والشر، والذكورة والأنوثة، والضوء والظلام؛ مما جعله يجسد مفهوم الوحدة والتكامل بالنسبة لفلسفة الماسونيين وغيرهم، وهو شعار وثني قديم يعود للعصور الوسطى، كان يرمز به في بادئ الأمر للعاصي والمُدان والزاني، وفي النهاية أصبح رمزًا للشيطان بعدما استخدمه «أنطوان ليفي» (١٩٣٠-١٩٩٧م)، مؤسس «كنيسة الشيطان» عام ١٩٦٦م (من المؤسسين الأوائل لفرقة عبدة الشيطان)، أثناء وصفه للشيطان كرمز للقيم الأرضية<sup>(497)</sup>.

تفسير الشعار والرموز الرئيسية

رأس الكبش: رأس الكبش في شعار بافومت يُشير إلى الطبيعة الأرضية والقوة والشجاعة، وفي سياقات أخرى، يرتبط أيضًا بالشخصيات الأسطورية المرتبطة بالحكمة والمعرفة  
الأجنحة: تظهر أجنحة على جانبي الشكل للدلالة على الطموح الروحي والتجاوز عن العالم الأرضي، حيث تمثل الأجنحة: الطيران نحو المثل الأعلى أو الحقيقة من وجهة نظرهم.  
القمران: يوجد قمران مختلفا اللونين، أحدهما مضاء والآخر مظلم، مما يعكس توازن الأضداد ويشدد على فكرة التكامل، من وجهة نظر الفلسفة الباطنية.

يداه المشيرتان: اليد اليمنى تشير إلى الأعلى واليسرى إلى الأسفل، وغالبًا ما يُعتبر هذا كإشارة إلى مبدأ

«كما في الأعلى كذلك في الأسفل» المذكور في «متون هرمس» (كما وضحتُ ذلك في كتابي عن النبي إدريس الصادر مع هذا الكتاب)، وهو نفس المبدأ التي تتبناه الماسونية في رمزيتها كما سبق وذكرنا، مما يرمز للتكامل بين العالمين الروحي والمادي من وجهة نظرهم.

**النجم الخماسي:** تبرز نجمة خماسية على الجبهة، وترمز إلى العناصر الخمسة (الأرض، الماء، النار، الهواء، والروح) وتشير إلى الكمال الروحي، من وجهة نظر الجماعات الباطنية.

المسيح الدجال

«المسيح الدجال»: المسوح إما بالبركة (كما في حالة عيسى عليه السلام)، أو بعلامة تشوه (كعينه المسووحة)، المنطوق أحياناً باسم «المسيخ الدجال»: ككناية على تشوه خلقته ومسخه.

هو مسمى لشخصية تظهر في الروايات الدينية لعدة تقاليد، خاصةً في الإسلام والمسيحية، ويعتبر «المسيخ الدجال» كياناً شريراً يظهر في نهاية الزمان بهدف إغواء الناس والسيطرة عليهم، ويختلف وصفه وتفسيره بين المعتقدات، لكن الغرض المشترك هو تصويره كقوة رئيسية للشر قبل يوم القيامة.

ومنعاً للإطالة لن نسهب في وصفه وأعماله لمعرفتنا جميعاً بها، وفي الباب التالي الخاص بدين الماسونية هناك توضيحات أكثر، ومحاولات موثقة لاكتشاف معبود الماسونية، والآن دعنا نركز في باطنية الرموز.

مزاعم شيطنة الرموز

ظهرت العديد من الكتب والتحليلات الغربية لرموز الماسونية، تم تداولها بشكل واسع النطاق، والتي ادّعت أن لرموز الماسونية معاني باطنية غامضة، أشهرها كتاب «شرح الرموز الماسونية» لـ «كاثي بيرنز»، التي ادعت من خلاله أن حرف G يرمز إلى كوكب الزهرة أو (كوكب الصباح)، الذي لُقّب به الملاك الساقط «لوسيفر» كما ذكرنا قبل قليل؛ بينما يذهب آخرون إلى تحليل يقول إن حرف G مصدره كلمة «Gematria» والمعنيّ بها: ال ٣٢ قانوناً التي وضعها أحبار اليهود لتفسير الكتاب المقدس في سنة ٢٠٠ ق.م.

كما يقول الكاتب «مايكل بينسون» في كتابه «داخل الجمعيات السرية»: إن رمز العين في الماسونية وخاصة العين التي تظهر في قمة مثلث؛ ما هي إلا دليل على سيطرة الماسونيين على العالم؛ خاصةً أنه شعار الختم الأعظم للولايات المتحدة، وهو الرمز الأشهر على فئة الدولار؛ أي أن الماسونية تقود الولايات المتحدة للسيطرة على العالم.. ورغم ذلك ينفي الماسونيون أن يكونوا وراء وضع هذه الرموز والأشكال الحكومية، وأنها مجرد صدفة بحتة.

الهرم بالذات كان صاحب النصيب الأكبر في النقد، فإراه مناهضو الماسونية الغربيون كرمز لتحطيم الكنيسة الكاثوليكية الممثلة للمسيحية الكبرى، من أجل إقامة حكم ماسوني عالمي جديد تتولاه حكومة ماسونية كالأمم المتحدة؛ فالهرم اعتقدوا أنه يُمثل بنية القيادة الخفية التي تخطط للسيطرة على الأفراد والأمم، كما رأى المعارضون أيضاً أن استخدامهم الواضح للمسلة في رموزهم ونصّبهم التذكارية، غرضه الإعلان عن مركزيتهم وشموخهم للسماء، والرغبة في الهيمنة على الوجود.

أما «العين التي ترى كل شيء» فأروها رمزًا للسيطرة العالمية أو التجسس على أفراد المجتمع، ورمزًا للرقابة المركزية والهيمنة المستمرة التي قد تؤدي إلى التحكم الكلي في الأفراد والجماعات، وأنها دليل واضح على الطموحات السرية للماسونية، بينما قال البعض الآخر، إن العين في الواقع تشير إلى «عين الشيطان بافوميت»، واتهموا الماسونية بحب الشيطان، وأنهم يسعون من خلال نشاطاتهم للسيطرة على العالم، لأنهم «يريدون أن ترى عينه كل شيء في الكون تحت سيطرتهم»، واستشهدوا بأن النجمة الخماسية ما هي إلا تأكيد على عبادة الشيطان والممارسات الوثنية؛ حيث كانت هي الرمز السري للمعرفة الباطنية عند الفيثاغورثيين، وفي الوقت ذاته هي رمز لعبدة الشيطان.

بينما قال آخرون إن العين ترمز إلى «المسيخ الدجال» صاحب العين الأحادية، ومنهم من قال ترمز إلى عين «حيرام أبيف» نفسه، وآخرون قالوا إن المقصود «حيرام إيود»، أحد أقطاب اليهود الذين أسسوا القوة السفلية الغامضة، بغرض القضاء على المسيحية.

أما دمج الهرم مع العين المشعة، فاعتبروهما رمزًا لنظام هرمي للسلطة والسيطرة الخفية على العالم، فبكل وضوح مكتوب باللاتينية على الهرم ذات العين المشعة في أعلى: *Annuit coeptis*، ومعناها اللفظي «أومأ برأسه كما بدأ» وقالوا هي شيفرة معناها: «أنا نفذنا مشروعنا الذي البدء»، وفي الأسفل مكتوب: *Novus ordo seclorum*، ومعناها اللفظي «نظام القرون الجديدة»، وبحسب المعارضين فهي تعني: «النظام العالمي الجديد»<sup>(498)</sup>.

كما فُسر رمز البوصلة والزاوية، بأنه تلميح لإصرار الماسونية على السيطرة واختراق الفكر الإنساني؛ حيث يُعتقد أنه يمثل أدوات التحكم في السلوك العام والعلاقات الاجتماعية.

كذلك فُسرت الرموز التي تشير إلى الموت ك(التوابيت، والمقابر، الرمزية وغيرها)، على أنها محاولة للتلاعب بالنفس البشرية وجعلها خاضعة لطاعة رمزية تتجاوز الولاء العادي.

كما تم تفسير أمور كثيرة في المحفل والرموز والطقوس على أنها إحياء للمعتقد اليهودي القديم؛ بدءًا من المآزر التي هي أسوة بما ذكره اليهود عن عمال «هيكل سليمان المزعوم»، والهيكل الرمزي المُقام داخل المحافل، والعمودين، والسلام، وشخصية «حيرام أبيف»، ونجمة داوود السداسية وما إلى ذلك.

كذلك فسروا رمز المطرقة على أنه إشارة إلى التدمير والعنف؛ فهو الأداة التي قُتل بها «حيرام أبيف» بالضربة الثالثة.

وبينما ترمز الشعلة عادةً إلى «التنوير»؛ يرى بعض المناهضين أنها تُشير إلى العقلية العلمانية التي تُعارض التقاليد الدينية؛ حيث يرون أن فكرة «التنوير» قد تُستخدم كوسيلة لتشجيع التشكيك في المعتقدات الدينية، ومن ثم التمهيد ل«بافوميت»؛ حيث يرمز شعارهم «النجمة الخماسية التي بداخلها رأس الماعز بافوميت» إلى تقديسه، تأثرًا ب«أنطوان ليفي» (١٩٣٠-١٩٩٧ م) مؤسس «كنيسة الشيطان» لتكريس عبادته<sup>(499)</sup>؛ حيث يتم تعريف هذا الشعار المعروف ب«سيجيل البافوميت» بأنه الشارة الرسمية لكنيسة الشيطان، ويُطلق على السيجيل اسم «نجمة الجوهر الخماسية».

وقال آخرون إن رموزهم تمجد «لوسيفر»، والرمز الماسوني الشهير «الشمس المشرقة» فسروه بأنه يوحى لسقوط «لوسيفر»، وقالوا إن شعار «النار» أو «الشعلة» يرمزان إلى إحراق النظام القديم وإقامة «نظام عالمي جديد»، حتى يأتي «لوسيفر» - وغيرهم قال «المسيح الدجال» - حاملاً شعلة النار.

كما أن هناك مناهضة واضحة للإيحاء التي استخدمها بعض الماسونيون «شعار إصبعي اليد الخنصر والسبابة»، الذي غالباً ما يستخدمه عبدة الشيطان في الحفلات والأغاني الموسيقية؛ وهو ما يرمز إلى قرني الشيطان، بينما فسر مناهضون آخرون أن الخنصر يرمز إلى الشيطان، والسبابة ترمز إلى «المسيح الدجال».

ومن خلال ما ذُكر، نستنتج أن الماسونية متهمه بابتداع «دين مستقل»، وكذلك إنشاء «نظام عالمي جديد»؛ تمهيداً لمعبودهم الغامض، وسنشرح الاتهامين فيما يلي:

\*\*\*

من خلال تناولك لهذا الكم الهائل من تاريخ الماسونية، إذا سألتك ما هي الماسونية المثيرة للجدل أو الأشد خطرًا، التقليدية أم القارية؟

- حتمًا ستقول القارية، وهذا استنتاج طبيعي.

لكن الحقيقة عكس ذلك؛ فرغم تشابك الماسونية القارية مع الأحداث التاريخية والسياسية وتفاعلها؛ بل وتخطيطها للأحداث نفسها في غالبية الأحيان؛ أصبحت الآن هي النظام العلماني السائد واضح المفاهيم، وبرغم أن هذه المحافل كانت أكثر انخراطًا في القضايا السياسية والاجتماعية - خاصة في أوروبا - أصبحت الآن أقل تأثرًا بنظريات المؤامرة العالمية مقارنة بالماسونية الأنجلوسكسونية أو الأنجلوأمريكية؛ ربما بسبب وضوح مفاهيمها وتهديداتها بحسب المؤمنين بالمؤامرة، على عكس الماسونية التقليدية التي يثار حولها الكثير من التكهنات، فالماسونية الأنجلوسكسونية تُعد الأكثر تقليدية وانتشارًا في العالم، ورغم أنها تعلن عدم انغماسها في السياسة، فإن بعض «نظريات المؤامرة» تروج لفكرة أنها تُمارس نفوذًا كبيرًا على الحكومات والشركات العالمية؛ خاصة بعد وضوح نفوذها الخارق في بريطانيا والولايات المتحدة، ويُعتقد أنها تلعب دورًا في تحريك الخيوط العالمية للسياسة والاقتصاد بشكل سري، وهذا التصور ينتشر بين الناس بسبب السرية والغموض المحيطين بها، واستبعاد النساء من المحافل الرسمية، وكذلك ارتباطها بشخصيات عالمية بارزة.

لكن قبل أن نناقش طول أو قصر أذرعها السياسية والاقتصادية، دعنا ننظر بعمق داخل محركها العقائدي، الذي على أساسه سنفسر أيديولوجية توجهاتها، ونتناول مفهوم الدين في هذه الماسونية، ونستثني الماسونية القارية في بعض الأوقات، فالماسونية القارية منذ عام ١٨٧٧م قالتها بوضوح: «لا يشترط الإيمان بإله»، أما العادية فإلى الآن تركز على الإيمان ب«المهندس الأعظم للكون»، وهنا يظهر سؤال مهم.

هل هو فعلاً إله اختياري للأعضاء بحسب معتقداتهم فعلاً؟ أم أنه في العُور يتم تقديس إله خاص بالمميزين (سواء لوسيفر أو بافومت أو المسيح الدجال أو غيرهم)، دون أن يشعر أعضاء الدرجات المتدنية، ضمن نظام ديني مُستقل؟

إذا كنت تريد إجابة مختصرة، فأنا لا أعرف حقًا ما هو دين الماسونية بشكل موثق، أو من هو «مهندس الكون الأعظم» بالنسبة لهم، إن كان إلهًا أحاديًا في الباطن أم إلهًا متعددًا كما في الظاهر؛ لكن دعنا نرى ما يقوله الغرب، ونرتب أفكارنا سويًا.

الماسونية والإسلام

في الوقت الحالي تؤكد المصادر الغربية موقف الإسلام من الماسونية، وترى أن موقف الإسلام والمؤسسات الإسلامية لا يزال حاسمًا تجاه الماسونية، من خلال الفتاوى القاطعة منذ القرن العشرين والتي لم يظهر لها فتاوى مضادة، ويؤكدون مزاعم المسلمين بأن دين الماسونية وإلهها لا يمثلان الإسلام؛ على عكس

بعض الآراء المسيحية التي تباينت مع الوقت.

الماسونية والمسيحية

أقدم وثيقة مبكرة مناهضة للماسونية تتهمها باتباع دين خاص بها، عبارة عن منشور طبعه قس إنجليزي يُدعى «وينتر» في عام ١٦٩٨م، وجاء في المنشور:  
«إلى جميع الأتقياء في مدينة لندن..

بعد أن رأيت أن من الضروري تحذيركم من الأذى والشور التي يمارسها أولئك الذين يُسمون بالماسونيين الأحرار؛ أقول لكم احذروا لئلا تسيطر عليكم طقوسهم وأقسامهم السرية، واحذروا أن يدفعكم أحد إلى الضلال عن التقوى؛ لأن هذه الطائفة الشيطانية من البشر تجتمع سرًا للتخطيط ويُقسّمون ضد الجميع، إنهم ضد المسيح الذي سيأتي ليقود الناس من خوف الله، وإن لم يكونوا كذلك، لماذا يجتمعون في أماكن سرية ومعهم رموز سرية غامضة، ويحرصون على ألا يلاحظهم أحد، أليست هذه سبل الأشرار؟  
عندما يعلمون أن الله يراقب سرًا أولئك الذين يجلسون في الظلمة، سيُضربون وتُكشف أسرار قلوبهم.. إلى كل مؤمن: لا تختلط بين هؤلاء الفاسدين حتى لا تجد نفسك في نار الجحيم»<sup>(500)</sup>.

كذلك من أوائل المنتقدين للمسيحيين للماسونية «تشارلز غرانديسن فيني (١٧٩٢-١٨٧٥م) عضو الكنيسة المشيخية بالولايات المتحدة، وأبو «الإحياء الحديث» كما يسمونه، والذي سخر من الماسونية في كتابه «الشخصية والمطالبات والأعمال العملية للماسونية».

Freemasonry: (Character Claims & Practical Workings of)

١- الكنيسة الكاثوليكية: موقف حازم

الكنيسة الكاثوليكية التي كانت أكبر عدو للماسونية، حيث منعت أعضائها من الانضمام إلى المنظمات الماسونية كما ذكرنا من قبل، مستشهدةً بأسباب سياسية ودينية وضحناها بالتفصيل؛ إلى الآن لا تزال تحظر الماسونية، واستندت الاعتراضات التي أثارها الكنيسة الكاثوليكية إلى الادعاء بأن الماسونية تُدرّس دينًا طبيعيًا ديسيًا يتعارض مع عقيدة الكنيسة، ويُصلون لإله خاص بهم<sup>(501)</sup>.. والدين الديستي باختصار: هو الدين الذي يفرض عمومًا الوحي كمصدر للمعرفة الإلهية، ويؤكد أن العقل التجريبي ومراقبة العالم الطبيعي منطقيان وموثوقان وكافيان لتحديد وجود كائن أعلى باعتباره خالق الكون، ويستند فقط إلى الفكر العقلاني دون أي اعتماد على الأديان السماوية أو السلطة الدينية، وأن وجود الله لا يتكشف إلا من خلال الطبيعة<sup>(502)</sup>.

كما ذكرنا، يُسأل الماسونيون قبل قبولهم عما إذا كانوا يؤمنون ب«الكائن الأعلى»، وعن ذلك يقول النقاد المسيحيين إنها مجرد واجهة وهمية، وبعد الترتي في الدرجات العليا يتم إقناعهم ب«بدعة الديسم» سابقة الذكر، وتنحيتهم عن إيمانهم الأصلي<sup>(503)</sup>، ويؤكدون أن الماسونيين المتلاعبين يستخدمون لقب «المهندس الأعلى» كمصطلح محايد ومقبول للجميع، ليخفوا خلاله اتباعهم لإله خاص بهم.

حتى عام ١٩٨٣م، كانت عقوبة الكاثوليك الذين ينضمون إلى الأخوية، هي «الحرمان الكنسي»، ومنذ ذلك العام تغير العقاب وتم استبداله بمنع الجاني من تلقي «القربان المقدس» فقط، وعلى الرغم من هذا التغيير العقابي؛ إلا أن حظر العضوية لم يتغير<sup>(504)</sup>.

واستكمالاً لمواقف الكنيسة الكاثوليكية من الماسونية والمذكورة سابقاً، نرى العداء الطويل بينهما قد امتد لما يقارب ثلاثمائة سنة، وقد أصدرت الكنيسة خلالها أكثر من ٦٠٠ إعلان بابوي ضد الماسونية<sup>(505)</sup>، كان أقدمها من «البابا كليمنت الثاني عشر» في ٢٨ أبريل ١٧٣٨م، وأحدثها من «البابا فرانسيس» في رسالة من مجمع عقيدة الإيمان في ١٣ نوفمبر ٢٠٢٣م، حينما أكد مجدداً عدم توافق الإيمان الكاثوليكي مع الماسونية، وجاءت هذه الرسالة استجابةً لمخاوف أثارها أسقف دوماغوتي في الفلبين بشأن تزايد انضمام الكاثوليك إلى صفوف المحافل الماسونية، والتي تُعتبر أنشطتها غير متماشية مع تعاليم الكنيسة<sup>(506)</sup>.

٢- الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية: موقف حازم

من ناحية أخرى، أعلنت الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية في عام ١٩٣٣م رسمياً، أن كون المرء ماسونياً؛ فهو بمثابة ارتداد عن المسيحية، وإن لم يتب من ذنبه ويُعد؛ لا يستحق «القربان المقدس».. وقد تم تأكيد هذا الموقف بشكل عام في جميع أنحاء الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، حيث اتفق النقد الأرثوذكسي للماسونية مع النسختين الكاثوليكية وبعض طوائف البروتستانتية في قول:

«لا يمكن للماسونية أن تكون متوافقة على الإطلاق مع المسيحية، فهي منظمة سرية تعمل وتُعلم في غموض وسرية ومقدسة»<sup>(507)</sup>.

٣- الطوائف البروتستانتية: مواقف متباينة

تطلب بعض الطوائف البروتستانتية من أتباعها عدم الانضمام إلى المحافل الماسونية، ولكل طائفة منهم رأي متفاوت في سبب المنع وفقاً لنظرتها للماسونية، فمنهم من يقول إنها غير متوافقة مع تعاليم المسيحية، ومنهم من يقول إن الحركة متهممة بعبادة الشيطان<sup>(508)</sup>، ورغم ذلك هناك طوائف أخرى لا تمنع، وسنين هذا التفاوت فيما يلي:

- الموقف المحايد للطوائف البروتستانتية الإنجيلية والحديثة

في الطوائف البروتستانتية التي تثني أتباعها عن الانضمام إلى المحافل الماسونية، والتي تتبع البروتستانتية الإنجيلية أو البروتستانتية الجديدة؛ نتجت إدانات عديدة تجاه الماسونية في العقود الأخيرة فقط؛ لكن إلى الآن لم يتم تنفيذ العديد من هذه الإدانات البروتستانتية؛ ناهيك عن طوائف أخرى التزمت الحياد، كطائفة «المذهب المعمداني الجنوبي» بالولايات المتحدة، التي تعد من أكبر الطوائف المسيحية المعمدانية في العالم، وأكبر طائفة بروتستانتية، وثاني أكبر طائفة مسيحية في الولايات المتحدة، في عام ١٩٩٣م أقر مجلس البعثة المحلية التابع للاتفاقية المعمدانية الجنوبية: أن بعض أجزاء الماسونية غير متوافقة مع المسيحية، بينما يتوافق

البعض الآخر، وخلص إلى أن المشاركة في الماسونية تتوقف على «مسألة الضمير الشخصي»<sup>(509)</sup>.

- الموقف الراض للميثودية (المنهجية المسيحية)

أما من الطوائف البروتستانتية التي أدانت الماسونية: طائفة الميثودية أو المنهجية المسيحية البروتستانتية، التي أسسها «جون ويزلي» في القرن الثامن عشر بالمملكة المتحدة، ثم انتشرت في بريطانيا، ولاحقاً في المستعمرات البريطانية بأمريكا الشمالية من خلال الأنشطة التبشيرية، حتى قام «بي تي روبرتس» بتأسيس الكنيسة الميثودية الحرة لأمريكا الشمالية.

تبنّت هذه الطائفة معارضة قوية ضد الماسونية منذ القدم، فالمؤسس «بي تي روبرتس» نفسه كان معارضاً صريحاً للماسونية في منتصف القرن التاسع عشر، وصرح قائلاً:

«إن إله المحفل ليس إله الكتاب المقدس، فالماسونية ديانة غامضة أو بديلة».

وشجع كنيسته على عدم دعم القساوسة المنتمين للماسونية، وأعلن أن التحرر من الجمعيات السرية هو أحد الحقوق التي تأسست عليها الكنيسة الميثودية الحرة<sup>(510)</sup>.

- الموقف المؤيد من بعض الطوائف البروتستانتية القديمة

سمحت بعض الطوائف البروتستانتية التقليدية القديمة لأعضائها بالانضمام للماسونية، ومن أشهر هذه الطوائف: الكنيسة الإنجيلية اللوثرية في شمال ألمانيا، التي تعترف بالماسونيين بين أعضائها؛ بل وفي بعض الأحيان يعقد الماسونيون احتفالات عامة في كنيسة القديس ميخائيل التاريخية في هامبورغ.

٢- الكنيسة الإنجيلكانية: تحولات في المواقف

أما كنائس الإنجيلكية أو الإنجيلكانية البروتستانتية، فمنذ بداية تأسيس الماسونية، كان العديد من أساقفة إنجلترا ماسونيين، بما في ذلك رئيس الأساقفة نفسه «جيفري فيشر»<sup>(511)</sup>، وحينها لم يرصد سوى عدد قليل من أعضاء الكنيسة التناقض في الالتزام بالمسيحية الإنجيلكانية وممارسة الماسونية في نفس الوقت؛ لكن مع الوصول للعقود الأخيرة، زادت التحفظات حول الماسونية داخل الإنجيلكانية، وظهرت مشاعر تجاهها في نفس رئيس أساقفة كانتربري السابق «روان ويليامز»، الذي أظهر بعض التحفظات حول الطقوس والممارسات الماسونية، لكنه تراجع عن موقفه المعارض فجأة، وبدا ضعفه العلني في عام ٢٠٠٣م عندما اعتذر للماسونيين البريطانيين بعد أن قال إن معتقداتهم غير متوافقة مع المسيحية، وأنه منع تعيين الماسونيين في مناصب عليا في أبرشيته عندما كان أسقف موناوث<sup>(512)</sup>.

الماسونية واليهودية

كما ذكرنا في السياق، في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، واجه اليهود في أوروبا اتهامات بأنهم يتحكمون في الماسونية، وأنها أداة سرية للتأثير اليهودي على العالم، ومن يومها تسببت هذه الاتهامات في تعزيز «نظرية المؤامرة»، وأصبحت مرتبطة بجوانب من العداء لليهود والماسونية، وهذا يستدعي منا طرح

سؤال مهم، خاصةً بعدما اتضح موقف المسيحية والإسلام:

ما هو موقف اليهود تجاه الماسونية؟

من بين جميع الطوائف اليهودية لا توجد أي ممانعة أو تحريم للانضمام للماسونية، ما عدا اليهودية الأرثوذكسية - وخصوصًا الحريديم - ففي اليهودية الأرثوذكسية تعتبر الماسونية متعارضة مع الشريعة اليهودية، حيث رأوا أنها تنطوي على عقائد صهيونية غير يهودية أصيلة، وأنها قد تشكل تهديدًا للممارسات الدينية التقليدية، وسبب تحريمهم الانضمام إليها ليس في حد ذاته مناهضة؛ لكنهم يتبعون في الأساس التزامات دينية صارمة، تحظر عليهم الانضمام إلى أي منظمة علمانية كالصهيونية العالمية وليست الماسونية تحديدًا؛ على عكس اليهودية الإصلاحية أو العلمانية، والتي انضم الكثير من منتميها للماسونية.

مزاعم حول دين ماسوني مستقل

يقول أعداء الماسونية إن الماسونية في حقيقتها الباطنية تتبنى ديانة شيطانية، وأن «العين في رمزها» ليست عين «المهندس الأعظم الماسوني»، لكنها «عين الشيطان»، ومن خلال مبدأ السيطرة على العالم يجعلونها هي الأعلى، والتي ترى كل شيء تحت سيطرتهم كما أمرهم؛ تمهيدًا لظهوره.. وفي الوقت الذي تدّعي فيه الماسونية أنها ليست دينًا وتنفي وجود إله ماسوني منفصل<sup>(513)</sup>، وأن لقب «المهندس الأعظم للكون» يتم استخدامه لإبراز مرجعهم العام فقط؛ تعرضت الماسونية لانتقادات باعتبارها بديلًا عن المعتقد المسيحي، منهم من قال إنها تعبد «لوسيفر» ومنهم من قال «بافومت»، وغيرهم قال «الذجال»؛ بل وتعمق آخرون وقالوا إن إلههم هو الإله الوثني القديم «بعل»، حيث ربط بعض النقاد - خاصة من الدوائر المسيحية المحافظة - عبادة «بعل» كجزء من اتهامها بأنها تحتوي على ممارسات «وثنية» أو تتضمن طقوسًا غامضة، وخاصةً بعد ملاحظة تقديسهم للنجوم والشمس، التي يرون فيها صلة مع رمزية بعل كإله قديم.

يقول المعارضون إن الماسونية تؤدي سرًا صلوات وقرابين وشعائر وما شابه، ل«مهندسهم الأكبر» المزعوم، على سبيل المثال: تقول الموسوعة الكاثوليكية الجديدة إن الماسونية أصبحت منافسة للكاثوليكية من خلال استخدام نفس العناصر الدينية، كالمذابح والصلوات والعبادة ووعد المكافأة أو العقاب في الحياة الآخرة، وغيرها من الشعائر<sup>(514)</sup>.

كذلك يقال إن بعض أنواع الماسونية - خاصةً الطقوس السويدية - مرتبطة بالمسيحية الباطنية، التي تؤمن بأن العقيدة المسيحية الأرثوذكسية مخصصة للجماهير الأكثر بلادة، وأن «المسيحية الحقيقية» تحمل المعرفة السرية المتعلقة بتضحية المسيح على الجلجثة<sup>(515)(516)</sup>.

مرة أخرى تقول طبعة عام ١٩١٧م من الموسوعة الكاثوليكية: إن المفهوم من إشارات المؤلفين الماسونيين أمثال «كلافيل»، و«راجون»، و«بايك»، و«ماكي»؛ أن الرمزية الماسونية متجذرة في عبادة الشمس والقضيب في الديانات الوثنية ما قبل المسيحية، وخاصة الديانة المصرية<sup>(517)</sup>.

كذلك من بين الإشارات الماسونية، رُصد رمز الصليب الوردي في أحد طقوس الماسونية، وصرح

العديد من المؤلفين المسيحيين المناهضين للماسونية، أن الوردية الصليبية والطبيب الإنجليزي والمنجم والقبالي الهرمسي المثير للجدل «روبرت فلود» (١٥٧٤-١٦٣٧م) مؤلف «الفلسفة الخفية»، كان ماسونياً بارزاً، بينما رد الماسونيون على ذلك قائلين لا يوجد دليل يدعم هذا الادعاء.

إله الماسونية

يزعم بعض النقاد المسيحيين -غالبًا ما يكونون من المسيحيين الإنجيليين وجميع الكنائس المسيحية الأرثوذكسية- أن الماسونية تنطوي على «عبادة الشيطان»، وفيما يلي بعض الاقتباسات الأكثر شيوعاً المستخدمة لإثبات الادعاء بأن الماسونيين يعبدون الشيطان مع اختلاف مسمياته:

استحضار لوسيفر

هناك اقتباس يتم تداوله يقول:

«أيها الإمبراطور لوسيفر، سيد وأمير الأرواح المتمردة، أطلب منك أن تترك مسكنك في أي جزء من العالم وتأتي إلى هنا للتواصل معي، أطلب منك باسم الله الحي العظيم، الآب والابن والروح القدس، أن تظهر بدون ضوضاء....» (518).

هذا الاقتباس من كتاب «السحر الأسود» الصفحة ٢٤٤، للشاعر والساحر البريطاني والعالم الصوفي الغامض والباطني الماسوني «آرثر إدوارد وايت» (١٨٥٧-١٩٤٢م)، وقيل إنه ماسوني من الدرجة ٣٣. بينما رد الماسونيون على هذا الادعاء بأن «وايت» لم يؤكد أنه وصل لهذه الدرجة في كتابه، ولم ينضم أبداً إلى الطقوس الاسكتلندية، وأنه كتب هذه الكتاب في عام ١٨٩٨م، قبل انضمامه للماسونية في عام ١٩٠٢م، ووصفوه بأنه مجرد ماسوني مهتم بالسحر؛ حيث كان في نفس الوقت عضواً رفيع المستوى في «النظام الهرمسي للفجر الذهبي»، وهو نظام سحري يعتمد على نموذج نزل مبتدئ مشابه للماسونية (519).

قربان بشرية للوسيفر

اقتباس آخر يقول:

«أعد الروح العظيم لوسيفر، أمير الشياطين، بأنني سأحضر له كل عام روحاً بشرية ليفعل بها ما يخلو له، وفي المقابل يعدني لوسيفر بأن يمنحني كنوز الأرض ويحقق لي كل رغباتي طوال حياتي الطبيعية، وإذا فشلت في إحضار القربان المحدد أعلاه له كل عام، فسوف أتنازل له عن روحي. التوقيع..... (ثم يوقع المستدعى على العهد بدمه)» (520).

هذا الاقتباس من كتاب «التعاليم السرية لكل العصور»، على وجه التحديد في الفصل المعنون ب«السحر والشعوذة الاحتفالية»، للمؤلف والمحاضر والمنجم الصوفي الكندي «مانلي بالمر هول» (١٩٠١-١٩٩٠م) الماسوني من الدرجة الغامضة ٣٣.

رد الماسونيون على هذا الادعاء بأن «هول» رغم أنه كان ماسونياً أيضاً، لكن لم يتم التأكيد على أنه ماسوني

من الدرجة ٣٣ في أي مكان في الكتاب، وقالوا إن الكتاب نُشر في عام ١٩٢٨م<sup>(521)</sup> عندما كان يبلغ من العمر ٢٧ عامًا فقط، بينما تم قبوله في الماسونية عام ١٩٥٤م عندما كان يبلغ من العمر ٥٣ عامًا، وقالوا إن الأهم من ذلك أن الاقتباس تم إخراجُه من سياقه؛ ف«هول» رغم أنه كان عالمًا بالسحر، لم يكن يقصد الماسونية في هذا المقطع؛ فهو فقط كان يلخص كيف يستدعي الساحر روحًا ويعطي مثالًا لكيفية قراءة العهد الشيطاني، حيث كان محاضرًا راسخًا في علم السحر وغيره من العلوم الباطنية في سن العشرين، قبل أن يصبح مؤهلًا ليصبح ماسونيًا.

الطاقة الشيطانية

اقتباس ثالث يقول:

«عندما يعلم الماسوني أن مفتاح المحارب في الساحة هو التطبيق الصحيح لمولد الطاقة الحية، فإنه يكون قد تعلم سر حرفته، فعندما تكون الطاقات المشتعلة للشيطان بين يديه وقبل أن يتمكن من المضي قدمًا والارتقاء، يجب عليه أولاً أن يثبت قدرته على تطبيق هذه الطاقة بشكل صحيح»<sup>(522)</sup>.

هذا الاقتباس من كتاب آخر ل«هول» أيضًا، تحت عنوان «المفاتيح المفقودة للماسونية»، ويظهر في الفصل الرابع المعنون ب«الرفقة»<sup>(523)</sup>.

رد الماسونيون كذلك على أن هذا المقطع أُخرج عن السياق، وقالوا إنه جزء من مناقشة فلسفية أكبر، يمكن قراءتها أيضًا على أنها تعني أن الاستخدام غير السليم ل«الطاقات» يمكن أن يجعل الماسوني نفسه أداة للشيطان، كما أكدوا أنه حتى لو أُخرج عن سياقه، فهو لا يمثل أي اتهام، لأنه -على حد زعمهم- لا يشير إلى عبادة الشيطان في حد ذاته، كما كرروا نفس الكلام السابق، أن هذا الكتاب كُتب قبل أن يصبح الساحر «هول» ماسونيًا.

لوسيفر الطاقة النشطة

هناك اقتباس رابع يقول:

«إن الشيطان لوسيفر، يمثل الطاقة النشطة، أو كما يسميها السيد جولز بايساك: الطاقة الطاردة المركزية للكون بالمعنى الكوني؛ فهو النار، والنور، والحياة، والنضال، والجهد، والفكر، والوعي، والتقدم، والحضارة، والحرية، والاستقلال، وفي الوقت نفسه، هو الألم الذي هو رد فعل لذة الفعل، والموت الذي هو ثورة الحياة، هو الشيطان الذي يحترق في جحيمه الخاص، والذي ينتج عن غضب زخمه الخاص التفكك المتوسع للسديم الذي سيركز في عوالم جديدة»<sup>(524)</sup>.

هذا الاقتباس من العمل الضخم «العقيدة السرية»، للصفوية والمؤلفة الروسية الأمريكية «هيلينا بتروفنا بلافاتسكي» (١٨٣١-١٨٩١م) التي شاركت في تأسيس الجمعية الشيوصوفية كنظام ديني فلسفي في عام ١٨٧٥م.

وعلى الرغم من عدم تكريس «هيلينا» من قبل الماسونية بشكل معلن، لكنها كانت معروفة بعلاقتها

الماسونية وميلها إلى شعاراتها ورمزيتها، ودائمًا تُنسب إليهم فكريًا؛ لذلك كثيرًا ما يُقدم المناهضون هذا الاقتباس كدليل على نفس الأفكار الشيطانية الماسونية.

كالعادة رد الماسونيون بأنها كانت تمثل نفسها لأنها لم تكن ماسونية، وقالوا أيضًا إن هذا المقطع تم إخراجُه من سياقه، وأنها قصدت فقط استخدام الرموز والأنماط في توصيل «العقيدة السرية».

الادعاء بأن لوسيفر هو الله

هناك اقتباس خامس يقول:

«نعم، لوسيفر هو الله، ومن المؤسف أن أدوناي<sup>(525)</sup> هو الله أيضًا، فالقانون الأبدي هو أنه لا يوجد نور بدون ظل، ولا جمال بدون قبح، ولا أبيض بدون أسود، لأن المطلق لا يمكن أن يوجد إلا في صورة إلهين: الظلام والنور، فالظلام (لوسيفر) ضروري للضوء (أدوناي أو يهوه) ليكون بمثابة خصم له، فيما يشبه قاعدة التمثال، وفرامل القاطرة»<sup>(526)</sup>.

هذه مقالة منسوبة للمثير للجدل «ألبرت بايك»، أحد الشخصيات الماسونية البارزة في القرن التاسع عشر، صاحب التأثير الكبير على تطوير الماسونية في الولايات المتحدة والعالم، والذي عمل في عدة أدوار؛ بما في ذلك دوره كقائد في محفل الجنوب في الولايات المتحدة، وكان له تأثير كبير على الطقوس الماسونية الخاصة بالدرجة الغامضة ٣٣، بالإضافة إلى ذلك غالبًا ما يُتهم بترويج أفكار غامضة أو مشبوهة تتعلق بالماسونية و«النظام العالمي الجديد»، سنذكرها لاحقًا.

أما بخصوص هذا الاقتباس المذكور، فقد اتضح أنه ضمن رسالة احتيالية، حينما ادعى المحتال «ليو تاكسيل» أنها من كتابات «ألبرت بايك»، وتم إثبات تزويرها لاحقًا<sup>(527)</sup>.

يعتبر الماسونيون أن هذه الرسالة المزورة هي أعظم الانتصارات التي يستشهدون بها دائمًا، ويضعونها في وجه خصومهم، فما هي «خدعة تاكسيل» أعظم انتصاراتهم؟

خدعة تاكسيل

في وقت انتشار الشائعات حول الماسونية في القرن التاسع عشر، والتي تركز أبرزها حول خلقهم دينًا جديدًا، ظهر الكاتب والصحفي الفرنسي «ماري جوزيف غابرييل أنطوان جوجليم»، المعروف باسم «ليو تاكسيل»، وأعلن تخليه عن الإلحاد والتوقف عن معاداة الكنيسة واعتناقه الكاثوليكية في حوالي عام ١٨٨٤م، ثم زعم أنه سيتكفل بالدفاع عنها ضد الماسونية، وبناءً على ذلك نشر سلسلة من الكتب والمقالات التي زعم فيها أن الماسونية مرتبطة بالشيطنانية، وأنها تتضمن طقوسًا غريبة وعبادة للشيطان؛ وهو ما لاقى قبولًا بين بعض الأوساط الكاثوليكية المتشددة.

من ضمن كتاباته «مغامرات دكتور باتاي»، التي تحكي عن جراح كان يخدم في البحرية التجارية الفرنسية، تمكن من التسلل إلى أوكار الماسونيين ليراقب طقوسهم الشريرة، وقال إن البوذيين والهندوس والروحانيين انضموا إلى الماسونيين في التآمر ضد الكنيسة الكاثوليكية، وكشف «باتاي» عن نظام أكثر سرية

داخل الماسونيين يسمى «البالاديسيت»، الذي يتلقون فيه الأوامر المباشرة من الشيطان في «القُداس الأسود» (528).

أحد أشهر ادعاءاته كان حول كائن يعبد الماسونيون يُدعى «الشيطان بالاديو»، وذكر أن رسوله بين الماسونيين ممثل ماسوني رفيع المستوى يُدعى «فوغان»، وأن القادة الماسونيين البارزين مثل «ألبرت بايك» متورطون في مؤامرات شيطانية، واستشهد برسالته سابقة الذكر.

في عام ١٨٩٧م دعا «تاكسيل» الناس لحضور مؤتمر صحفي في روما بإيطالي، وعد فيه بفضح الحقائق الشيطانية؛ لكن بدلاً من ذلك، أعلن أن كشفه عن الماسونيين كان ملفقاً، وأن غرضه السخرية من الكنيسة الكاثوليكية والماسونيين وخداعهما على حدٍ سواء. وبأسلوب تهكمي شكر رجال الدين الكاثوليك لمساعدته في نشر قصصه التي قال عنها خرافة.

بعد تسع سنوات من الواقعة، أخبر مجلة أمريكية أنه في البداية كان يعتقد أن القراء سيميزون قصصه على أنها «تسلية خالصة وبسيطة»، لأنها غريبة جداً لدرجة يصعب تصديقها؛ ولكن عندما أدرك أنهم صدقوها وأن هناك الكثير من المال الذي يمكن جنيته من نشرها، استمر في ارتكاب الخدعة (529).

رغم هذا التنفيذ، لم يمت الإيثار بـ «فوغان» و «بالاديو» «والبالاديسيت»، وظهر نظام البالاديسيت في فيلم رعب أمريكي عام ١٩٤٣م، باسم «الضحية السابعة»، من إخراج «مارك روبسو» (530).

الرجل الأكثر شراً في العالم

ذكرنا من قبل بشكل عابر (في فقرة طقوس مصرايم - ممفيس)، اسم «أليستر كراولي» (١٨٧٥-١٩٤٧م)، وبصورة أوضح، هو عالم في السحر وفيلسوف باطني ومُنظر ومؤسس لديانة ثيليا، وهي فلسفة روحية أسسها بناءً على كتابه المقدس: «كتاب القانون» (The Book of the Law) في أوائل القرن العشرين، وقدم نفسه كنبى جديد مُكلف بإرشاد البشرية إلى عالم حورس، ثم دعا إلى تبني مبدأ «افعل ما تشاء هذا هو كل القانون» كقانون أساسي لثيليا، زاعماً أنه يتماشى مع إرادة الكون الإلهية، ثم تعمق في السحر الأسود إلى أبعد الحدود، حتى أطلق على نفسه «الوحش العظيم ٦٦٦»، والرجل الأكثر شراً في العالم»، كجزء من شخصيته المثيرة للجدل.

كان «كراولي» ماسونياً نشطاً بـ «محفل يورك» في بريطانيا عام ١٩٠٠م، قبل أن يُعلن انشقاقه بعد ذلك لتأسيس العديد من المشاريع والممارسات السحرية هذه، والتي اعتبرها أكثر تطوراً من الطقوس الماسونية التقليدية، وارتباطه بالماسونية قد جلب لها بعد ذلك سمعة سيئة للغاية، وهو أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت بعض المناهضين يرونها منظمة سحرية خطيرة، حيث طُرح سؤال مفاده:

ما هو دين المنظمة التي تستهوي مثل هؤلاء الأشرار؟ هل اليهودية أو المسيحية أو الإسلام يوافقون على أخوية شخص مُحارب لهم ومدّع للنبوّة مثل «أليستر كراولي»، في السر؟!

لكن رد الماسونيون على هذا الادعاء، بأن جميع المحافل والمنظمات التي انضم إليها «كراولي» وأسسها بعد

انشقاقه، كانت تعتبر غير قانونية ولم نعترف بها<sup>(531)</sup>.

وخلصًا لكل ما ذكرناه:

في حين تنفي الماسونية دائماً ارتباطها بأي دين معين، يرى بعض منتقدي الماسونية أنها طائفة جديدة لها دين ومعبود خاص، بعد أن تناولت تعليقات روحية وحسابات كونية أدت إلى نوع من الانفصال عن الأديان التقليدية، واستقلت بطقوس شبه دينية ومعاني روحانية قد تبدو شبيهة بالديانات الكبرى في بعض الأحيان؛ رغم أنها لا تصرح بذلك بشكل رسمي، وما زالت الاتهامات قائمة حتى هذه اللحظة.

بالإضافة للاتهامات الدينية، كانت الماسونية لفترة طويلة هدفًا لـ«نظريات المؤامرة» التي تؤكد أنها قوة خفية وشريرة، تهدف للسيطرة على العالم وقيادته<sup>(532)</sup>، وهذا ما سنتعرف عليه الآن..

\*\*\*

ينتشر في الأوساط المناهضة للماسونية أن الماسوني ينشأ منذ الصغر على عدم الالتزام الكامل بالوطنية أو الجنسية، وأن ولاءه الأول والأخير يكون دائماً وأبداً للأمة الماسونية.

الولاء للأمة الماسونية

هذه المزاعم متداولة على الرغم من أن التعاليم القديمة للماسونية التي دوّنها «توماس سميث» في «الرسوم التوضيحية للماسونية»، تفرض على أعضائها الولاء للوطن، حيث ورد: «يجب أن تكون في الدولة مواطناً هادئاً ومُسالماً، ومُخلصاً لحكومتك وعادلاً لبلدك، ولا يجوز لك أن تتسامح مع الخيانة أو التمرد، بل يجب أن تخضع بصبر للسلطة القانونية وتتوافق بسعادة مع حكومة البلد الذي تعيش فيه»<sup>(533)</sup>.

وعن تفسير هذه التعاليم، زعمت الموسوعة الكاثوليكية القديمة أن ذلك مجرد إيهام، وقالت إن استنكار الماسونية للخيانة والنهي عنها ليس منهجاً تربوياً لمنع الماسوني من خيانة الوطن، لكن المقصود به النهي عن خيانة الماسوني لأخيه الماسوني في الوطن أو الأمة فقط<sup>(534)</sup>، وأن المثل الماسوني القائل:

«الولاء للحرية يتغلب على جميع الاعتبارات الأخرى»

هو مبرر واضح للتلاعب الماسوني بالألفاظ، من أجل تبرير الخيانة في سبيل حرية الأمة الماسونية<sup>(535)</sup>، فيما يعني أن القوانين والمبادئ الماسونية مطاطة، ومتغيرة التفسير بما يتناسب مع ظروف الزمان والمكان.

لطالما ربط أصحاب «نظريات المؤامرة»، الماسونية بـ«النظام العالمي الجديد» و«المتنورين»، وصرّحوا مراراً وتكراراً بأن الماسونية كمنظمة إما عازمة على الهيمنة على العالم أو أنها تسيطر بالفعل سرّاً على السياسة العالمية، ويعود الادعاء الأقدم بوجود مؤامرة داخل الماسونية لتقويض الأديان والحكومات للسيطرة على العالم، إلى القرن السابع عشر، في «رسالة القس وينتر» سابقة الذكر؛ لكن الادعاء جلجل صداه في القرن التاسع عشر من خلال كتابات المؤلفين المناهضين للماسونية؛ كأعمال البروفيسور الاسكتلندي «جون روبنسون»، من أهمها الكتاب المثير «الأدلة على وجود المؤامرة»، والذي كشف عن تورط «المتنورين» والماسونيين في إشعال الثورة الفرنسية، وأن كل الفوضى والأحداث العشوائية والسلبية التي حدثت في العالم من بعدها كانت من مخططاتهم.. ولدرجة أعلى من المتوقع، تسببت كتابات «روبنسون» في تفشي معاداة الماسونية البروتستانتية في الولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر، ثم تلا ذلك مباشرةً «خدعة تاكسيل» المذكورة سابقاً. وعلى الرغم من اعتراف «تاكسيل» بأن ادعاءاته كانت خدعة؛ إلا أنها تسببت في إطلاق شعاع نور داخل أعماق الماسونية السرية، ولفتت انتباه الجميع ناحية غموضها<sup>(536)</sup>.

كما استشهد المناهضون بكتابات لشخصيات ماسونية بارزة، أشارت إلى نفوذهم بوضوح؛ أبرزهم «ألبرت بايك» سابق الذكر في «خدعة تاكسيل»؛ ذلك الرائد الماسوني الشهير، المتهم بترويج أفكار ماسونية غامضة ومشبوهة، فعلى الرغم من تبرئته من رسالة تمجيد لوسفير، لم يتم تبرئته من بعض الرسائل المحرّضة

على المؤامرة العالمية.

تحريضات ألبرت بايك

من ضمن كتابات بايك التي تعتبر من أسس الفلسفة الماسونية؛ رصد المعارضون تحريضات علنية، أبرزها:

١- إدارة مؤامرة عالمية

هناك ادعاء شائع بين المناهضين للماسونية، أن «بايك» خطط لمؤامرة ماسونية عالمية تهدف إلى السيطرة على حكومات العالم، واستند هذا الادعاء إلى تفسير لنصوص موجودة في كتابه «Morals and Dogma» (الأخلاق والكلاب)، الذي نُشر عام ١٨٧١ م، من أجل شرح العديد من الأفكار الفلسفية التي كانت تعتبر جوهرية في الماسونية، فسّرت بعض النصوص على أنه كان يُحرض على إشعال الحروب الكبرى لتدمير المجتمعات التقليدية، وتمهيد الطريق لسيطرة الماسونيين على الحكومات.

٢ - رسالة بايك إلى الماسونيين الإيطاليين

تشير بعض المصادر إلى أن «بايك» أرسل رسائل سرية عام ١٨٧١ م، إلى القيادي الماسوني الإيطالي وأحد أعضاء الحركة السرية الكاربوناري في شبابه، التي كانت تسعى لتوحيد إيطاليا نسبةً للرؤيا الماسونية، وحاكم الجمهورية الرومانية لفترة قصيرة في ١٨٤٩ م «جوزيبي مازيني» (١٨٠٥ - ١٨٧٢ م). في واحدة من الرسائل التي عُثر عليها، اقترح «بايك» استراتيجية لحروب عالمية تُنفذ من أجل استنزاف القوى الكبرى في العالم وتقسيمها إلى فصائل متناحرة، وبعد فضح محتوى الرسالة، انتشرت ضمن «نظريات المؤامرة» التي كانت شائعة في القرنين التاسع عشر والعشرين وأحدثت ضجيجًا آنذاك، ومن يومها إلى الآن، غالبًا ما يُستشهد بالعالم الماسوني «ألبرت بايك» من قبل المناهضين للماسونية<sup>(537)</sup>. كالعادة رد الماسونيون على هذه المزاعم بأن «بايك» رغم كونه ماسونيًا بارزًا، لم يكن متحدثًا باسم الماسونية، وكان أيضًا مثيّرًا للجدل بين الماسونيين بشكل عام، وأن كتاباته تمثل رأيه الشخصي فقط. وهنا نطرح سؤالًا مهمًا هل مفهوم «النظام العالمي الجديد» ظهر لأول مرة على يد الماسوني البارز: «ألبرت بايك»؟

الاستخدام الأقدم للمصطلح

مصطلح «النظام العالمي الجديد» (NWO)، هو مصطلح يتم استخدامه على نطاق واسع في الكثير من «نظريات المؤامرة»؛ خاصةً التي تؤمن بوجود نخبة قوية تملك حكومة عالمية واحدة استبدادية تقود العالم سرًا.. وفي هذا السياق، زُعم أن العديد من الشخصيات التاريخية والمعاصرة المؤثرة، هي جزء من عصابة سرية تعمل من خلال العديد من المنظمات الظاهرية لتنظيم أحداث سياسية واقتصادية مهمة، كخطوات في مؤامرة مستمرة لتحقيق الهيمنة العالمية<sup>(538)</sup>، والماسونية إلى جانب «المتنورين» من أبرز المتهمين.

مفهوم «النظام العالمي الجديد» في حد ذاته ليس من اختراع «ألبرت بايك»، فمع بدايات القرن التاسع عشر تناوله أيضًا الكثيرون، بما فيهم العديد من علماء «نهاية العالم المسيحي»<sup>(539)</sup>، الذين تنبأوا بمؤامرة عالمية لفرض هيكل حكم استبدادي للنظام العالمي الجديد، باعتباره تحقيقًا للنبوءات حول «نهاية الزمان» في الكتاب المقدس، المذكورة في سفر حزقيال وسفر دانيال، ونبوءة الزيتون الموجودة في أناجيل متى ومرقس ولوقا<sup>(540)</sup>، وزعم هؤلاء العلماء أن الأشخاص الذين عقدوا صفقة مع الشيطان لكسب الثروة والسلطة، أصبحوا يبادق في لعبة شطرنج كبيرة لتحريك البشرية إلى قبول حكومة عالمية تركز على الأسس الروحية لدين عالمي توفيقى جديد.

بعد رسالة «بايك» ل«مازيني» بست سنوات فقط، ظهر مقترح خطير لإعادة هيكلة العالم.

مقترح المائدة المستديرة للعالم

خلال النصف الثاني من «القرن الإمبراطوري» لبريطانيا (بين عامي ١٨١٥ و ١٩١٤م)، برز النشاط الماسوني لشاب إنجليزي اسمه «سيسيل رودس» (١٨٥٣-١٩٠٢م)، بعدما انضم ل«محفل أبسولوم رقم ٤٦» التابع ل«المحفل الكبير لإنجلترا» في أوائل شبابه وأثناء دراسته في أكسفورد، وخلال عضويته اعتبر «رودس» أن الماسونية قد تكون أداة مهمة لدعم رؤيته الخاصة بتوسيع الإمبراطورية البريطانية، التي كان يرى فيها وسيلة لنشر الحضارة وفقًا لفلسفته الشخصية؛ لذلك دعا إلى إعادة ضم الإمبراطورية البريطانية للولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تابعة لها قبل الاستقلال، وتحويلها إلى «اتحاد إمبراطوري»، من أجل تحقيق قوة عظمى وسلامًا عالميًا دائمًا. ومن خلال وصيته الأولى التي كتبها عام ١٨٧٧م في سن ٢٣ عامًا، أعرب عن رغبته في تمويل جمعية سرية منبثقة من الماسونية (تُعرف باسم جمعية المنتخبين) من شأنها أن تعزز هذا الهدف، حيث قال:

«يجب إنشاء وتعزيز وتطوير جمعية سرية، يكون هدفها الحقيقي هو توسيع الحكم البريطاني في جميع أنحاء العالم، وإكمال نظام الهجرة من المملكة المتحدة، واستعمار الرعايا البريطانيين لجميع الأراضي التي يمكن فيها الحصول على وسائل العيش بالطاقة والعمل والمغامرة، وخاصة احتلال المستوطنين البريطانيين لكامل قارة إفريقيا، والأرض المقدسة، ووادي الفرات، وجزر قبرص وكانديا (كريت)، وكامل أمريكا الجنوبية، وجزر المحيط الهادئ التي لم تمتلكها بريطانيا العظمى حتى الآن، وكامل أرخبيل الملايو، وساحل الصين واليابان، والاستعادة النهائية للولايات المتحدة الأمريكية كجزء لا يتجزأ من الإمبراطورية البريطانية، وتدشين نظام التمثيل الاستعماري في البرلمان الإمبراطوري الذي قد يميل إلى دمج الأعضاء المنفصلين للإمبراطورية، وأخيرًا تأسيس قوة عظيمة تجعل الحروب مستحيلة، وتعزز المصالح الأفضل للإنسانية»<sup>(541)</sup>.

في عام ١٨٩٠م، وبعد مرور ثلاثة عشر عامًا على وصيته الأولى، أصبح «سيسيل» رجل أعمال وسياسيًا بارزًا؛ بل وأصبح رئيسًا لوزراء مستعمرة الكاب الإفريقية، وخطط وروج لفكرة مد خط حديدي من الكاب إلى القاهرة، ليقطع إفريقيا من الجنوب إلى الشمال بالكامل، من ضمن أحلامه لرؤية اليوم الذي

تسيطر فيه بريطانيا على جميع أنحاء إفريقيا.

حينها زاد شغفه تجاه فكرته التي سُميت بـ«المائدة المستديرة»، فنادى بها زاعماً أن تأسس إنجلترا في كل مكان، وتوحيد لغة واحدة لكل العالم؛ سيؤديان في نهاية المطاف إلى وقف جميع الحروب، وقال مجدداً إن الشيء الوحيد الممكن لتنفيذ هذه الفكرة هو «جمعية سرية» تحت مراقبة الماسونية، تمتص تدريجياً ثروات العالم، وتكرس نفسها لمثل هذا الهدف<sup>(542)</sup>.

في القرن العشرين

خلال فترة ما بين الحربين العالميتين في القرن العشرين، ظهرت مزاعم تقول إن «المتنورين» بعد اضطهادهم، استمدوا قوتهم من جديد، وتكاتفوا مع اليهود الماسونيين، لدعم الرأسمالية المالية وتنفيذ مخطط تقسيم العالم وحكمه؛ لذلك اجتذبت الماسونية انتقادات وقمعاً أكبر من اليمين المتطرف سياسياً تارة (على سبيل المثال: ألمانيا النازية)<sup>(543)</sup>، واليسار المتطرف تارة أخرى (على سبيل المثال: الدول الشيوعية السابقة في أوروبا الشرقية)<sup>(544)</sup>.

وفي وقت لاحق، ظهرت مزاعم جديدة تقول إن بعض الجمعيات الأخوية الجامعية كـ(الجمجمة والعظام)، ونوادي السادة (النادي البوهيمي)، ومراكز البحوث (مجلس العلاقات الخارجية، اللجنة الثلاثية) أعضاءهم من الطبقة العليا الأمريكية، وأن جميع هذه الجمعيات مجرد واجهة تعمل مع الماسونية لإنشاء «نظام عالمي جديد»، من خلال حكومة عالمية واحدة في كنفهم<sup>(545)</sup>.

دعمت الماسونية تشكيل المنظمات الحكومية الدولية مثل «عصبة الأمم» في عام ١٩٢٠م، التي أصبحت «الأمم المتحدة» في عام ١٩٤٥م، ومنظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) في عام ١٩٤٩م، إلى جانب الأنظمة الدولية مثل «نظام بريتون وودز» والاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة (الجات)، التي تم تنفيذها بزعم الحفاظ على توازن القوى التعاوني وتسهيل المصالحة بين الدول لمنع احتمال نشوب صراع عالمي آخر، وكل هذا صب في النهاية في بوتقة تشكيل العالم الجديد الذي نعيشه الآن.

وخلال القرن العشرين، استخدم سياسيون مثل «توماس وودرو ويلسون» (١٨٥٦ - ١٩٢٤م) الرئيس الثامن والعشرين للولايات المتحدة، والماسوني «ونستون تشرشل» (١٨٧٤ - ١٩٦٥م) رئيس الوزراء الأسبق للمملكة المتحدة، مصطلح «النظام العالمي الجديد»؛ للإشارة إلى فترة جديدة من التاريخ تتميز بتغيير جذري في الفكر السياسي العالمي، وفي توازن القوى العالمية بعد الحربين العالميتين<sup>(546)</sup>.

حركة العصر الجديد

في كتابه الصادر عام ١٩٢٨م بعنوان «المؤامرة المفتوحة»، روج الكاتب البريطاني «إتش جي ويلز» لما يُعرف بالـ«النزعة الكوسموبوليتانية»، التي تعني أن جميع البشر أعضاء في مجتمع واحد، وتؤمن بأن البشر يمكنهم ويجب عليهم أن يكونوا مواطنين عالميين في مجتمع عالمي، ثم عرض مقترحاً لثورة عالمية وعقل عالمي لإنشاء دولة عالمية واحدة واقتصاد مخطط<sup>(547)</sup>.

ومع الوصول لعام ١٩٤٠م، ظهرت الشخصية المثيرة للجدل «أليس بيلي»، عالمة الغيبيات البريطانية، وأحد أهم أعضاء «الجمعية الثيوصوفية»، التي تُعتبر جزءًا من تيار غامض يتوافق مع الفلسفة الماسونية في اهتمامه بالرموز القديمة والبحث عن الحكمة الروحية، و«أليس» نفسها تعتبر أحد مؤسسي «حركة العصر الجديد»، التي نمت بسرعة في المجتمع الغربي خلال أوائل السبعينيات، تلك الحركة التي اعتمدت مجموعة من الممارسات والمعتقدات الروحية والفلسفية، وجمعت بين عناصر من الديانات الشرقية والماسونية والفكر الباطني الغربي، مع التركيز على الروحانية الذاتية والشفاء البديل والتنمية الشخصية، وغالبًا ما تشمل التأمل والتنجيم والسعي وراء المعرفة الميتافيزيقية.

في عام ١٩٤٠م خرجت النجمة «أليس بيلي» على العالم بتوقع مثير قبل خمس سنوات من وقوعه، وهو الانتصار النهائي للحلفاء في الحرب العالمية الثانية على قوى المحور (الذي حدث في عام ١٩٤٥) وقالت إن الحلفاء بعد النصر سيأسسون «نظامًا عالميًا جديدًا» سياسيًا ودينيًا، ورأت أن الحكومة العالمية الفيدرالية هي تتويج ل«المؤامرة المفتوحة» التي روج لها «ويلز»، لكنها جادلت بشكل إيجابي كونها حكومة توحيدية، لأنها كانت موجهة من قبل سادة «الحكمة القديمة الثيوصوفيين»، الذين عزموا على إعداد البشرية للمجيء الثاني الصوفي للمسيح وفجر عصر الدلو.. وعصر الدلو: هو مفهوم فلكي وروحي، يرتبط بفكرة دخول البشرية مرحلة جديدة من الوعي والانسجام العالمي، بناءً على حركة الأبراج الفلكية، ويُعتقد أن هذا العصر يجلب قيمًا مثل «الابتكار والحرية والمساواة»، وهو رمز في «حركة عصر الجدي» للتحول الثقافي والروحاني.. وفي علم التنجيم: عصر الدلو، إما العصر الفلكي الحالي أو القادم، ويزعم المنجمون أن العصر الفلكي هو نتاج للدوران التقدمي البطيء للأرض، ويستمر لمدة ٢١٦٠ عامًا في المتوسط<sup>(548)</sup>.

ووفقًا لتنبؤ «بيلي»، هناك جماعة من سادة الحكمة القديمة تُسمى جماعة «الأخوة البيضاء العظيمة»، هم من الكائنات المكتملة ذات القوة العظيمة لنشر التعاليم الروحية من خلال البشر المخترين، يعملون على «الطائرات الداخلية»<sup>(549)</sup> للإشراف على الانتقال إلى «النظام العالمي الجديد» بواسطة جمعية سرية، وقالت: «في الوقت الحالي، لا يعرف أعضاء هذا التسلسل الروحي إلا عددًا قليلًا من العلماء الغامضين الذين يتواصلون معهم عن بُعد، ولكن مع زيادة الحاجة إلى مشاركتهم الشخصية في الخطة؛ سيكون هناك تخارج لتسلسل الروحي، وسيعرف الجميع وجودهم على الأرض»<sup>(550)</sup>.

تعرضت كتابات المؤلفة «أليس بيلي» من «العصر الجديد» لإدانة شديدة من قبل منظري المؤامرة من اليمين المسيحي، وساهمت «كتابات بيلي»، إلى جانب كتاب الكاتبة الأمريكية «مارلين فيرجسون» المعروف باسم «مؤامرة الدلو» الصادر عام ١٩٨٠، في انتشار نظرية المؤامرة؛ باعتبار «حركة العصر الجديد» في الحقيقة حركة «لدين الزائف» سيتم اعتماده محل المسيحية في «النظام الماسوني العالمي الجديد»<sup>(551)</sup>.

الحرب الباردة

خلال فترة «الخوف الأحمر» أو الخوف من التمدد الشيوعي، تبنى المُحرِّضون الأمريكيون من اليمين

العلماني والمسيحي (المتأثرون إلى حد كبير بعمل منظر المؤامرة الكندي ويليام غاي كار)، مخاوف كبيرة تجاه الماسونيين والمنتورين واليهود؛ باعتبارهم القوى الدافعة وراء «مؤامرة شيوعية دولية»، وبرروا مخاوفهم على أن «الشيوعية الملحدة» تتخفى في شكل حكومة عالمية جماعية بيروقراطية، وأصبح هذا الهاجس هو أحد الأفكار الأساسية لليمين السياسي في الولايات المتحدة، ثم في عام ١٩٥٠م، صرح «جيمس واربورج» (الذي شغل منصب المستشار المالي للرئيس فرانكلين د. روزفلت) أمام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكي قائلاً:

«سوف تكون لدينا حكومة عالمية، سواء أحببنا ذلك أم لا، والسؤال هو فقط ما إذا كانت الحكومة العالمية ستتحقق بالموافقة أم بالغزو!» (552).

في ستينيات القرن العشرين، نشرت جماعات المناصرة الشعبوية اليمينية ذات النظرة المحافظة القديمة للعالم والمناهضة للعوالم، عددًا كبيرًا من نظريات المؤامرة التي زعمت من خلالها أن العالم تحت سيطرة عصابة من الشركات الدولية والمصرفيين الجشعين والسياسيين الفاسدين الذين يتمون في الغالب للماسونية، وكشفت عن عزمهم استخدام «الأمم المتحدة» كوسيلة لإنشاء «حكومة عالمية واحدة»، وصورتهم أنهم مجرد واجهة لـ «المائدة المستديرة» التي تُموّلها «عصابة مصرفية دولية» يُفترض أنها كانت تتآمر منذ أواخر القرن التاسع عشر لفرض «نظام عالمي جديد».. وطفّت على السطح شكوك تقول إن المصرفيين الدوليين الذين أسسوا بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي عام ١٩١٣ م، شكلوا لاحقًا مجلس العلاقات الخارجية في عام ١٩٢١ م كـ «حكومة ظل تقود العالم»، وحينها تم تفسير مصطلح «المصرفيين الدوليين» على أنه إشارة إلى «مؤامرة مصرفية ماسونية تنويرية يهودية دولية» مفترضة، خططت لها «عائلة روتشيلد» (553)، لذلك خشي منظرو المؤامرة المناهضون للعوالم من أن يخطط المصرفيون الدوليون لتقويض استقلال الولايات المتحدة في نهاية المطاف، من خلال إخضاعها للبنوك الدولية (554).

من هي عائلة روتشيلد اليهودية؟

هي عائلة نشأت في القرن الثامن عشر بمدينة فرانكفورت بألمانيا، وكان اليهودي «ماير أمشيل روتشيلد» (١٧٤٤-١٨١٢م) مؤسس العائلة، هو الذي أسس الثروة من خلال العمل المصرفي والمالي، ثم توسّع أبنائه الخمسة إلى خمس دول أوروبية رئيسية (ألمانيا، إنجلترا، فرنسا، النمسا، وإيطاليا)، حيث أسسوا بنوكًا ومؤسسات مالية ضخمة أقرضت الحكومات في الكثير من الأوقات، وأصبحت هي الأعمدة الرئيسية في النظام المالي الأوروبي كله، حيث اشتهرت العائلة اليهودية بتأسيس شبكة مصرفية قوية كانت من بين أولى المؤسسات.

- المزاعم والادعاءات

بسبب ثروتها الكبيرة وارتباطها بالأحداث السياسية والاقتصادية الكبرى، أصبحت «عائلة روتشيلد» موضوعًا للعديد من نظريات المؤامرة، من أبرزها ارتباطها بالماسونية، ويربط بعض النقاد تأثيرها

الاقتصادي بمفاهيم «الحكومة الخفية» أو «النظام العالمي الجديد»، كما تُتهم العائلة بالتحكم في البنوك المركزية العالمية.

وكما وُجّهت الاتهامات لعائلة «روتشيلد» اليهودية، كتب «لاري ماكدونالد»، الرئيس الثاني لجمعية جون بيرش، وعضو الحزب الديمقراطي المحافظ في مجلس النواب الأمريكي الذي مثل الدائرة الكونجرسية السابعة في جورجيا، مقدمة لكتاب من تأليف الكاتب الأمريكي المحافظ «فريدريك غاري ألين» عام ١٩٧٦م، بعنوان «ملف روكفلر»، حيث ادّعى أن «عائلة روكفلر» وحلفاءهم أيضًا، كانوا مدفوعين برغبة في إنشاء «حكومة عالمية واحدة» تجمع بين «الرأسمالية الفائقة» والشيوعية، لتكون تحت سيطرتهم الكاملة<sup>(555)</sup>.

من هي عائلة روكفلر البروتستانتية؟

«عائلة روكفلر» المسيحية المعمدانية البروتستانتية، هي واحدة من أشهر العائلات في الولايات المتحدة، ارتبط اسمها بالثروة الضخمة والنفوذ السياسي والاقتصادي على مدار القرن العشرين، حيث اشتهرت العائلة بتأسيس الشركات الكبرى، مما جعلها رمزًا للقوة الاقتصادية الأمريكية. ويُعتبر «جون دافيسون روكفلر» (١٨٣٩-١٩٣٧م) هو المؤسس الأول لثروة العائلة، وهو أحد أبرز رجال الأعمال في تاريخ الولايات المتحدة، ومن أشهر شركاته «ستاندرد أويل»، واحدة من أكبر الاحتكارات في تاريخ الولايات المتحدة، حيث سيطرت على سوق النفط بشكل شبه كامل، وفي عام ١٩١١م أجبرت المحكمة العليا الأمريكية الشركة على الانقسام إلى عدة شركات صغيرة بسبب قوانين مكافحة الاحتكار؛ ولكن بدلًا من أن يؤدي ذلك إلى إضعافهم، زاد من ثروة العائلة، حيث أصبحت تمتلك حصصًا في الشركات الجديدة التي ربحت بشكل فائق.. كما استثمرت العائلة في قطاعات متعددة، منها: البنوك والعقارات والتعدين والنقل، ولعبت العائلة دورًا كبيرًا في دعم الاقتصاد الأمريكي وتمويل المشاريع الكبرى.

- المزاعم والادعاءات

مثل «عائلة روتشيلد»، تعرضت «عائلة روكفلر» للكثير من نظريات المؤامرة، التي تزعم أنها جزء من «الحكومة الخفية» أو أنها تسعى للسيطرة على الاقتصاد العالمي، والسبب في ذلك ثروتهم الضخمة ونفوذهم التاريخي.

\* ملحوظة: على إثر هذه الاتهامات، كتب «ديفيد روكفلر» (بتريرك عائلة روكفلر من عام ٢٠٠٤ حتى وفاته في عام ٢٠١٧م)، في سيرته الذاتية التي صدرت عام ٢٠٠٢م قائلاً:

«على مدى أكثر من قرن من الزمان، استغل المتطرفون الأيديولوجيون من كلا طرفي الطيف السياسي، حوادث حظيت بتغطية إعلامية واسعة النطاق؛ لمهاجمة عائلة روكفلر؛ بسبب النفوذ الهائل الذي يزعمون أننا نمارسه على المؤسسات السياسية والاقتصادية الأمريكية؛ بل إن البعض يعتقدون أننا جزء من عصابة

سرية تعمل ضد المصالح الفضلى للولايات المتحدة، ويصفونني وعائلتي بأننا «أمميون» ونتأمر مع آخرين في مختلف أنحاء العالم لبناء بنية سياسية واقتصادية عالمية أكثر تكاملاً، عالم واحد إذا صح التعبير.. وإذا كانت هذه هي التهمة، فأنا مذنب، وأنا فخور بذلك»<sup>(556)</sup>.

ورجوعاً لما نسرده، من منطلق المزاعم السابقة كتب «غاري ألين» كتبه الشهيرة: «لا أحد يجرؤ على تسميته مؤامرة» (١٩٧١)، و«روكفلر: حملة من أجل النظام العالمي الجديد» (١٩٧٤)، و«قُل لا للنظام العالمي الجديد» (١٩٨٧)، وقال خلالها: إن مصطلح «النظام العالمي الجديد» يستخدمه نخبة عالمية سرية مكرسة للقضاء على سيادة دول العالم.

بعد الحرب الباردة

مع سقوط شيوعية الاتحاد السوفييتي في بداية التسعينيات، بدا وكأن الوحش المعلق عليه نظرية المؤامرة قد تلاشى، فتحوّلت المؤامرة من الشيوعية الخفية إلى العولمة، وأصبح أنصار العولمة هم العدو الجديد، وانتقلت إليهم الاتهامات بتنفيذ «حكومة عالمية جماعية موحدة بشكل عام»، يسيطر عليها في النهاية قلة لا يمكن المساس بها من المصرفيين الدوليين اليهود الماسونيين والسياسيين الفاسدين والشركات الخادمة لهم، واستمرت الادعاءات التي تقول: هم داعمو الأمم المتحدة نفسها<sup>(557)</sup>.

وقف الرئيس الأمريكي الأسبق «جورج بوش الأب»، (الذي كان عضواً في محفل سكول آند بونز)، خلال جلسة مشتركة للكونجرس الأمريكي في ١١ سبتمبر ١٩٩٠م، وألقى خطاباً تحت عنوان «نحو نظام عالمي جديد»، وصف خلاله أهدافه في مجال الحكم العالمي بعد الحرب الباردة، بالتعاون مع دول ما بعد الاتحاد السوفييتي، وقال:

«كان العالم الذي عرفناه منقسماً، عالم الأسلاك الشائكة والكتل الخرسانية والصراعات والحرب الباردة، والآن نستطيع أن نرى عالماً جديداً يلوح في الأفق، عالم تلوح فيه الآفاق الحقيقية لنظام عالمي جديد.. وعلى حد تعبير ونستون تشرشل (نظام عالمي حيث تحمي مبادئ العدالة واللعب النظيف والضعفاء من الأقوياء).. عالم تستعد فيه الأمم المتحدة - بعد أن تحررت من جمود الحرب الباردة - لتحقيق الرؤية التاريخية لمؤسسيها، عالم تجد فيه الحرية واحترام حقوق الإنسان موطناً لها بين جميع الأمم»<sup>(558)</sup>.

ندد الكثير من التقدميين بهذا الخطاب، واعتبروا أن «النظام العالمي الجديد» هو تبرير سخيف للطموحات الإمبريالية الأمريكية في الشرق الأوسط آنذاك، وفي الوقت نفسه رفض المحافظون أي ترتيبات أمنية جديدة، وعبروا عن مخاوفهم من إحياء نشاطات الأمم المتحدة، وفسرت الجماعات المسيحية الأصولية كلمات «بوش» على أنها إشارة إلى نهاية العالم كالمعتاد<sup>(559)</sup>.

من الكتب الأكثر مبيعاً في القرن العشرين، كتاب «النظام العالمي الجديد» الصادر عام ١٩٩١م، للواعظ التلفزيوني الأمريكي «بات روبرتسون»، الذي أصبح من بعده أبرز ناشر مسيحي لنظريات المؤامرة في التاريخ الأمريكي الحديث.. يصف الكتاب مزاعم تقول: إن «وول ستريت»، و«نظام الاحتياطي

الفيدرالي»، و«مجلس العلاقات الخارجية»، و«مجموعة بيلدربيرج»، و«اللجنة الثلاثية»، جميعها تحرك الأحداث من وراء الكواليس، للدفع قُدماً تجاه «حكومة عالمية للمسيح الدجال»<sup>(560)</sup>.

انتشرت الأفكار من الولايات المتحدة إلى غالبية دول العالم، وتم التفكير بأثر رجعي في الأحداث الماضية وتحليلها من جديد تحت هذا المبدأ، حتى ظهرت تفسيرات جديدة لأحداث مثل: «تدبير اغتيال كينيدي» و«علماء الأجسام الطائرة المجهولة»، وازدهرت نشاطات منظرّي «الأرض المفقودة» والكثير من نظريات المؤامرة بما فيها الماورائيات، ومنذ منتصف تسعينيات القرن العشرين حتى أوائل القرن الحادي والعشرين، تم تكريس المفهوم بشكل عالمي؛ خاصةً بعدما لعبت برامج وأفلام الإثارة والمؤامرة الأمريكية أيضاً دوراً في تعريف الجمهور العالمي العام ب«نظريات المؤامرة» سواء الهامشية أو البارزة، وأهمها بلا منازع النظرية المتعلقة ب«النظام العالمي الجديد»<sup>(561)</sup>.

القرن الحادي والعشرين والأزمة المالية العالمية

مع بداية القرن الحادي والعشرين، وتحديدًا خلال الأزمة المالية العالمية التي وقعت في عامي ٢٠٠٧-٢٠٠٨م، استخدم العديد من السياسيين والخبراء مصطلح «النظام العالمي الجديد»، في دعوتهم إلى إصلاح شامل للنظام المالي العالمي، مطالبين بتطبيق «نظام النقد الدولي»، كمجموعة من القواعد والاتفاقيات والمؤسسات الداعمة المتفق عليها دولياً، والتي تسهّل التجارة الدولية والاستثمار عبر الحدود، وإعادة تخصيص رأس المال بشكل عام بين الدول التي لديها عملات مختلفة، مع مراعاة الأسواق الناشئة وقتها مثل الصين والهند.

أعدت هذه التصريحات تنشيط «نظرية المؤامرة للنظام العالمي الجديد».. وما زاد من إثارة الجدل والإيحاء بأن الأزمة العالمية كانت مفتعلة من خلف الكواليس؛ ما صرّح به مُضيف البرامج الحوارية «شان باتريك هانيتي» في برنامجه المعروف باسم «عرض شان هانيتي» على قناة «فوكس نيوز»، قائلاً:  
«منظرو المؤامرة كانوا على حق»<sup>(562)</sup>.

تداول العالم كله هذه الكلمات، ووصل هذا التصريح لأعماق المجتمعات الغربية، وكان نتاج ذلك، إيقاف السلطات الأمريكية للبرنامج على الفور.

على إثر المزاعم حول افتعال الأزمة المالية العالمية؛ أصدر المخرجان السينمائيان الأمريكيان «لوك ماير» و«أندرو نيل» فيلم «النظام العالمي الجديد» في عام ٢٠٠٩م، وهو فيلم وثائقي عبّر خلاله منظرو المؤامرة عن مخاوفهم كاملةً، وعارضوا بشدة ما يعتبرونه نظاماً عالمياً جديداً ناشئاً<sup>(563)</sup>.. ومع حصد الفيلم شعبية كبيرة، في الوقت ذاته نال استحسان النقاد، كما أدى الانتشار المتزايد لنظريات المؤامرة وشعبيتها إلى إنشاء تحالف بين المحرضين اليمينيين وبعض مغني الراب اليساريين؛ مما يوضح كيف يمكن لنظريات المؤامرة المناهضة للنخبوية أن تخلق حلفاء سياسيين غير محتملين<sup>(564)</sup>.

مفهوم النظام العالمي حالياً

بالتوازي، طيلة هذه السنين كان يُزج باسم «الماسونية»؛ سواء بقيادتهم للشيوعية الملحدة، أو العولمة بعد ذلك، أو أنها هي ذاتها التي تحرك المصرفيين الدوليين اليهود.. ولعقود طويلة صوّرت على أنها تملك أجندة سياسية خفية، غرضها الدفع لإحداث «نظام عالمي جديد» يعمل وفقاً للمبادئ الماسونية، ليحكمه الماسونيون فقط<sup>(565)</sup>. وإلى الآن يُنظر إلى الماسونية بعدم ثقة حتى في بعض الديمقراطيات الحديثة كالمملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا، وما زالت تقارير وسائل الإعلام الشعبية عنها سلبية<sup>(566)</sup>.

إلى الآن، يتداول معارضو الماسونية الغربيون التحليلات والتفسيرات التي تُكمل ادعاءات الماضي، بعدما تركز في مفهومهم أن الآباء الماسونيين المؤسسين للولايات المتحدة، مثل «جورج واشنطن» و«بنجامين فرانكلين»؛ تعمدوا دمج التصاميم الهندسية الماسونية المقدسة في المجتمع الأمريكي، خاصة في الختم العظيم للولايات المتحدة، والدولار الأمريكي، وهندسة المعالم البارزة في أبرز معالم الولايات المتحدة، كجزء من خطتهم الرئيسية لقيادة العالم من الولايات المتحدة<sup>(567)</sup>.

رد الماسونيون مرارًا وتكرارًا على هذه الاتهامات وصرحوا بأنها باطلة، وقالوا: لا توجد معلومات موثقة تثبت العضوية الماسونية للرجال المسؤولين عن تصميم «الختم العظيم» للولايات المتحدة<sup>(568)</sup>؛ بينما أكد منظرو المؤامرة أن هذه العناصر استُخدمت عن قصد، لأن المصممين في ذلك الوقت كانوا على دراية بالرموز الماسونية المنتشرة آنذاك، كما كانت هذه الرموز مستخدمة أيضًا من الجماعات الأخرى الباطنية، فلماذا لم ينأوا بأنفسهم ووطنهم عن هذه الشبهات<sup>(569)</sup>.

من ناحية أخرى رد الماسونيون على العبارة اللاتينية المثيرة «novus ordo seclorum»، التي تظهر على ظهر الختم العظيم منذ عام ١٧٨٢م وعلى ظهر ورقة الدولار منذ عام ١٩٣٥م، على أنها «النظام الجديد للعصور»، ومعناها من وجهة نظرهم بداية العصر التي أصبحت فيه الولايات المتحدة دولة قومية مستقلة، مستنكرين تفسيرها على أنها «النظام العالمي الجديد»<sup>(570)</sup>، بينما لم يقتنع المعارضون بهذا الرد حتى الآن.

#### المؤامرة الماسونية الصهيونية

جميعنا سمع على الأقل عن «بروتوكولات حكماء صهيون»، الوثيقة المثيرة التي نُشرت لأول مرة في روسيا في أواخر القرن التاسع عشر، وقيل إنها تسرد خطة سرية وضعها مجموعة من زعماء اليهود بهدف السيطرة على العالم، من خلال التخطيط لإضعاف الدول ونشر الفساد والفتن لتحقيق الأهداف الصهيونية.

#### بروتوكولات حكماء صهيون

ظهرت الوثيقة لأول مرة في روسيا عام ١٩٠٣م، لتزعم بوجود مؤامرة صهيونية ماسونية عالمية لتحقيق الهيمنة على العالم، وقيل إن نصها عبارة عن محاضر الاجتماعات السرية لمجموعة من العقول اليهودية المدبرة، والتي استولت على الماسونية وتآمرت لحكم العالم نيابة عن جميع اليهود؛ لأنهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار<sup>(571)</sup>. وانتشرت الوثيقة من روسيا إلى كل أوروبا، وأعيد طبعها مرات عديدة خلال القرن العشرين، وسرعان ما أصبحت مادة خصبة لإثبات المؤامرات الصهيونية.

أجريت تحقيقات متعددة حول «بروتوكولات حكماء صهيون»، بعضها قالت حقيقية، وبعضها قالت مزيفة وملفقة؛ أشهرها محاولة صحيفة «تايمز» البريطانية دحضها في عام ١٩٢١م والإعلان عن أنها ليست حقيقية، وتم التبرير بأن الكاتب والناشط السياسي الروسي الفرنسي «ماتفي جولوفينسكي»، هو الذي فبرك النص لأوكهانا (الشرطة السرية للإمبراطورية الروسية)، كمحاولة لعمل دعاية مضادة للثورة، قبل قيام الثورة الروسية عام ١٩٠٥م. وقالت التبريرات إنها استندت جزئياً إلى كتاب خيالي ساخر للكاتب الفرنسي «موريس جولي»، وهو كتاب «حوار في الجحيم بين ميكافلي ومونتسكيو»، كتبه عام ١٨٦٤م بغرض الهجوم على «نابليون الثالث» ملك فرنسا، والإشارة إلى مخططات خيالية للسيطرة على العالم<sup>(572)</sup>، وفي وقت لاحق، اعتبرت بعض المحاكم الدولية المتعاطفة مع اليهود ضد اضهادات «هتلر»، مادةً دعائية ضد السامية.

تم تفسير البروتوكولات على أنها تحتوي على العديد من موضوعات المؤامرة الماسونية اليهودية، وكان الغرض المقصود من نشر البروتوكولات -سواء أكانت ملفقة أم حقيقية- هو أن البشرية إذا قامت بإزالة طبقات المؤامرة الماسونية، ستجد بعد المتنورين، النواة اليهودية الفاسدة<sup>(573)</sup>.

كانت البروتوكولات مسؤولة عن تغذية العديد من أنواع الهستيريا الجماعية المعادية للسامية والمعادية للماسونية في القرن العشرين، وكانت مؤثرة في تطوير بعض نظريات المؤامرة؛ بما في ذلك بعض نظريات «النظام العالمي الجديد» هذا؛ لذلك ظهرت مرارًا وتكرارًا في بعض أدبيات المؤامرة المعاصرة<sup>(574)</sup>. على سبيل المثال، اعتمد «مايكل بيجنت» و«ريتشارد لي» و«هنري لينكولن» مؤلفو الكتاب المثير للجدل «الدم المقدس والكأس المقدسة» الصادر عام ١٩٨٢م، على البروتوكولات في إثبات وجود منظمة سرية خبيثة تُدعى «دير صهيون»، وقالوا إن هذا المجتمع السري كان يعمل خلف الكواليس لإنشاء «الولايات المتحدة الأوروبية»، وأن هذه «الإمبراطورية الأوروبية المقدسة» الموحدة سياسياً ودينياً من خلال عبادة إمبراطورية للملك عظيم من الميروفنجيين<sup>(575)</sup>؛ ستصبح القوة العظمى في القرن الحادي والعشرين<sup>(576)</sup>.

من ناحية أخرى، اقتنع بعض علماء «نهاية العالم المسيحيين» الذين يعتقدون أن البروتوكولات أصلية، بأن «دير صهيون» كان تحقيقاً للنبوءات الموجودة في سفر الرؤيا، ودليلاً إضافياً على المؤامرة المعادية للمسيحية ذات الأبعاد الملحمية التي تشير إلى قرب ظهور النظام العالمي الجديد<sup>(577)</sup>.

وملخصاً لما ذكر:

على مدار قرنين، رُسخت نظرية المؤامرة التي تعتقد بوجود علاقة بين الماسونية وما يُعرف ب«النظام العالمي الجديد»، وتستند فكرة هذه المؤامرة إلى أن هناك جماعات ذات نفوذ، تسيطر على الحكومات وتعمل على إنشاء مجتمع شمولي سيجلس الماسونيون على عرشه، بعد تحكّمهم في الأحداث وإشعال الفتن حتى يتشكل العالم الجديد بحسب مخططهم.

وفيماء يلي قائمة من الأحداث المنسوبة لهذه النظرية.

\*\*\*

بعد قراءتنا لهذا التاريخ الطويل والمعقد الذي ذكرناه بين صفحات هذا الكتاب، تبين أمام أعيننا عدد كبير جداً من المؤامرات المنسوبة للماسونية، وسواء أكانت حقيقية أم مجرد شكوك؛ فإنها لا تزال مرتبطة باسم المنظمة إلى يومنا هذا، وقد لخصت لك في القائمة التالية أشهر الحوادث التي ذكرناها داخل السياق، حتى تكون بارزة ومختصرة، ووضعت حق الرد الماسوني على هذه الأحداث التاريخية، وكذلك تم إضافة بعض الاتهامات الحالية غير المذكورة في السياق التاريخي.

أولاً: الاتهامات التاريخية

١- الثورة الفرنسية (١٧٨٩)

**الالتهام:** كما ذكرنا، الماسونية لعبت دوراً في تخطيط الثورة الفرنسية من خلال شبكات السرية التي تضمنت نخبة من المفكرين والسياسيين.

**الرد الماسوني:** العديد من قادة الثورة كانوا ماسونيين بالفعل، مثل «ميرابو» و«لافاييت»، لكن لا يوجد دليل مباشر يثبت أنها كانت «مؤامرة ماسونية».

٢- جرائم جاك السفاح (١٨٨٨)

**الالتهام:** «جاك السفاح» كان شخصاً ماسونياً مدفوعاً بتخطيطات ماسونية لقتل النساء لعدم كشف فضيحة العائلة المالكة البريطانية.

**الرد الماسوني:** لم يتم العثور على أدلة مباشرة تربط الماسونية ب«جاك السفاح»، والافتراضات اعتمدت على تفسير رموز أو عبارات ونسبتها للماسونية دون أساس علمي أو تحقيق رسمي يدعم هذه المزاعم، واعتمدت بشكل كبير على شهادات متأخرة وغير موثوقة، حيث ظهرت مزاعم «ستيفن نايت» عام ١٩٧٦م.

٣- حادثة غرق تيتانيك (١٩١٢)

**الالتهام:** يُقال إن الماسونية تورطت في الكارثة للتخلص من أفراد نافذين كانوا يعارضون خططها، خاصة المشروع الماسوني لإنشاء بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، كما سبق وذكرناهم.

**الرد الماسوني:** ننكر هذه الادعاءات غير المدعومة بأي دليل عيني، وماسونية أعضاء التحقيق ليست دليلاً على تدبير المخطط.

٤- تأسيس البنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي (١٩١٣)

**الالتهام:** نظريات المؤامرة تشير إلى أن الماسونية كانت وراء إنشاء البنك كجزء من خطط للسيطرة على الاقتصاد العالمي.

الرد الماسوني: لا توجد أدلة مباشرة على تورط الماسونية، واشترك أفراد ماسونيين من النخب الاقتصادية في تلك الحقبة بهدف الإصلاح، لا يعني تأكيدهم على تنفيذ مؤامرة.

٥ - الثورة البلشفية في روسيا (١٩١٧)

الالتهام: الماسونية ساهمت في إسقاط القيصرية الروسية عبر شبكات الأوربية، تماشيًا مع فكرة إزالة الأنظمة التقليدية.

الرد الماسوني: على الرغم من أن بعض قادة الثورة البلشفية كانوا ينتمون إلى الماسونية وتيارات فكرية معينة قد تكون قد تأثرت بالفكر الماسوني؛ فالثورة البلشفية كانت قائمة على الماركسية، ولم يكن للماسونية دور مثبت كمنظم رئيسي لهذا التغيير السياسي الكبير.

٦ - إسقاط الإمبراطوريات

الالتهام: تحت مزاعم الحرية وإسقاط الديكتاتوريات، تسببت الماسونية في تفكيك الإمبراطورية الإسبانية (القرن ١٩)، والقيصرية الروسية والإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية المجرية النمساوية (القرن ٢٠)؛ لكن في الوقت ذاته ناقضت نفسها وساهمت في التوسع الاستعماري البريطاني والهولندي (القرن ١٧-١٩)، وحتى في العصر الحديث ساهمت بقوة في ترسيخ النفوذ البريطاني والأمريكي عالميًا، كما أنها تورطت في حوادث اغتياالات عديدة.

الرد الماسوني: التحقيقات في ذلك الوقت لم تؤكد هذا الاتهام، والسبب هو تصاعد القوميات ونشاط الحركات التي استغلت ضعف الإمبراطوريات خلال الحروب الكبرى للمطالبة بالاستقلال، وما كان للماسونية دور إلا دعم مطالبهم المشروعة فقط.

٧ - الكساد الكبير (١٩٢٩)

الالتهام: بعض المؤامرات تزعم أن الماسونية أو شبكات الاقتصادية كانت وراء انهيار سوق الأسهم عن عمد، كأول خطوة للأزمة الاقتصادية العالمية نحو الكساد العالمي الكبير، لتحقيق مكاسب مالية.

الرد الماسوني: الأزمة كانت نتيجة عوامل اقتصادية معقدة لا يمكن نسبها مباشرة لأي تنظيم محدد.

٨ - إنشاء البنك الدولي وصندوق النقد الدولي (١٩٤٤)

الالتهام: يزعم البعض أن الماسونية كانت وراء إنشاء هذه المؤسسات لتعزيز السيطرة الاقتصادية العالمية.

الرد الماسوني: رغم مساهمات شخصيات ماسونية مؤثرة من النخب في التأسيس بهدف الإصلاح، لا توجد دلائل واضحة على تنفيذ مؤامرة.

٩ - تأسيس الأمم المتحدة (١٩٤٥)

الالتهام: يُزعم أن الماسونية دفعت باتجاه إنشاء الأمم المتحدة كخطوة نحو حكومة عالمية موحدة تحت

إدارتهم.

الرد الماسوني: بالفعل كان العديد من الدبلوماسيين المشاركين البارزين ماسونيين، لكن هذه الادعاءات تستند إلى تكهنات أكثر منها إلى حقائق، ولم يساهموا في التأسيس إلا لنشر الإخاء العالمي.

١٠ - تأسيس دولة الكيان المحتل (١٩٤٨)

الالتهام: الماسونية - لا سيما البريطانية - لعبت دورًا في إقامة دولة الكيان كجزء من تحقيق نبوءات أو أجندات سرية؛ حيث يُشار إلى رموز ماسونية ظهرت في شعارات وأوراق ماسونية متعلقة بالحركة الصهيونية.

الرد الماسوني: الحركة الصهيونية كانت حركة سياسية قومية مستقلة، رغم وجود قادة يهود ماسونيين بارزين.

١١ - اغتيال جون كينيدي (١٩٦٣)

الالتهام: الماسونية خططت لاغتيال «كينيدي» بسبب تهديده لنفوذها، وصعود مواقفه التي تعارضت مع المصالح السرية للقوى العالمية الماسونية.

الرد الماسوني: التحقيقات الرسمية انتهت إلى أن «لي هارفي أوزوالد» قام بالقتل وحده، وأن وجود العديد من الأسئلة المفتوحة حول القصة الكاملة لا يعني اتهام الماسونية وحدها.

١٢ - مشروع أبولو وهبوط الإنسان على القمر (١٩٦٩)

الالتهام: يُزعم أن الماسونية شاركت في تنظيم مشروع أبولو كجزء من رمزية علمية وكونية تتماشى مع أفكارها، حيث تزعم نظريات المؤامرة حول هبوط الإنسان على القمر؛ أن بعض أو كل عناصر برنامج أبولو والهبوط المرتبط به، كانت خدعة من تدبير وكالة ناسا لإيهام الناس بالتقدم الأمريكي الماسوني الساحق.

الرد الماسوني: لم تثبت أي علاقة مباشرة بين المشروع والماسونية.

من ناحية أخرى، على الرغم من الإعلان الرسمي عن أنها مزاعم زائفة<sup>(578)</sup>، أظهرت استطلاعات الرأي التي أجريت في مواقع مختلفة بين عامي ١٩٩٤ و ٢٠٠٩، أن ما بين ٦٪ و ٢٠٪ من الأمريكيين و ٢٥٪ من البريطانيين و ٢٨٪ من الروس الذين شملهم الاستطلاع، يعتقدون أن عمليات الهبوط المأهولة كانت مزيفة، وحتى في وقت متأخر من عام ٢٠٠١، زعم الفيلم الوثائقي لشبكة فوكس التلفزيونية بعنوان «نظرية المؤامرة: هل هبطنا على القمر؟» أن وكالة ناسا زيفت الهبوط الأول في عام ١٩٦٩ للفوز بسباق الفضاء<sup>(579)</sup>.

١٣ - الاتحاد الأوروبي (١٩٩٣)

الالتهام: يُزعم أن الماسونية دفعت نحو إنشاء الاتحاد الأوروبي كجزء من أجندة عالمية لحكومة موحدة.

الرد الماسوني: لا توجد أدلة مباشرة تربط الماسونية بتأسيس الاتحاد الأوروبي.

**الالتهام:** اتهمت الماسونية بالتورط في الهجمات لتسريع الأجندة السياسية العالمية، حيث يعتقد البعض أن الحكومة الأمريكية أو «الدولة العميقة» كانت على علم بالهجمات أو حتى خططت لها، لتحقيق أهداف جيوسياسية أو لتبرير الحروب في الشرق الأوسط<sup>(580)</sup>، وخلق شرعية لتواجد القوات الأمريكية هناك بشكل دائم، والسيطرة والنفوذ عليه ضمن الخطة الماسونية المنهجية.

**الرد الماسوني:** الحادث من تدبير الإرهاب الإسلامي، وهذه الادعاءات جزء من نظريات المؤامرة الواسعة حول الحادث، ولا توجد أدلة تدعمها.

**الالتهام:** يُقال إن الماسونية كانت وراء الأزمة المالية العالمية، عبر تنظيم تحركات مالية أدت إلى الانهيار الكبير للأسواق، بغرض خلق حالة من الفوضى المالية لإجبار الحكومات على قبول سياسات مالية جديدة تعزز هيمنة النخب، حيث يُزعم أن بعض البنوك والجهات الممولة قامت بإقراض الأموال للأفراد والدول، مع علمها بأنهم لن يكونوا قادرين على السداد؛ كخطة لترك النظام المالي ينهار لاحقاً؛ وبالتالي إعادة هيكلة النظام المالي العالمي الجديد، بما في ذلك تخفيض تأثير البنوك الصغيرة أو المؤسسات المستقلة لصالح البنوك الكبرى أو النظام المصرفي العالمي الموحد، حيث تم بالفعل الاستحواذ على العديد من البنوك الأصغر من قبل البنوك الكبرى بعد الأزمة؛ مما أدى إلى زيادة تركيز السلطة المالية.

ويرى بعض النقاد أن قرارات إنقاذ البنوك الكبرى كانت مخططاً مسبقاً لتمكين تلك البنوك ومؤسساتها من الاستحواذ على المزيد من الموارد، بهدف تعزيز دور هذه البنوك في الاقتصاد العالمي وتقليل احتمالية تعرضها للمساءلة.

**الرد الماسوني:** الأزمة الاقتصادية كانت نتيجة لعدة عوامل اقتصادية معقدة، بما في ذلك الإفراط في القروض العقارية والممارسات المالية غير المنضبطة، ولا يوجد دليل قاطع يربط الماسونية بها.

**الالتهام:** يزعم البعض أن الماسونية دفعت نحو هذه الحركات لتغيير الأنظمة الحاكمة وتوسيع نفوذها، وهذه النظريات تدّعي أن الماسونية أو القوى السرية المرتبطة بها قد لعبت دوراً في تأجيج أو توجيه أو توظيف الأحداث التي شهدتها بعض الدول العربية منذ عام ٢٠١١م، بهدف خلق حالة من الفوضى السياسية والاجتماعية؛ تمهيداً لإعادة تشكيل المنطقة بما يتوافق مع مصالح النخب العالمية، وغالباً ما يتم استحضار أفكار مثل «الفوضى الخلاقة» التي طرحتها الإدارة الأمريكية قبل أحداث الربيع العربي كمخطط يُعتقد أن الماسونية شاركت في تصميمه.

**الرد الماسوني:** الحركات الشعبية كانت مدفوعة بعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية داخلية، ولم تُثبت أي علاقة بالماسونية.

ثانيًا: الاتهامات الحالية

١ - ظهور جماعات الإرهاب الحديثة

تُتهم الماسونية بالتلاعب بالأحداث العالمية لخلق الفوضى والإرهاب بهدف تعزيز الأجندة الأمنية والسياسية، وأن جماعات الإرهاب المتنوعة في كل أرجاء العالم تنفذ أهداف الماسونية وبتمويل مباشر منها.

٢ - حروب الشرق الأوسط الحديثة (القرن ٢١)

بعض نظريات المؤامرة تربط الماسونية بالحروب في العراق وسوريا وأفغانستان، مشيرة إلى أن الماسونية كانت تقف وراء هذه الحروب كجزء من مخططها لتفتيت المنطقة والسيطرة على الثروات.

٣ - مشاريع الفضاء والدكاء الاصطناعي والظهور السريع للتقنيات الحديثة (القرن ٢١)

تُتهم الماسونية بدفع التطورات التكنولوجية الحديثة، مثل الذكاء الاصطناعي والطب الجيني وغير ذلك، كجزء من «أجندة خفية» للتحكم في المستقبل التكنولوجي للبشرية، بهدف تحقيق أغراض سرية تتعلق بالتحكم البشري.

٤ - نظرية الأرض المسطحة

رغم أن العلوم قد أثبتت كروية الأرض منذ قرون، لا تزال هناك جماعات في الغرب تؤمن بأن الأرض مسطحة، هؤلاء يرون أن العلماء والمؤسسات الفضائية مثل ناسا، تشارك في مؤامرة عالمية لإخفاء الحقيقة، ووفقًا لهذه النظريات، يُزعم أن الماسونيين يتحكمون في معظم المؤسسات العلمية والتعليمية، وأنهم يبذلون جهدًا كبيرًا لإخفاء الحقائق التي تعارض الأيديولوجيات السائدة، لإخفاء مواقع ذات ثروات كبرى عن عامة البشر (خاصة ما وراء الجدار الجليدي).

٥ - نظرية الجدار الجليدي

مرة أخرى مع النظرية التي تحاول تفسير وجود «جدار جليدي» في أطراف الأرض، وهو جدار مفترض يمتد على حدود العالم المجهول أو الخارجي، فكما وصفناها في الفصل الأول، هي نظرية تؤمن بأن هذا الجدار عبارة عن حاجز طبيعي أو صناعي تم إنشاؤه لإخفاء الحقائق الكبرى عن البشرية، مثل وجود أراضٍ أخرى خلفه أو مناطق مجهولة ذات ثروات، أو ربما هناك حضارات متقدمة تقع وراء هذا الجدار، وهذه النظرية يتم ربطها أحيانًا بالماسونية في بعض قصص المؤامرة، حيث تُتهم الماسونية بأنها تقف وراء إخفائه، والترويج لفكرة أن العالم الذي نعرفه هو المتاح لنا فقط.

٦ - نظرية عالم الأرض المحوفة

يعتقد الكثيرون في الغرب، وخاصة في المجتمع الأمريكي، أن هناك عالمًا سرّيًا داخل الأرض، ويُزعم أن الأطباق الطائرة الغامضة التي تحدثنا عنها في الفصل الأول، لا تأتي من الفضاء الخارجي، بل من جوف

الأرض، وأن هناك مؤامرة عالمية تهدف إلى إخفاء هذه الحقيقة (581).

٧ - نظرية الكيمتريل

يُعتقد أن خطوط التكاثف التي تُرى خلف الطائرات، والتي تسمى علمياً Contrails (آثار التكاثف)، ليست مجرد بخار ماء متكثف، بل هي مواد الكيمتريل (Chemtrails)، وأنها تُرش عمدًا في الجو لأغراض سرية مثل التحكم في الطقس أو السيطرة على العقول، والتأثير على الصحة العامة، أو حتى استخدامها كأسلحة بيئية لأغراض شريرة غير معلنة لعامة الناس (582)، ويتكهن أولئك الذين يؤمنون بالنظرية، بأن الغرض من إطلاق المواد الكيميائية قد يكون إدارة الإشعاع الشمسي، أو تعديل الطقس، أو التلاعب النفسي الداخلي لدى الأشخاص، أو التحكم في السكان البشريين، أو الحرب البيولوجية أو الكيميائية، أو اختبار العوامل البيولوجية أو الكيميائية على السكان، وأن هذه الآثار تسبب أمراض الجهاز التنفسي ومشاكل صحية أخرى (583).

٨ - نظرية المؤامرة حول اللقاحات

الحركة المناهضة لللقاحات اكتسبت قوة كبيرة في الغرب، حيث يعتقد البعض أن اللقاحات ليست فعالة أو أن لها دوافع خفية مثل التحكم في السكان أو إلحاق الأذى بالبشر.. نظريات حول لقاح كورونا كانت بارزة خلال الجائحة، حيث ربط البعض اللقاح برقائق إلكترونية أو أدوات مراقبة. ومن هذا المنطلق ظهرت نظريات جديدة تدعي أن الماسونية كانت متورطة في تدبير الجائحة كجزء من خططها للسيطرة على العالم، وهذه النظريات زعمت أن النخب الماسونية استخدمت الفيروس واللقاحات كوسيلة للسيطرة على السكان وفرض قوانين جديدة تتعلق بالحريات الشخصية، وربط بعض المؤمنين بهذه النظريات الماسونية مع منظمات مثل المنتدى الاقتصادي العالمي أو منظمة الصحة العالمية في مؤامرة عالمية.

٩ - نظرية المليار الذهبي

مصطلح «المليار الذهبي» يشير إلى نظرية مؤامرة نشأت في سياق النقاشات الجيوسياسية والاقتصادية، تتحدث عن أن مجموعة نخبوية عالمية -لاسيما الماسونية- تسعى لضمان الرفاهية والمعيشة المريحة لنسبة صغيرة من سكان العالم (مليار نسمة)، على حساب بقية سكان الأرض، ويُزعم أن هذه النخبة تعمل على استنزاف الموارد الطبيعية للكوكب، مع تركيز الثروة والتكنولوجيا في أيديها، مما يؤدي إلى تهميش البقية أو القضاء عليهم، وقد انتشر الإيمان بهذه النظرية حاليًا، خاصةً بعد إثبات أن الدول المتقدمة تستهلك الحصة الكبرى من موارد الكوكب؛ بينما تتحمل الدول النامية معظم الأعباء البيئية.

١٠ - مشروع هارب والتحكم بالطقس

مشروع HAARP هو برنامج أبحاث علمي أسسته الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٩٣م، لدراسة خصائص الأيونوسفير (هو جزء من الغلاف الجوي للأرض يتواجد على ارتفاعات تتراوح من حوالي ٣٠

إلى ١٠٠٠ كيلومتر فوق سطح الأرض، ويتميز بوجود جسيمات مشحونة كهربائياً: أيونات وإلكترونات، وهو يلعب دوراً مهماً في العديد من العمليات الجوية والاتصالات الفضائية)، لتحسين تقنيات الاتصالات، ودراسة الظواهر الطبيعية مثل الشفق القطبي لتحسين استخدامات الرادارات، ويُدار المشروع بواسطة عدة مؤسسات منها سلاح الجو الأمريكي، والبحرية الأمريكية، ووكالة مشاريع الأبحاث الدفاعية المتقدمة (DARPA)، بالإضافة إلى جامعة ألاسكا.

في نظريات المؤامرة - لا سيما الماسونية- زُعم أنه يُستخدم للتحكم في الطقس، والتسبب في الكوارث الطبيعية (مثل الزلازل والأعاصير)، كذلك التأثير على العقل البشري. وعشرات النظريات الأخرى، لكن هذه هي أشهرها.

\*\*\*

## مما ذكرنا:

يبرز بوضوح أن الماسونية العملية القديمة (قبل الماسونية الحديثة) تاريخها مختلط بأساطير، تم دسها عمداً لإضفاء غلاف أسطوري ساحر على الممارسة؛ حيث أبدع مؤسسو الحركة الماسونية الأوائل بذكاء استثنائي، في ربط حركتهم بفن العمارة والبناء؛ إذ اختاروا حجر الزاوية الذي يُوحّد البشر في كل زمان ومكان: وهو البناء، سواء كان بناءً بيد من يُملج الحجارة، أو من يرسم الخطط، أو من يمول المشاريع، أو حتى من يقع في غرام الجماليات التي تنبثق من الحجارة الصامتة، إنها لغة عالمية تُخاطب الجميع، من البناء البسيط إلى بُناة الحضارات.

من هذا المنطلق، ربطوا تاريخ الماسونية ببداية تاريخ الخليقة، معتبرين «آدم» عليه السلام أول البنائين الماسونيين، ليؤكدوا أن الهندسة هي أساس كل العلوم، وخاصة البناء والعمارة، ثم تتنوع المشاهد التي سردوها مع كل الأزمان برويتهم الخاصة؛ فعلى الجبل المقدس صوّروا «آدم» عليه السلام واقفاً يعلمها لأبنائه، ثم من بعده يُوصَف «شيث بن آدم» وحفيده «أخنوخ» كآباء للمدنية، وكذلك في السياق ذاته تجد «لامك بن قابيل» يُعيد اكتشاف مواهب أبنائه الأربعة، في زاوية أخرى يقف بعدهم «نوح» عليه السلام يخطط لأبنائه كيفية بناء الأرض الجديدة بعد الطوفان، ثم تمر الأيام شاهدة على التطور الفني الذي تمثل في مناطق شنعار وآشور وبابل.

بعدها ينتقل المشهد ناحية الغرب في مصر، حيث يعكف البنائون المصريون هناك على بناء حضارتهم وأهراماتهم الخارقة كأولى عجائب الدنيا السبع، ثم يظهر في الصورة «إبراهيم» عليه السلام، وذرية أبنائه من «إسحق» و«يعقوب» الذين انشغلوا في البداية بالعمارة العسكرية، قبل أن يقوم المصريون بتدريبتهم على العمارة في الحجر والطوب، ثم يتغير المشهد ويُضيء على خروج «بني إسرائيل» من مصر ودخولهم بيت المقدس، وتأسيسهم مملكتي «داوود» و«سليمان» عليهما السلام، التي بناها حفنة من البنائين الماسونيين، ثم الهيكل المزعوم، الذي أصبح هو ومهندسوه المزعومون رموزاً مهمة في الماسونية، ومن بعدهم يقف «المسيح» عليه السلام ليشرح الممارسة لتلاميذه سراً، ثم تتوالى المشاهد في بقعة أخرى، أوروبا لأول مرة؛ حيث القديس «ألبان» و«القديسون الأربعة المتوجون»، وبعد فترة من القمع والتحديات يستقبلها الملك «أثيلستان» في يورك وابنه المجهول «إدوين»، ومنها تتجدد الممارسة وتصل إلى النخبة وفرسان الهيكل وملوك أوروبا فيما بعد..

وهذه حبكة ساحرة لتضفي على الماسونية شرعية الدين.

أما عن الماسونية الحديثة (الماسونية الفلسفية الرمزية) ومعتقداتها الفلسفية المستحدثة، فيعتقد بعض المؤرخين أنها استقت بعض أفكارها وشعائرها الفلسفية من النظم السرية والباطنية التي كانت موجودة في العصور القديمة، مثل: القابالا (الكابلا) اليهودية، والمدارس الغنوصية والطوائف السرية الإغريقية،

وكذلك الهرمسية.. وعلى الرغم من نفي الماسونيين هذا الارتباط؛ إلا أن بعض شعائر الماسونية وطقوسها ورموزها في الحقيقة تحتوي بالفعل على أوجه تشابه مع هذه الأنظمة الباطنية القديمة.

بعد مزج هذا الخليط الفلسفي والتأملي، اكتسبت الماسونية الحديثة قوة ملحوظة في أوروبا في القرن الثامن عشر، بعد أن توسعت بسرعة خلال عصر التنوير، حتى وصلت إلى كل دولة في أوروبا تقريباً.. وخلال هذا القرن، سافرت الممارسة إلى المستعمرات في العالم الجديد وآسيا، وفي زمانها الأول كانت جذابة بشكل خاص للملوك والأرستقراطيين والسياسيين ورجال الأعمال، وكذلك المثقفين والفنانين والناشطين السياسيين؛ لدرجة أنه في أواخر القرن الثامن عشر، رأس العديد من الأمراء والملوك المحافل الماسونية، على سبيل المثال: رأس أمير ويلز المحافل الإنجليزية، ورأس الملك «فريدريك العظيم» المحافل البروسية، كما رأس الأمراء الملكيون المحافل الفرنسية، كما سبق وذكرنا<sup>(584)</sup>.

أما منذ بداية القرن التاسع عشر، أصبحت الماسونية -لا سيما القارية- مرتبطة بقوة بقضية الليبرالية<sup>(585)</sup>. وفي الأراضي والإمبراطوريات الكاثوليكية كانت معادية لرجال الدين؛ لذلك كانت في مرمى انتقادات الكنيسة الكاثوليكية، وخاضت معها حروباً أيديولوجية كبيرةً.

ثم مع قدوم القرن العشرين، قمعتها الأنظمة الفاشية والشيوعية والشمولية والقومية، حتى صمدت وساهمت في بناء النظم السياسية الحديثة.. وسواء شئنا أم أبينا، فالماسونية هي التي رسمت -أو على الأقل ساهمت في- تأسيس المنظمات الدولية للعالم الحديث.

وطوال هذه الفترة؛ وتحديدًا منذ قيام الثورة الفرنسية وحتى الآن، ستجد الماسونية تحمل صحيفة مشبوهة ممتلئة باتهاماتٍ لم تُمَحَّ، منها تخطيط المؤامرات التي استهدفت إثارة الفوضى والحراب، وإعدام الملوك المعارضين ورجال الكنيسة، وتحريك الأحداث العالمية الحساسة لتشكيل عالم جديد طبقاً لنظرياتهم. وبهذا الشكل اكتسبت الماسونية شهرة واسعة على مدى ثلاثة قرون، كان محور شهرتها الأول خلالها «السرية والغموض».

والآن إذا طرحنا على أنفسنا هذه المسألة:

أعضاء سريون من الأثرياء والصفوة + مال وسلطة ونفوذ + دستور وطقوس ورموز سرية = هل ننتظر ناتجاً غير مريب؟

وبالإضافة إلى معطيات هذه المسألة، فما زاد من استشعار الريبة تجاههم، هو محاولتهم تزييف الحقائق وإنشاء تاريخ أسطوري خاص بهم، وارتباطهم الوثيق بشخصيات يهودية بارزة، والنمط اليهودي القبالي البارز والطاغي على المحافل والطقوس والرموز، أضف إلى كل ذلك سمعتهم التاريخية السيئة، فالماسونية اتُّهمت في كل الأماكن التي انتشرت فيها في العالم بدون استثناء أنها تفتعل مؤامرات.

إذاً، ما علاقة كل ذلك بالأخويات الإنسانية!

إذا كانت أخوية إنسانية غرضها نشر الحب والسلام، فلماذا كل هذا الغموض والسرية؟

لماذا يجب على الماسونيين أنفسهم إخفاء ما يدور بين كل درجة وما أدناها؟ ألم يكن ذلك مريباً؟

ما العلاقة بين التركيز على الرموز الغامضة والشعارات الباطنية، ونشر الحب والسلام؟  
هذه الأسئلة جميعها مطروحة في الغرب بصورة أكبر من التي تُطرح في بلاد العرب؛ لذلك يتضح من كل ما سبق أن جميع المخاوف والأحاديث المتداولة عن «المؤامرة الماسونية» وتاريخهم المشبوه، لم يخترع العرب أيًا منها على الإطلاق؛ بل إنها عملية نقل واسعة النطاق، تُرجمت من المخاوف والمصادر الغربية نفسها؛ لذلك يمكننا القول إن:

«العيون العربية الناظرة للماسونية، تأثرت تمامًا بنظرة العيون الغربية».

ولأن العرب كعادتهم يميلون للمبالغة؛ استهوتهم الأحاديث الغربية المناهضة بشكل فائق أكثر من المعتدلة، من خلال مفهوم: «وشهد شاهدٌ من أهلها»، وهذه فكرة طبيعية، فالمفهوم ذاته ينطبق تمامًا مع كل الموضوعات التي ينتقدها العرب في الغرب والعكس كذلك؛ فالجميع في المجتمعات الناقدة يبحثون عن رأي المعارضين والمناهضين الأكثر تطرفًا في المجتمع المنتقد، لإرضاء مدى تخوفاتهم ولإثبات صدق نظرياتهم؛ فعلى الرغم من وجود نظرات غربية إيجابية أو محايدة تجاه الماسونية؛ اختار العرب رأي الغربيين أصحاب النظرة السلبية المرتبطة بـ«نظريات المؤامرة» الأشد تطرفًا.  
ورغم هذا التطرف التحليلي، لا يمكننا التجاهل بأن «نظرية المؤامرة» والشك الزائد في بعض الأحيان ربما يطرحان فوائد عديدة، منها:

١ - تشجيع التفكير النقدي

«نظريات المؤامرة» أحيانًا ما تدفع الناس للتساؤل وعدم قبول الأمور كمُسَلَّمات، مما يعزز التحليل النقدي، كما تدفع المعتقدين بها إلى تحليل الأحداث من زوايا غير تقليدية، وربما تصل في النهاية لخيوطٍ من الحقيقة.

٢ - استكشاف التاريخ المخفي

أحيانًا تُعيد صياغة بعض السرديات التاريخية التي قد تكون موجهة من قوى معينة، وأثناء التحقيق ربما تُكتشف بعض الأسرار الخفية.

٣ - تحذر من الانسياق الجماعي

تحث الأفراد على النظر إلى العالم من زوايا مختلفة؛ مما يقلل من التأثر بالدعاية الزائفة في بعض الأوقات، وأحيانًا تنجح محاولاتها لكسر الهيمنة الفكرية والنظم السائدة التي تحاول قيادة القطيع.  
لكن في نفس الوقت لها أضرار جسيمة، مثل:

١ - انتشار الخوف والبارانويا

حيث يؤدي التركيز المفرط على المؤامرات، إلى الشعور بالقلق المستمر، وخلق ثقافة من الشك والعداء تجاه كل شيء، سواء الغرب أو المؤسسات الرسمية العربية وحتى الأخوة والأفراد أنفسهم؛ حتى يتسبب

ترزعزع الإيمان بالنظام، في انتشار الفوضى الفكرية.

٢ - إعاقة الحلول العقلانية

تؤدي «نظريات المؤامرة» إلى تعطيل البحث عن حلول عملية ومنطقية للمشاكل؛ فبدلاً من مواجهة التحديات الاقتصادية أو السياسية بطرق علمية وعملية، يتم إلقاء اللوم على «المتآمرين».

٣ - عملة القوى المتطورة

كما ذكرنا من قبل، تؤدي «نظريات المؤامرة» التي تدعي قوة أسطورية للمجتمعات المتطورة أو القوى العظمى، إلى الشعور التام بالضعف العربي، وعدم التقدم تجاه خطوات مرنة نحو المستقبل، فيما يشبه التبلد أو الانسحاب من خوض المنافسة، بسبب الإيمان بعدم تكافؤها.

٤ - طمس دور الأدلة والمنهجية العلمية

غالبًا ما تستند «نظريات المؤامرة» إلى معلومات غير موثقة أو مبالغ فيها؛ هذا يساهم كثيرًا في تضليل الجماهير وتضاؤل قيمة البحث العلمي، وصعود شعبية بعض الشخصيات الطفيلية الجاهلة التي تأخذ أكبر من قدرها.

٥ - تشويه الواقع

قد تؤدي النظريات المبالغ فيها نفسها إلى تزييف الحقائق وتضليل الناس بدلاً من إبصارهم؛ بما يعني أن من الممكن نسج «نظرية مؤامرة» وهمية، بغرض تضليل الناس عن الحقيقة وتمرير مؤامرة حقيقية مضادة لها.

٦ - تشجيع الانعزالية الفكرية

معتنقو «نظريات المؤامرة» المبالغ فيها قد ينفصلون عن التيار الفكري السائد، مما يعزز الإقصاء والانغلاق الفكري، ف«نظرية المؤامرة» في حد ذاتها سلاح خطير في يد الأنصار، وقد حدثت كوارث عالمية جسيمة سببها انتشار «نظريات المؤامرة»؛

على سبيل المثال: خلال فترة رئاسة «ثابو مبيكي» في جنوب إفريقيا، تحديداً بين عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٥م، أنكرت الحكومة وجود الإيدز على أرضها، ونسبت الشائعات ل«نظرية المؤامرة»، والنتيجة: وفاة ما يقدر بنحو ٣٣٠.٠٠٠ شخص بسبب الإيدز<sup>(586)</sup>.

كذلك، تسبب إنكار نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية لعام ٢٠٢٠ في غضب طائفي، أدى إلى هجوم مبنى الكابيتول الأمريكي في ٦ يناير والقيام بأعمال تخريبية شهدتها العالم كله على الهواء مباشرة<sup>(587)</sup>.

ومن أبرز المواقف أيضاً، عندما وقعت زامبيا في مجاعة عام ٢٠٠٢م، رفضت المساعدات الغذائية التي وصلتها؛ بحجة أن الأطعمة معدلة وراثياً؛ مما زاد من حجم الكارثة<sup>(588)</sup>، في وقت كان يعاني فيه ثلاثة ملايين شخص في البلاد من الجوع بسبب الشائعة<sup>(589)</sup>.

الأمر كذلك مع الأمراض التي أصبحنا نعدّها بدائية قابلة للتطعيم مثل: الحصبة منا استشهدنا بها في الفصل الأول، ستجدها عادت للظهور في العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين؛ بسبب نشاط «حركة مناهضة اللقاحات»، وزعمها أن اللقاحات تُسبب أضرارًا مثل التوحد، أو تحتوي على مكونات خبيثة للتحكم بالبشر؛ ونتيجة لذلك انخفضت معدلات التطعيم في العديد من الدول؛ مما أدى إلى عودة ظهور الحصبة وأمراض أخرى كانت تحت السيطرة وفي طريقها للهِزِمة التامة؛ وبالتالي تسجيل وفيات عديدة. الأمر ذاته مع الإيبولا في غرب إفريقيا في نفس الفترة؛ انتشرت «نظرية مؤامرة» تقول: إن الفيروس جزء من مؤامرة بيولوجية، وأخرى تقول: إنه غير موجود أصلاً؛ وهذه الشائعات أدت إلى انعدام الثقة في العاملين في مجال الصحة العامة، ورفضت المجتمعات المحلية في دول عديدة التعاون مع جهود الاحتواء، مما زاد من تفشي المرض والوفيات.. وغير ذلك عشرات الأحداث العالمية التي تبدو في بدايتها بسيطة، لكنها وصلت لحد الكوارث بسبب انخفاض الثقة في الأدلة العلمية<sup>(590)</sup>.

مما سبق، ربما يجد الإنسان نفسه في حيرة كبيرة، ما هو الحل؟

- يتجاهل المؤامرات ويلتحق بركب المغفلين؟

- أم يتبناها ويأخذ صف الموسوسين؟

كل إنسان عموماً تجده على الأقل يؤمن بنظرية أو نظريتي مؤامرة، سواء شخصية كالتي يتبناها تجاه مديره أو زملائه في العمل أو المحيطين به وما إلى ذلك، أو جماعية كالتي يتبناها وسط جماعة من أنصار فكرة التآمر على المجتمع أو العرق أو الدين؛ وهذا لا يُؤثر في صحته الفكرية لأنه شعور طبيعي؛ لكن الحل يكمن في التوازن بين العقل والخيال؛ فيجب تقييم «نظريات المؤامرة» بناءً على مدى قدرتها على المزج بين التحليل العقلاني والعاطفة الإنسانية للبحث عن «الحقائق المخفية»؛ خاصة في ظل «أزمة الحقيقة في العصر الرقمي» والغرق في طوفان المعلومات والبيانات.

على سبيل المثال: بالفعل تحمل «نظريات المؤامرة» حول الماسونية بعض المميزات المتعلقة بالبحث عن الحقيقة والتحدي الفكري؛ إلا أن الأضرار الناتجة عن تضخيم هذه النظريات دون أدلة مقنعة قد تكون عميقة على المستوى الاجتماعي والفكري؛ لذلك فالنظرة الفلسفية تتطلب منا توازناً بين الانفتاح على الأفكار الجديدة والتمسك بمنهجية التحليل النقدي الصارم، بعيداً عن «مغالطة الاقتران» التي تجبر الأفراد على ربط أحداث ليس لها علاقة ببعضها لإرضاء تحليلاتهم الخاصة دون دليل؛ فالقرن الحادي والعشرون أصبح «قرن الشك والريبة»، حتى أُطلق عليه: Age of Conspiracy (عصر نظريات المؤامرة)، وليس عصر المؤامرات، والسبب أن «نظريات المؤامرة» زادت فيه أكثر من المؤامرات ذاتها.

وبالرجوع لـ «تقييم» نظرية المؤامرة الماسونية، سنجد أن الخبراء والماسونيين أنفسهم يشيرون أصلاً إلى ضعف نشاطات الماسونية في القرن الحادي والعشرين؛ بل وتزداد تراجعاً عاماً بعد عام؛ على سبيل المثال: العضوية في المنظمات الماسونية في العديد من الدول -خاصة في الولايات المتحدة وأوروبا- تُعاني من الشيوخوخة، وتشهد انخفاضاً ملحوظاً في الأنشطة والممارسة، بسبب ارتفاع معدلات الوفاة وقلة الانضمام

من الأجيال الشابة، ومن المثير للانتباه أن الولايات المتحدة بعد أن وصل تعداد أعضاء الماسونية فيها عام ١٩٥٩م إلى أكثر من ٤ ملايين عضو من أصل ١٧٧,٨ مليون نسمة -بحسب موقع Forthright الماسوني للتقارير- فمنذ عام ٢٠٢٠م شهدت العضوية انخفاضًا ملحوظًا بنسبة ٧٥٪ من هذا الرقم، حيث انخفض عدد الأعضاء لحوالي ٨٩٨,٠٠٠ عضو، من أصل ٣٣١ مليون من إجمالي عدد السكان<sup>(591)</sup>، وهذه النسبة مرآة واضحة تُعبر عن تقلص العضوية الذي بدأ منذ بداية القرن الحادي والعشرين.

أهم عوامل هذا الانخفاض: التغيرات الاجتماعية والثقافية التي جعلت المنظمات مثل الماسونية أقل جذبًا للأجيال الجديدة، فالماسونية قديمًا كانت سريتها مثيرة لجذب الشباب وكسب الوجهة الاجتماعية، بما يشبه الفروسية في العصور الوسطى، حيث كانت فكرة اصطفاء الفارس للانضمام للجمعية أو أحد الأخويات السرية مثيرة للاهتمام، وكان يُنظر بإعجاب للأشخاص ذوي المهام السرية على أنهم غير عاديين، أما الآن فقد أصبحت مقومات الإثارة تتطلب أشكالا أخرى، كالشهرة والتأثير على السوشيال ميديا، والتباهي وإعلان الذات؛ بعيدًا عن السرية التي كانت شائعة قبل ذلك؛ مما يعني أن سبب عدم الإقبال عليها -إلى جانب سمعتها السيئة- ربما عدم توافقها مع العقلية الحديثة.. ومحاولة للتوافق مع الحداثة، تطورت العديد من محافل الماسونية في محاولة للتكيف مع العصر الحالي؛ لكنها ما زالت تواجه تحديات في جذب الأعضاء الجدد بسبب تغير القيم والمفاهيم الثقافية والاجتماعية.

يقول الخبراء: إن الماسونية الحالية في أشد فترات ضعفها، وفي الغرب نفسه ربما تجدها مدعاة للسخرية والتهكم في الكثير من الأحيان؛ فلك أن تتخيل أن الماسونية أصبحت «أشهر منظمة سرية»! وهذا بالطبع فشل ذريع، كيف يصبح مجتمع سري مشهورًا؟! كما أنها أصبحت فزاعة مفضوحة ومملة يستخدمها منظرو المؤامرة في الكثير من الأحيان، لتمرير أفكار سياسية وأيديولوجية بشكل سخيف.

وتبقى الحيرة: هل نؤمن بشرور الماسونية وأذرعها الخفية أم نتجاهلها؟

قبل الرد على هذا السؤال، يجب أن نعرف أن النظر لحقيقة «المؤامرة الماسونية» مُحاط بدائرة معقدة، على سبيل المثال يمكننا القول ببساطة:

لو كانوا ذوي نفوذ، لما سمحوا بتشويه سمعتهم على ألسنة المعارضين، بل كانوا سيمنعون نشر مثل هذا الكتاب الذي تقرأه الآن؛ لكن ربما سيقول أصحاب نظرية المؤامرة إنها خطة متعمدة منهم، وأنهم يوافقون على الجدل القائم حولهم، ويروجون بأنفسهم لتضخيم الإيمان بشرورهم في قلوبنا. فلو خرج شخص وقال إنها شريرة، سيتهمه بعض أنصار «نظرية المؤامرة» بقذف الرعب في القلوب وتضخيم نفوذهم؛ وفقًا للمخطط الماسوني.

ولو قال إنها فزاعة كاذبة ليس لها أذرع، سيتهمه بعض أنصار «نظرية المؤامرة» أيضًا بأنه يتجاهلها؛ في محاولة لتنييم العقول وتحسين صورتها كأخوية سلام، والترويج لفكرة التطبيع والتعايش مع المؤامرة.

مما يعني أن «نظرية المؤامرة» طبيعة دفيئة تحترف حياكة التبريرات، وتستشعر الريبة تجاه أي موقف، كما وضحنا بالتفصيل.

الحل النهائي هو الإيذان بالوجود الفعلي للماسونية سيئة السمعة، والحرص من مخططاتها حتى وإن بان ضعفها فعلاً الآن؛ فربما هي مرحلة تدهور يتبعها مرحلة تطور لاحق كما سبق معهم في الفترات الماضية، أو ربما أنجبت الماسونية تنظيمات أخرى سرية تعمل الآن بعد فضحها.

«وما دمنا ضعفاء، يجب أن نعتنق مبدأ: (ما خفي أعظم)، إلى أن نستمد قوتنا الإقليمية».

لكن في نفس الوقت، يجب أن نجعل نظرتنا للحقائق مبنية على حقائق علمية، ولا نسلم رؤوسنا للتضخيم أو حتى التقليل، ونتملص من تأثير الدعايات -سواء المناهضة أو المعارضة- إلا بما يقبله العقل ويحلله الذات، ولا نترك أذهاننا مسرّحاً لاستقبال العروض الفوضوية التي تؤجل العمل وتُرعنا من المستقبل؛ فالمثير للدهشة أن الفريقين -سواء من يبالغ في تضخيم خطر الماسونية أو من يقلل من شأنها- لا يفعلان شيئاً لمواجهتها سوى الغرق في بحر من الكلام والشكوى من ناحية، أو التهكم والسخرية من الناحية الأخرى.. وإذا افترضنا أن الماسونية تتحكم في الأحداث، فهل الحل هو الاكتفاء بالتنظير؟ أم أن الوقت قد حان لطرح أسئلة أكثر جرأة؟

كيف يمكننا للممة الصف حتى نحد من تأثير المؤامرات؟

وكيف نحصن عقول الشباب ونغرس فيهم وعياً قوياً يجعلهم قادرين على رؤية الحقيقة بأنفسهم، بعيداً عن سحر الشعارات وبريق الأفكار المغرية التي تغرد خارج السرب؟  
هذه الأسئلة هي التي يجب البحث عن إجاباتها قبل الجدل والسجال حول ماهية الماسونية.

في نهاية هذا البحث الطويل والشاق، يمكننا أن نستنتج بوضوح أننا لا يمكننا إنكار أن الماسونية ونظرية المؤامرة، منذ نشأتها وحتى اليوم، لعبتا دوراً فاعلاً في تشكيل ملامح العديد من الأحداث الكبرى التي أعادت رسم خريطة العالم؛ فمن المؤامرات السياسية إلى التأثيرات الثقافية والاجتماعية، كانت الماسونية قوة خفية، تُدير خيوطاً معقدة وتدفع بقرارات وأحداث تُخدّم مصالحها الخاصة. ومع ذلك، فإن ضبابية المعلومات وتناقض الروايات حول نشاطاتها ليست مجرد صدفة؛ بل استراتيجية مقصودة لإرباك العامة، وإبقاء المشهد مشوشاً.. هذه الضبابية لم تكن أداة لإخفاء أفعالهم فقط، بل وسيلة لتعزيز جاذبيتهم الغامضة وإثارة مزيد من الرّيبة والتكهنات حولهم.

وفي ظل هذا المشهد المعقد، لا بد من اعتماد التحليل العلمي العقلاني لفهم الحقائق، مع الحذر من الانسياق خلف التهويل أو الإنكار. فالتاريخ يشهد أن المؤامرات الخفية حقيقة لا يمكن التغاضي عنها، لكنها تتطلب وعياً ناقداً لتفكيك خيوطها، دون أن نغرق في دوامة التفسير المبالغ فيه.. أو أن نغض البصر عن حقائق واضحة..

\*\*\*

يمكنك مسح هذا الكود بجوالك للوصول لبيانات الكاتب



أو الدخول عبر الروابط التالية:

لمشاهدة فيديوهات الكاتب التاريخية على البيدج الرسمي بفيسبوك:

[www.facebook.com/sherifsamyy](http://www.facebook.com/sherifsamyy)

كذلك قناة اليوتيوب الخاصة به من هنا:

[www.youtube.com/sherif\\_samy](http://www.youtube.com/sherif_samy)

أو التواصل المباشر معه عبر حسابه الشخصي على فيسبوك:

[www.facebook.com/sherif.samy.92](http://www.facebook.com/sherif.samy.92)

وكذلك إنستجرام:

[www.instagram.com/sherif\\_samy\\_ramadan](http://www.instagram.com/sherif_samy_ramadan)

وتقييم الكتاب على الموقع العالمي جود ريدز من هنا:

[www.goodreads.com/ شريف سامي /](http://www.goodreads.com/)

ويمكنك متابعة باقي أعمال الكاتب من موقع الدار الرسمي:

[www.dardawen.com/authors/sherif-samy-ramadan](http://www.dardawen.com/authors/sherif-samy-ramadan)

وعلى موقع أبجد من هنا:

[www.abjjad.com/author](http://www.abjjad.com/author) شريف سامي /

- (1) Ted Goertzel, "Belief in Conspiracy Theories," *Political Psychology* 15, no. 4 (December 1994): pp 731-742, Wiley on behalf of the International Society of Political Psychology.
- (2) Jovan Byford, *Conspiracy Theories: A Critical Introduction* (Houndmills, Basingstoke, Hampshire: Palgrave Macmillan, 2011).
- (3) Gabriel Andrade, "Medical Conspiracy Theories: Cognitive Science and Implications for Ethics," *Medicine, Health Care and Philosophy* 23, no. 3 (April 2020): 505-518, Springer on behalf of the European Society for Philosophy of Medicine and Healthcare.
- (4) Stephan Lewandowsky, Gilles E. Gignac, and Klaus Oberauer, "The Role of Conspiracist Ideation and Worldviews in Predicting Rejection of Science," ed. Tom Denson, *PLOS ONE* 8, no. 10 (October 2, 2013): e75637.
- (5) Ted Goertzel, "Belief in Conspiracy Theories," *Political Psychology* 15, no. 4 (December 1994): 731-742, Wiley on behalf of the International Society of Political Psychology.
- (6) Scott Radnitz, "Citizen Cynics: How People Talk and Think about Conspiracy," in *Revealing Schemes* (University of Washington: Oxford University Press, 2021), pp. 153-172.
- (7) Jan-Willem van Prooijen and Karen M. Douglas, "Conspiracy Theories as Part of History: The Role of Societal Crisis Situations," *Memory Studies* 10, no. 3 (2017): 323-333.
- (8) Mark Fenster, *Conspiracy Theories: Secrecy and Power in American Culture* (University of Minnesota Press, 2008), 2nd edition.
- (9) Karen M. Douglas and Robbie M. Sutton, "What Are Conspiracy Theories? A Definitional Approach to Their Correlates, Consequences, and Communication," ed. Susan T. Fiske, *Annual Review of Psychology* 74 (January 2023): 271-298, *Annual Reviews*.
- (10) Signe Dean, "Conspiracy Theorists Really Do See the World Differently, New Study Shows," *Science Alert*, (October 23, 2017).
- (11) Matthew Gray, *Conspiracy Theories in the Arab World* (Routledge, 2010).
- (12) Ibid.
- (13) *Saudi Arabia's Curriculum of Intolerance*, Report by Center for Religious Freedom of Freedom House, 2006.
- (14) Roger Cohen, "The Captive Arab Mind," *The New York Times*, (December 20, 2010).
- (15) Matthew Gray, *Conspiracy Theories in the Arab World* (Routledge, 2010).
- (16) Harry G. West and Todd Sanders, *Transparency and Conspiracy: Ethnographies of Suspicion in the New World Order* (Duke University Press, 2003).
- (17) Harry G. West et al., *Transparency and Conspiracy: Ethnographies of Suspicion in the New World Order* (Duke University Press), pp. 4, 207-208.
- (18) Gregory W. Pedlow and Donald E. Welzenbach, *The Central Intelligence Agency and Overhead Reconnaissance: The U-2 and OXCART Programs, 1954-1974* (Washington, DC: History Staff,

Central Intelligence Agency, 1992).

- (19) Erik Laciatis, "Area 51 Vets Break Silence: Sorry, but No Space Aliens or UFOs," Seattle Times, (March 27, 2010).
- (20) National Oceanic and Atmospheric Administration, "Is the Earth Round?" Oceanservice.noaa.gov, U.S. Department of Commerce, <https://oceanservice.noaa.gov>.
- (21) Michael Lieb, "The Psycho-pathology of the Bizarre," in Children of Ezekiel: Aliens, UFOs, the Crisis of Race, and the Advent of End Time (Durham, North Carolina and London: Duke University Press, 1998), pp. 51-54, 249-251.
- (22) Pew Research Center, "Most Americans Believe in Intelligent Life Beyond Earth, Few See UFOs as a Major National Security Threat," Pew Research Center, <https://www.pewresearch.org>.
- (23) David G. Robertson, "They Knew Too Much: The Entangled History of Conspiracy Theories, UFOs, and New Religions," in Handbook of UFO Religions, vol. 20, ed. Ben Zeller (Leiden and Boston: Brill Publishers, 2021), pp. 178-196.
- (24) "Cold War Hysteria Sparked UFO Obsession, Study Finds," The Guardian, (May 5, 2002).
- (25) Pew Research Center, "Most Americans Believe in Intelligent Life Beyond Earth, Few See UFOs as a Major National Security Threat," Pew Research Center, <https://www.pewresearch.org>.
- (26) Public Policy Polling, "Conspiracy Theory Poll Results," (September 30, 2017).
- (27) ألفا دراكونيس المعروف أيضًا باسم ثوبان، هو نجم عملاق أبيض يقع في كوكبة التنين، يبعد حوالي ٣٠٣ سنوات ضوئية عن الأرض، كان النجم القطبي الشمالي خلال فترة بناء الأهرامات المصرية القديمة بسبب موقعه القريب من محور دوران الأرض آنذاك، ولكنه لم يعد كذلك نتيجة ظاهرة المبادرة المحورية.
- (28) Jon Ronson, "Beset by Lizards," The Guardian, (March 16, 2001).
- (29) David Chidester, Authentic Fakes: Religion and American Popular Culture (University of California Press, 2005), p. 122.
- (30) Rachel Brazil, "Fighting Flat-Earth Theory," Physics World, (July 14, 2020).
- (31) Robert Brotherton, "Chapter 4," in Suspicious Minds: Why We Believe Conspiracy Theories (Bloomsbury Publishing, 2015).
- (32) Lance deHaven-Smith, Conspiracy Theory in America (University of Texas Press, 2013), p. 3. The term 'conspiracy theory' did not exist as a phrase in everyday American conversation before 1964.... In 1964, the year the Warren Commission issued its report, The New York Times published five stories in which 'conspiracy theory' appeared.
- (33) Theodore Harold White, Breach of Faith: The Fall of Richard Nixon (New York: Atheneum Publishers, 1975).
- (34) Allan M. Brandt, "Racism and Research: The Case of the Tuskegee Syphilis Study," The Hastings Center Report 8, no. 6 (December 1978): 21-29.
- (35) United States Congress Senate Select Committee on Intelligence, Project MKULTRA, the CIA's Program of Research in Behavioral Modification (U.S. Government Printing Office, 1977), p. 70.

- (36) Geoffrey R. Stone, *Perilous Times: Free Speech in Wartime from the Sedition Act of 1798 to the War on Terrorism* (New York: W. W. Norton & Company, 2004), p. 541.
- (37) Paul Wolf, *COINTELPRO: The Untold American Story* (World Conference Against Racism, Durban, South Africa, September 1, 2001), p. 11.
- (38) Kathryn S. Olmsted, *Real Enemies: Conspiracy Theories and American Democracy, World War I to 9/11* (Oxford University Press, 2011), p. 8.
- (39) أيديولوجيا تعني: مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تشكل أساساً لرؤية معينة للعالم، سواء في السياسة أو المجتمع أو الاقتصاد أو الدين.
- (40) Conor Friedersdorf, "Ron Paul, Conspiracy Theories, and the Right," *The Atlantic*, (October 29, 2011).
- (41) Jonathon O'Donnell, "The Deliverance of the Administrative State: Deep State Conspiracism, Charismatic Demonology, and the Post-Truth Politics of American Christian Nationalism," in *Religion*, ed. Michael Stausberg and Steven Engler, 50, no. 4 (September 2020): 696-719, Taylor & Francis.
- (42) Emma Bowman, "Why QAnon Survives After Trump," *NPR.org*, (February 4, 2021), Washington, D.C.
- (43) Tina Brown, *The Diana Chronicles* (Random House, 2007), p. 406.
- (44) "Princess Diana Letter 'Warned of Car Plot'," *CNN*, (October 20, 2003).
- (45) Loulla-Mae Eleftheriou-Smith, "Princess Diana Letter Claims Prince Charles Was 'Planning an Accident' in Her Car Just 10 Months Before Fatal Crash," *The Independent*, (August 30, 2017).
- (46) Gordon Rayner, "Princess Diana Letter: 'Charles Plans to Kill Me'," *The Telegraph*, (December 20, 2007).
- (47) James Patrick Daughton, *An Empire Divided: Religion, Republicanism, and the Making of French Colonialism, 1880-1914* (Oxford University Press, 2006), p. 8.
- (48) تقع في الساحل الشمالي لأمريكا الجنوبية.
- (49) Guy Canivet, *First President of the Supreme Court, Justice from the Dreyfus Affair*, p. 15.
- (50) البيروقراطية مصطلح يُشير إلى الدول التي تقوم بتطبيق القوانين بالقوة.
- (51) Sarah Bracke and Luis Manuel Hernández Aguilar, "'They Love Death as We Love Life': The 'Muslim Question' and the Biopolitics of Replacement," *The British Journal of Sociology* 71, no. 4 (2020): 680-701.
- (52) Michael Feola, "'You Will Not Replace Us': The Melancholic Nationalism of Whiteness," *Political Theory* 49, no. 4 (2020): 528-553.
- (53) Johannes Baldauf, *Toxische Narrative: Monitoring Rechts-Alternativer Akteure* (Berlin: Amadeu Antonio Stiftung, 2017), p. 11.
- (54) Eirikur Bergmann, "The Eurabia Conspiracy Theory," in *Europe: Continent of Conspiracies: Conspiracy Theories in and about Europe*, ed. Routledge (2021), pp. 37-38.

- (55) Richard Alba, *The Great Demographic Illusion: Majority, Minority, and the Expanding American Mainstream* (Princeton University Press, 2020).
- (56) "Replacement Theory," Encyclopædia Britannica, <https://www.britannica.com>.
- (57) "The Pegida Movement and German Political Culture: Is Right-Wing Populism Here to Stay?"
- (58) Kate Connolly, "Pegida: What Does the German Far-Right Movement Actually Stand For?," *The Guardian*, (January 6, 2015).
- (59) "The End of Tolerance? Anti-Muslim Movement Rattles Germany," *Der Spiegel*.
- (60) "Reality Bites: An Analysis of Corona Deniers in Germany," National Institutes of Health (NIH), [www.ncbi.nlm.nih.gov](http://www.ncbi.nlm.nih.gov).
- (61) Diego Gambetta, *The Sicilian Mafia: The Business of Private Protection* (Princeton University Press, 1996 [1993]).
- (62) Diego Gambetta, *Codes of the Underworld* (Princeton University Press, 2009).
- (63) Clare Pedrick, "CIA Organized Secret Army in Western Europe," *The Washington Post*, (November 14, 1990).
- (64) Philip Agee and Louis Wolf, *Dirty Work: The CIA in Western Europe* (1978).
- (65) Daniele Ganser, *NATO's Secret Armies: Operation GLADIO and Terrorism in Western Europe* (2004).
- (66) Clyde Haberman, "Evolution in Europe; Italy Discloses Its Web of Cold War Guerrillas," *The New York Times*, (November 16, 1990).
- (67) "Paris Agreement," [www.canada.ca](http://www.canada.ca).
- (68) Kurt Phillips, "Far-Right Coronavirus Conspiracies," Canadian Anti-Hate Network, (March 16, 2020).
- (69) Ibid.
- (70) Aengus Bridgman et al., "Infodemic Pathways: Evaluating the Role That Traditional and Social Media Play in Cross-National Information Transfer," *Frontiers in Political Science* 3 (2021).
- (71) "Countering China's Influence Operations: Lessons from Australia," [www.csis.org](http://www.csis.org).
- (72) "Climate to the Qur'an: The Election Campaign Is About a Distant Future We Will Not Experience," *Kristeligt Dagblad* (in Danish).
- (73) "Detektor: Forudsigelser om Den Store Udskiftning er 'Noget Værre Vråvl,'" *DR* (in Danish).
- (74) "Rasmus Paludan, le Visage Danois de l'Extrême Xénophobie," *Le Monde* (in French).
- (75) "Detektor: Forudsigelser om Den Store Udskiftning er 'Noget Værre Vråvl,'" *DR* (in Danish).
- (76) "Islamophobia," *Oxford Dictionaries*.
- (77) "The Devastating Mental Health Effects of Islamophobia," *TIME*, (November 16, 2023).
- (78) Michael Barkun, *A Culture of Conspiracy: Apocalyptic Visions in Contemporary America* (University of California Press, 2003), p. 6.
- (79) Ibid.

(80) الشعبوية: هي توجه سياسي يركز على الدفاع عن «الشعب» ضد ما يُنظر إليه على أنه نخبة فاسدة أو مستبدة.

(81) Christopher Hodapp, Alice Von Kannon, Conspiracy Theories & Secret Societies For Dummies (2008), pp. 174, 178.

(82) "Freemasonry, Conspiracy Within", [www.meta-religion.com](http://www.meta-religion.com).

(83) Charles G. Addison, David Hatcher Childress, The History of the Knights Templars: The Temple Church and the Temple (Adventures Unlimited Press, 1997), pp. 19-20.

(84) See, for example, the claims made by William A. Whalen, in his essay The Masonic Religion, available on the ewtn.com website; or the claims made at evangelical truth.com.

(85) Robert L.D. Cooper, Cracking the Freemason's Code (Rider, 2006).

(86) الرَّقَّ المعروف باسم ورق البرشمان: عبارة عن مادة تُصنع من جلود الأبقار أو حيوانات أخرى، وتُعد خصيصًا لاستخدامها في الكتابة. يتميز الرق بكونه أكثر متانة من ورق البردي، وأفضل للاستخدام في طي الصفحات على شكل كتاب.

(87) George William Speth, Commentary to Cooke Manuscript, Quatuor Coronati Antigrapha, vol. II, part I.2.

(88) Wilhelm Stricker, "Kloß, Georg Franz Burkhard", Allgemeine Deutsche Biographie (Leipzig: Duncker & Humblot, 1882), vol. 16, pp. 227-228.

(89) William James Hughan, "Freemasonry", in Hugh Chisholm (ed.), Encyclopædia Britannica (11th ed., Cambridge University Press, 1911), vol. 11, p. 80.

(90) Quatuor Coronati website article on the foundation of Quatuor Coronati, partially taken from Ars Quatuor Coronatorum,(1888)vol. 1, pp. 1-3.

(91) Albert J. Mackey, Makiqah Al-Minya Encyclopedia, Volume Two (Masonic History Company, 1946), p. 826.

(92) Andrew Prescott, The Old Charges Revisited, from Transactions of the Lodge of Research No. 2429 (Leicester, 2006), Pietre-Stones Masonic Papers.

(93) اللغة الإنجليزية المستخدمة في الفترة من ١١٥٠ إلى ١٥٠٠ م بحسب قاموس أكسفورد الإنجليزي.

(94) Woodford, preface to William James Hughan, The Old Charges of British Freemasons (London, 1872).

(95) William James Hughan, The Old Charges of British Freemasons (London, 1872), pp. 2-3.

(96) Sarah Foot, Æthelstan: The First King of England (Yale University Press, 2011), p. 110.

(97) Anderson's Constitutions, Franklin's reprint.

(98) Alban Butler, Sarah Fawcett Thomas, Paul Burns, Butler's Lives of the Saints (Continuum International Publishing Group, 1997), p. 63.

(99) Quator Coronati | Masonic Dictionary, [www.masonicdictionary.com](http://www.masonicdictionary.com).

(100) Speth, George William. Commentary to Cooke Manuscript. Quatuor Coronati Antigrapha, vol. II, part I.2.

- (101) Andrew Prescott, The Old Charges Revisited, from Transactions of the Lodge of Research No. 2429 (Leicester, 2006), Pietre-Stones Masonic Papers.
- (102) William James Hughan, The Old Charges of British Freemasons (London, 1872), p. 22.
- (103) سفر أخبار الأيام الأول (٢:١٣).
- (104) Kent Henderson, The Legend of Hiram Abif, Pietre Stones.
- (105) Rituels (French language collection of ritual, 18th-early 19th century).
- (106) William James Hughan, The Old Charges of British Freemasons, (London, 1872), pp. 25-30.
- (107) Revd Neville Barker Cryer, York Mysteries Revealed, Lewis.
- (108) Ibid.
- (109) George William Speth, Quatuor Coronati Antigrapha, vol. IV, part 1.2.
- (110) ريغنسبورغ بألمانيا الآن.
- (111) Edition of Statutes of Ratisbon with Appendices (French Translation).
- (112) Albert Gallatin Mackey, History of Freemasonry, (The Masonic History Company, 1906), vol. 3, pp. 720 - 721.
- (113) Robert L. D. Cooper, Cracking the Freemason's Code, (Rider, 2009), pp. 18-27 & 207-214.
- (114) عاصمة اسكتلندا حالياً.
- (115) Ibid, pp 55 - 70.
- (116) Haughfoot Lodge, History of the Lodge at Haughfoot.
- (117) Robert L. D. Cooper and Lisa Kahler, "A New Masonic Catechism: The Airlie Manuscript of 1705," Ars Quatuor Coronatorum 117 (2004): 83-102.
- (118) David Stevenson, The Origins of Freemasonry: Scotland's Century 1590 - 1710, p. 137.
- (119) William James Hughan, "The Chetwode Crawley MS," Ars Quatuor Coronatorum, vol. XVII (1904): pp. 91-92.
- (120) سفر الخروج ٣١: ١ - ٦.
- (121) H. Poole, "The Graham Manuscript," Ars Quatuor Coronatorum 50 (1936): pp. 5-17.
- (122) Robert L. D. Cooper and Lisa Kahler, "A New Masonic Catechism: The Airlie Manuscript of 1705," Ars Quatuor Coronatorum 117 (2004): pp. 83-102.
- (123) Margaret C. Jacob, The Origins of Freemasonry: Facts & Fictions, Philadelphia: (University of Pennsylvania Press, 2005).
- (124) Samuel Pritchard, Masonry Dissected, (London, 1730).
- (125) C. S. Madhavan, "The Hiram Legend," Pietre-Stones Review of Freemasonry.
- (126) Douglas Knoop, The Genesis of Freemasonry, Manchester: (Manchester University Press, 1947).
- (127) Revd Neville Barker Cryer, York Mysteries Revealed, (Surrey: Ian Allan Publishing, 2006), pp. 71-74.
- (128) Robert L. D. Cooper, Cracking the Freemason's Code, (London: Rider, 2006).

(129) Revd Neville Barker Cryer, York Mysteries Revealed, (Surrey: Ian Allan Publishing, 2006), pp. 71-74.

(130) Ibid.

(131) Mary Lefkowitz, Not Out of Africa: How Afrocentrism Became an Excuse to Teach Myth as History, (New York: BasicBooks, 1996), pp. 111-112.

(132) Sidney Lee, ed, "Lediard, Thomas," in Dictionary of National Biography, Vol. 32, (London: Smith, Elder & Co., 1892).

(133) Walter Burkert, Ancient Mystery Cults, Cambridge, (MA: Harvard University Press, 1987), p. 97.

(134) J. Gwyn Griffiths, ed, Apuleius: The Isis-Book (Metamorphoses, Book XI), (Leiden: Brill, 1975), pp. 71-93.

(135) J. Arthur Hanson, ed., Metamorphoses (The Golden Ass), Volume II: Books 7-11, (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1989), pp. 333-335.

(136) Ibid, pp 333-339.

(137) الثيوصوفيا بحسب معتقديها: هي فلسفة روحانية تسعى لفهم الحكمة الإلهية وتوحيد الحقائق الكونية عبر الجمع بين الأديان والفلسفات والممارسات الروحية المختلفة، تأسست على الاعتقاد بأن هناك حقيقة واحدة مشتركة خلف التعاليم الدينية المختلفة.

(138) أورفيوس التراقي: هو شاعر وموسيقي أسطوري من الميثولوجيا الإغريقية، تقول عنه الأسطورة إنه امتلك قدرة فائقة للتأثير في الطبيعة وإحياء الأرواح عبر موسيقاه الساحرة، واشتهر برحلته إلى العالم السفلي لاستعادة زوجته «يوريديس».

(139) تراقيا: منطقة تاريخية وجغرافية في جنوب شرق البلقان تضم شمال شرق اليونان وجنوب بلغاريا وتركيا الأوروبية.

(140) Masonic Dictionary Article on Desaguliers, sourced from Mackey's Encyclopedia.

(141) Douglas Knoop, "The Genesis of Freemasonry", (Manchester University Press, 1947).

(142) Anderson's Constitutions Franklin's reprint.

(143) مدينة كاتدرائية في شمال يوركشاير بإنجلترا، ذات أصول رومانية.

(144) Gordon P. G. Hills, Brother William Preston, an Illustration of the Man, his Methods and his Work. Prestonian Lecture, (Phoenix Masonry, 1927.)

(145) Masonic Dictionary Entry from Mackey's Encyclopedia of Freemasonry.

(146) Arthus Gauthier, "Freemasonry as a Philanthropic Project," Replacing Charity, Anticipating the Welfare State: A Conceptual Genealogy of Philanthropy in France Since the Age of Enlightenment, ESSEC Business School, p. 10.

(147) التفسير الرومانسي يعني قراءة أو فهم موضوع أو نص من منظور يركز على المشاعر، الخيال، أو الجانب المثالي والبطولي للأحداث أو الشخصيات، وفي هذا السياق لا يكون الهدف الوصول إلى تفسير منطقي بقدر ما يكون اكتشاف العمق العاطفي والرمزي، وأحياناً إضفاء طابع ملحمي أو خيالي يجعل

الأمر تبدو أكثر جمالاً أو شاعرية مما قد تكون عليه في الواقع.

- (148) Pietre-Stones, Biography of Ramsay, Berne Manuscript (French text).
- (149) Christopher Hodapp, Alice Von Kannon, The Templar Code for Dummies, (Wiley Publishing Inc., 2007). p. 197
- (150) Dominic Selwood, "Birth of the Order," The Daily Telegraph, (April 20, 2013).
- (151) Malcolm Barber, The New Knighthood: A History of the Order of the Temple (Canto ed., Cambridge: Cambridge University Press, 1995), xxi-xxii.
- (152) Irish Masonic Jewels The Order of the Temple, A History.
- (153) William James Hughan, Unpublished Records of the Craft, part II (Kenning, 1871), pp. 16-17..
- (154) Grand Lodge of British Columbia and Yukon, Karl Gotthelf Hund.
- (155) Christopher Knight and Robert Lomas, The Hiram Key (London, 1996).
- (156) Wisconsin Evangelical Lutheran Synod, "Methodist Beliefs: In What Ways Are Lutherans Different from United Methodists?" (2014).
- (157) George Faithful, Mothering the Fatherland: A Protestant Sisterhood Repents for the Holocaust (Oxford University Press, 2014).
- (158) Johann Jakob Herzog and Philip Schaff, The New Schaff-Herzog Encyclopedia of Religious Knowledge (1911), p. 419.
- (159) Paul Avis, The Church in the Theology of the Reformers (Eugene, OR: Wipf and Stock Publishers, 2002), p. 95.
- (160) Trent, Council of," in F. L. Cross, ed., The Oxford Dictionary of the Christian Church (Oxford: Oxford University Press, 2005).
- (161) Joseph Francis Kelly, The Ecumenical Councils of the Catholic Church: A History (Liturgical Press, 2009), pp. 126-148.
- (162) Bruce Wetterau, World History (New York: Henry Holt and Company, 1994).
- (163) Catechism of the Catholic Church, Paragraph 85.
- (164) Ibid.
- (165) The Age of Enlightenment: A History From Beginning to End «: Chapter 3, publishinghau5.com.
- (166) Milan Zafirovski, The Enlightenment and Its Effects on Modern Society (2010).
- (167) Sebastian Conrad, "Enlightenment in Global History: A Historiographical Critique," The American Historical Review 117, no. 4 (October 1, 2012): pp 999-1027.
- (168) Dorinda Outram, Panorama of the Enlightenment (Getty Publications, 2006), p. 29.
- (169) Milan Zafirovski, The Enlightenment and Its Effects on Modern Society (2010), p. 144.
- (170) Margaret C. Jacob, The Secular Enlightenment (Princeton: Princeton University Press, 2019).
- (171) S. R. Tailby and Hugh Young, A Brief History of Lodge Mother Kilwinning No. 0 (1944).
- (172) Second Schaw Statutes.

- (173) The Lodge of Edinburgh (Mary's Chapel) No. 1, [www.lodgeofedinburgh.org](http://www.lodgeofedinburgh.org).
- (174) Douglas Knoop, *The Genesis of Freemasonry* (Manchester: Manchester University Press, 1947).
- (175) Douglas Knoop, "The Genesis of Freemasonry," (Manchester University Press, 1947).
- (176) *ibid.*
- (177) *General Regulations of a Free Mason [sic], The Masonic Trowel.*
- (178) Grand Lodge of British Columbia and Yukon, Lionel Vibert, "Anderson's Constitutions of 1723," *The Builder*, (August 1923).
- (179) Henry W. Coil, *Coil's Masonic Encyclopedia* (rev. ed., 1996), Richmond, VA: Macoy Publ. & Masonic Supply Co. Inc., "England, Grand Lodge of, According to the Old Institutions," pp. 237-240; and "Saints John," pp. 589-590.
- (180) Douglas Knoop, "The Genesis of Freemasonry," (Manchester University Press), 1947.
- (181) مدينة دُرم بإنجلترا حالياً.
- (182) J. G. Findel, *History of Freemasonry*, trans. from the second German edition (Asher & Co., London, 1866), pp. 168-180.
- (183) Albert Gallatin Mackey, *The History of Freemasonry*, (Masonic History Co., 1906), Volume Four, Chapter XXXIX, pp. 1043-1078.
- (184) C. J. Scott, *Web of Hiram: A Historical Notes Concerning the York Grand Lodge.*
- (185) Henry F. Berry, "The 'Marencourt' Cup and Ancient Square, Preserved in the Union Lodge No. 13, Limerick," *Ars Quatuor Coronatorum*, Vol. XVIII (London, 1905), pp. 13-19.
- (186) W. J. Chetwode-Crawley, *Irish Masonic Jewels: The Story of the Lost Archives of the Grand Lodge of Ireland.*
- (187) Robert L. D. Cooper, *Cracking the Freemason's Code* (Rider, 2006).
- (188) Robert L. D. Cooper, *Scottish Masonic Aprons: Operative to Speculative* (Edinburgh, Scotland: The Grand Lodge of Scotland, 2003), p. 57.
- (189) Douglas Knoop, "The Genesis of Freemasonry", (Manchester University Press, 1947).
- (190) J. G. Findel, *History of Freemasonry*, Tr. (from second German edition, Asher & Co, London, 1866), pp. 168 - 180.
- (191) Cyril N. Batham, "The Grand Lodge of England According to the Old Institutions, Otherwise Known as The Grand Lodge of the Antients," in *The Collected Prestonian Lectures, 1975-1987*, Vol. 3 (London: Lewis Masonic, 1988).
- (192) J. G. Findel, *History of Freemasonry*, Tr. (from second German edition, Asher & Co, London, 1866), pp. 168 - 180.
- (193) Yasha Beresiner, "Masonic Education — Lodges of Instruction," *Pietre-Stones Review of Freemasonry*, (October 9, 2008).
- (194) Albert Gallatin Mackey, *The History of Freemasonry*, (Masonic History Co., 1906), Volume

Four, Chapter XXXIX, pp. 1043-1078.

- (195) Tim Harris, *Revolution: The Great Crisis of the British Monarchy 1685 - 1720* (2007).
- (196) Hauts Grades. *Les loges militaires: Walsh La parfaite égalité*.
- (197) Paul Naudon, *Histoire générale de la franc-maçonnerie* (1981), p. 66.
- (198) *Franc-Maçonnerie Française: La Grande Loge de France*.
- (199) *La Franc-maçonnerie écossaise et la Grande Loge de France: Points de vue initiatiques* (1980), pp. 38-39.
- (200) Jules Cousin, *Le Comte de Clermont: Sa Cour et Ses Maitresses* (Paris: Académie des Bibliophiles, 1867).
- (201) H. L. Haywood, *Pietre-Stones: Various Grand Lodges*.
- (202) *Grande Oriente del Tre Mari d'Italia, Massoneria Italiana del 1700*.
- (203) R. F. Gould, *The History of Freemasonry, Vol. IV (Italy, 1889)*, pp. 104-111.
- (204) Martin I. McGregor, «The history and the persecutions of Spanish Freemasonry «- Pietre-Stones Review of Freemasonry, hosted on Pietre-Stones Review of Freemasonry website.
- (205) Henry S. Borneman, *Early Freemasonry in Pennsylvania* (Philadelphia: The Grand Lodge of Free & Accepted Masons of Pennsylvania, 1931).
- (206) Norris S. Barrat and Julius F. Sachse, *Freemasonry in Pennsylvania, 1727-1907, As Shown by the Records of Lodge No. 2, F. & A.M. of Philadelphia* (Philadelphia: New Era Printing Company, 1908), pp. 3-4.
- (207) Mark A. Tabbert, *American Freemasons: Three Centuries of Building Communities* (New York: New York University Press, 2005), pp. 33-47.
- (208) Grand Lodge of South Carolina Website.
- (209) *Masonic World*, "Benjamin Franklin, Freemason," *Short Talk Bulletin*, Vol. XI, (October 1933), No. 10.
- (210) M. Baigent and R. Leigh, *The Temple and the Lodge* (Arrow, 1998).
- (211) *Anderson's Constitutions, Franklin's reprint*.
- (212) *Masonic Biography of George Washington*, from the website of the Grand Lodge of British Columbia & Yukon.
- (213) Robert L. D. Cooper, *Cracking the Freemason's Code* (Rider, 2006).
- (214) Grand Lodge of North Carolina Website.
- (215) *Bicentennial Commemorative Volume of Holland Lodge No. 8*, (published by the Lodge, New York, 1988), pp. 9-12.
- (216) M. Baigent and R. Leigh, *The Temple and the Lodge* (Arrow, 1998).
- (217) *História da Maçonaria em Portugal, Maçonaria em Portugal*.
- (218) Anthony Beck, "A Short History of Freemasonry in Portugal," *British Historical Society of Portugal Annual Report*, 19 (1992).
- (219) Andrew MacKillop, Steve Murdoch, *Military Governors and Imperial Frontiers C. 1600-1800*:

- A Study of Scotland and Empires (Brill Academic Publishers, 2003), p. 103.
- (220) Andrew MacKillop and Steve Murdoch, Military Governors and Imperial Frontiers C. 1600-1800: A Study of Scotland and Empires (Brill Academic Publishers, 2003), p. 103.
- (221) Lelliū Petrovich Zamoiskiū, Behind the Façade of the Masonic Temple (Progress Publishers, 1989), p. 90.
- (222) Överenskommelse Mellan Svenska Frimurare Orden Och Storlogen För Fria Och Antagna Murare i Finland.
- (223) Reijo Ahtokari, "Milstolpar på Den Finländska Frimurarvandringen," Föreningsbandet (2015), pp. 10-11.
- (224) Swedish Order of Freemasons.
- (225) Henning A. Klövekorn, Pietre Stones: The Formation of the First Grand Lodge of Freemasons, Germany 1250.
- (226) ريغنسبورغ بألمانيا الآن.
- (227) H. L. Haywood, Pietre-Stones: Various Grand Lodges.
- (228) G. W. Speth, "The Steinmetz Theory Critically Examined," Ars Quatuor Coronatorum, Vol. 1 (1888), pp. 17-25.
- (229) H. L. Haywood, Pietre-Stones: Various Grand Lodges.
- (230) اليوم جزء من ألمانيا.
- (231) Richard van Dülmen, The Society of Enlightenment (Polity Press, 1992), p.110.
- (232) René le Forestier, Les Illuminés de Bavière et la franc-maçonnerie allemande (Paris, 1914), pp. 453, 468-469, 507-508, 614-615.
- (233) Franc-Maçonnerie Française: Le Grand Orient de France.
- (234) Henry W. Coil, Freemasonry Through Six Centuries, 2 vols., Vol. I (Richmond, Va: Macoy Publ. Co., 1967), p. 6.
- (235) البرجوازية كانت الطبقة المتوسطة المرتبطة بالنشاط الاقتصادي مثل التجارة والصناعة. كانت تسعى للحصول على مزيد من الحقوق السياسية والمساواة مع النبلاء، وشاركت بفعالية في المطالبة بالإصلاحات السياسية والاجتماعية ضد النظام القديم.
- (236) Le Grand Orient de France, accessed at [www.fm-fr.org/francais/obediences/les-obediences-liberales/le-grand-orient-de-france](http://www.fm-fr.org/francais/obediences/les-obediences-liberales/le-grand-orient-de-france).
- (237) And it is a fact that most of the authors of that epoch-making Encyclopedia - Diderot, D'Alembert, Condorcet, the famous Swiss philosopher Helvetius, etc. — were Freemasons," History of Freemasonry, hosted by Arcadia Lodge #249.
- (238) Albert C. Mackey, Encyclopedia of Freemasonry and Its Kindred Sciences, s.v. "Orleans, Duke of" (Louis Philippe Joseph).
- (239) الأب «لارودان» هو شخصية مجهولة نسبياً، ولم يتم التحقق بشكل دقيق من تفاصيل حياته أو

هويته الحقيقية. غالباً ما يتم الإشارة إلى «لارودان» كاسم مستعار لشخصية مجهولة، تمثل كاتباً أو مجموعة من الكتاب الذين عملوا على كتابة الأعمال المناهضة للماسونية في القرن الثامن عشر.

(240) "Already in 1746 in the book *La Franc-Maçonnerie, écrasée*, an experienced ex-Mason, who, when a Mason, had visited many lodges in France and England, and consulted high Masons in official positions, described as the true Masonic programme one which, according to Boos, the historian of Freemasonry (p. 192), in an astonishing degree coincides with the programme of the great French Revolution of 1789," *From Masonry (Freemasonry)*.

(241) "Masonry, which prepared the Revolution of 1789, has the duty to continue its work," Circular of the Grand Orient of France, 2 April 1889, cited as Footnote 163 in the article *Masonry (Freemasonry)* in *The Catholic Encyclopedia*, 2002 ed.

(242) Modern historians agree that the role of Masonry in the French Revolution has usually been exaggerated." *New Catholic Encyclopedia*, 1967 ed, Volume 6, p. 135, McGraw-Hill, New York.

(243) Roger Dachez, *Histoire de la franc-maçonnerie française* (2003), p. 79.

(244) *ibid*, p. 81.

(245) Daniel Ligou, *Histoire des Francs-Maçons en France*, vol. 2 (2000), p. 15.

(246) Roger Dachez, *Histoire de la franc-maçonnerie française* (2003), p. 88.

(247) Daniel Ligou, *Histoire des Francs-Maçons en France*, vol. 2 (private publisher, 2000), p. 41.

(248) William Denslow, *10,000 Famous Freemasons*, entry for Bernard Pierre Magnan, vol. III, K-P 10.

(249) E. Belfort Bax, *The Paris Commune*, "IX. The Freemasons, the Committee of Public Safety, and Rossel," accessed at [www.marxists.org](http://www.marxists.org).

(250) Grande Loge de France website.

(251) Alain Bernheim, "My Approach to Masonry," *Pietre-Stones*, text of lecture delivered on (26 May 2011) in Sheffield before the members of the Manchester Association for Masonic Research.

(252) طبقة النبلاء والإقطاعيين.

(253) فرع من المسيحية البروتستانتية.

(254) Andrew Prescott, "A Body without a Soul? The Philosophical Outlook of British Freemasonry 1700-2000," paper given at conferences organised by the Free University of Brussels, Cornerstone Society, and Canonbury Masonic Research Centre,(November-December 2003), *Pietre-Stones*.

(255) *Observatory of Freedom of Conscience: White Book of "Laïcité"*, Grand Orient de France.

(256) *Can Freemasonry be Secular?*", La Loge Hiram, GOdF, London.

(257) Revd Neville Barker Cryer, *York Mysteries Revealed*,(Ian Allan Publishing, 2006), pp 71-74.

(258) "Europe," *Merriam-Webster Dictionary*.

(259) Charles Johnston, "Caillaux's Secret Power Through French Masonry," *The New York Times Magazine*,(February 24, 1918), p. 71.

(260) Hermann Gruber, "Masonry (Freemasonry)," *Catholic Encyclopedia*, vol. 9 (1910). VII. Outer

work: French Masonry and the Grand Orient of France as political elements in the French "Kulturkampf" since 1877.

- (261) Georges Goyau, "France," *New Catholic Encyclopedia*, vol. 6 (New York: McGraw-Hill, 1967), p. 135.
- (262) Maurice Larkin, *Church and State after the Dreyfus Affair: The Separation Issue in France* (1974), pp. 138-141.
- (263) Reid McInvale, "Roman Catholic Church Law Regarding Freemasonry," *Texas Lodge of Research*, (June 18, 2013).
- (264) Pope Leo XIII, *Custodi di Quella Fede* (Encyclical of Pope Leo XIII Promulgated on December 8, 1892), *Eternal Word Television Network*, 1999, para. 18.
- (265) Oscar J. Salinas E., "Mexican Masonry - Politics & Religion," *Senior Grand Warden-York/Mexico*, (September 10, 1999).
- (266) "Spanish Catholic Organization Blames Masons for 'Tremendous Crusade' Against Church," *Catholic News Agency*, (September 27, 2004).
- (267) Fr. Adrian Beck, "Good Catholics Should Not Be Masons," *Catholic Herald*, (April 11, 2009).
- (268) Cecil Layiktez, "Freemasonry in the Islamic World," *Pietre-Stones Review of Freemasonry*, (1996).
- (269) Rodney Atwood, *The Hessians: Mercenaries from Hessen-Kassel in the American Revolution* (Cambridge: Cambridge University Press, 1980).
- (270) "François-Joseph-Paul, Count de Grasse," *Encyclopædia Britannica Online*.
- (271) "Le Grand Orient de France (GODF)," accessed at [fm-fr.org](http://fm-fr.org).
- (272) John C. Fitzpatrick, "Washington, George," in Dumas Malone, ed., *Dictionary of American Biography*, vol. 19 (New York: Scribner, 1936), pp. 509-527.
- (273) Lichtenstein, p. 27; Brown, George Washington, *Freemason*, p. 305; Walker, p. 112.
- (274) Paul Revere Grand Master," accessed at [mwsite.org](http://mwsite.org).
- (275) "Le Grand Orient de France," accessed at [www.fm-fr.org/francais/obediences/les-obediences-liberales/le-grand-orient-de-france](http://www.fm-fr.org/francais/obediences/les-obediences-liberales/le-grand-orient-de-france).
- (276) Albert Gallatin Mackey, *The History of Freemasonry*, Vol. 6 (Masonic History Co., NY, 1898), membership by state, p. 1485.
- (277) Ronald P. Formisano, *For the People: American Populist Movements from the Revolution to the 1850s* (2008), p. 96.
- (278) Albert Gallatin Mackey, *The History of Freemasonry*, Vol. 6 (Masonic History Co., NY, 1898), membership by state, p. 1485.
- (279) Rev. Joshua Woodlin, *The Masonic National Union: A History of the Origin of Ancient Freemasonry Among the Colored Citizens of the United States of America* (Burlington, New Jersey, 1855).
- (280) William Preston Vaughn, *The Anti-Masonic Party in the United States: 1826-1843* (University

Press of Kentucky, 2014).

- (281) Sean Wilentz, *Rise of American Democracy: Jefferson to Lincoln* (2005), p. 274.
- (282) John Quincy Adams, *Letters on the Masonic Institution* (Press of T.R. Marvin, 1847), pp. 68-71.
- (283) "The Morgan Affair," reprinted from *The Short Talk Bulletin*, Vol. XI, (March 1933), No. 3, Grand Lodge of British Columbia and Yukon.
- (284) Ronald P. Formisano and Kathleen Smith Kutolowski, "Antimasonry and Masonry: The Genesis of Protest, 1826-1827," *American Quarterly*, Vol. 29, No. 2 (1977), p. 107.
- (285) David G. Hackett, *That Religion in Which All Men Agree: Freemasonry in American Culture* (2015), pp. 122-123.
- (286) Michael Halleran, *The Better Angels of Our Nature: Freemasonry in the American Civil War* (University of Alabama Press, 2010), pp. 38, 90, 106, 136.
- (287) William D. Moore, *Secret Societies in America: Foundational Studies in Fraternalism* (Cornerstone Publishers).
- (288) Andrew Prescott, "The Unlawful Societies Act," in M.D.J. Scanlan, ed., *The Social Impact of Freemasonry on the Modern Western World, The Canonbury Papers I* (London: Canonbury Masonic Research Centre, 2002), pp. 116-134; also available on Pietre-Stones website.
- (289) Andrew Prescott, *The Unlawful Societies Act of 1799* (Pietre-Stones Review of Freemasonry).
- (290) Kim Sengupta, "Ripper Fans Take Stab at Naming Evil Jack," *The Independent* (London, April 18, 1998).
- (291) "Jack the Ripper," *Masonic Info*, (November 5, 2009).
- (292) "Straw Scores Own Goal with Freemasons' Register," *The Telegraph*, (March 11, 2001).
- (293) "Police Chief Will Respect Act by Not Naming Masons," *The Telegraph*, (October 3, 2000).
- (294) "Judges No Longer Have to Declare Freemasonry," *The Telegraph*, March 8, 2009 (archived on January 12, 2022).
- (295) "Jack Straw Scraps Rule Saying Judges Must Declare if They Are Masons," *The Guardian*, (November 5, 2009).
- (296) Bruce Robinson, *They All Love Jack: Busting the Ripper* (review), *The Guardian*, (October 3, 2015).
- (297) Nesta H. Webster, *Secret Societies*, Grand Lodge of British Columbia and Yukon (October 3, 2015).
- (298) *Occult Theocracy Notes*, Grand Lodge of British Columbia and Yukon (October 3, 2015).
- (299) "Freemasons May Have Influenced Titanic Inquiry, Newly Disclosed List of Members' Names Reveals," *The Independent*, (November 23, 2015).
- (300) "Was Titanic Inquiry Scuppered by the Freemasons?" *The Telegraph*, (November 23, 2015).
- (301) "So You Want to Be a Freemason," *The Independent*, (February 11, 1999).
- (302) *ibid.*

- (303) "The Craft," BBC.com, (March 26, 1999).
- (304) "The Right Size and Future for Masonry," accessed at [forthright.space](http://forthright.space).
- (305) Christian Tomuschat, *The United Nations at Age Fifty: A Legal Perspective* (Martinus Nijhoff Publishers, 1995), p. 77.
- (306) Joachim Berger, "The Great Divide: Transatlantic Brothering and Masonic Internationalism, c. 1870-c. 1930," *Atlantic Studies* 16, no. 3 (2019): pp. 405-422.
- (307) The International Order of Freemasonry for Men and Women Le Droit Humain.
- (308) Grande Loge Féminine de Belgique and Montréal in Québec.
- (309) "Five Statistics About Freemasonry in America that Every Mason Needs to Know," accessed at <https://freemasonscommunity.life/>
- (310) A. Hamon and H. Hamon, "The Political Situation in France," *The American Journal of Sociology* 11, no. 1 (July 1905): pp. 107-128.
- (311) Roger Dachez, *Histoire de la franc-maçonnerie française*, (2003), p. 104.
- (312) Sous la direction de Daniel Ligou, *Histoire des Francs-Maçons en France*, vol. 2 (Private Publisher, 2000), p. 112.
- (313) Sous la direction de Daniel Ligou, *Histoire des Francs-Maçons en France*, vol. 2 (Private Publisher, 2000), pp. 163-168.
- (314) *Ibid.*, p. 175.
- (315) Roger Dachez, *Histoire de la franc-maçonnerie française*, (2003), p. 115.
- (316) "Organization - Ordre Maçonique Mixte International Le Droit Humain," *Ordre Maçonique Mixte International Le Droit Humain*.
- (317) Simon Sarlin and Dan Rouyer, "The Anti-Masonic Congress of Trento (1896): International Mobilization and the Circulation of Practices against Freemasonry," *Contemporanea: Rivista di Storia dell'800 e del '900* 24, no. 3 (July-September 2021): pp. 517-536.
- (318) René Pieyns, "3. De universele vrijmetselarij," in *Het rijke maçonnieke leven: Handboek van de jonge vrijmetselaar* (Brussels: Fonds Marcel Hofmans, 1999), pp. 12-26.
- (319) The Swedish Constitution, *Nordic Esotericism in Baroque Splendour*: "It would therefore be fair to describe it as a major system, and one that differs greatly from the Anglo-American forms we are accustomed to."
- (320) L. Nagy Zsuzsa, *Szabdkömvesség a XX. században* (Budapest: Kossuth Könyvkiadó, 1977); L. Nagy Zsuzsa, *Szabdkömvesség* (Budapest: Akadémiai kiadó, 1988).
- (321) Paul M. Bessel, "Bigotry and the Murder of Freemasonry," (November 1994).
- (322) Adrian Lyttelton, "An Old Church and a New State: Italian Anticlericalism 1876-1915," *European Studies Review* 13, no. 2 (1983): pp. 225-248.
- (323) Fulvio Conti, "From Universalism to Nationalism: Italian Freemasonry and the Great War," *Journal of Modern Italian Studies* 20, no. 5 (2015): pp. 640-662.
- (324) Alphonse Cerza, *The Truth Is Stranger Than Fiction*, (Masonic Service Association, September

1967).

(325) Gran Loggia d'Italia, 1908-2008: I primi 100 anni della Gran Loggia d'Italia.

(326) Edward Herman, Manufacturing Consent: The Political Economy of the Mass Media (New York: Pantheon Books, 2002), p. 152.

(327) BBC, "On This Day: 26 May 1981".

(328) Tobias Jones, The Dark Heart of Italy (2003), p. 187.

(329) John Hooper, "The Fall of the House of Savoy," The Guardian, (June 23, 2006.)

(330) Tobias Jones, The Dark Heart of Italy (2003), p. 186.

(331) Pere Sánchez Ferré, La maçoneria a Catalunya (in Catalan), L'Avenç 76, (1984), pp. 53-61.

(332) لوسيفر هو اسم يُستخدم في الكتابات الدينية والتاريخية للإشارة إلى الملاك الذي يُعتقد أنه سقط من النعمة بسبب كبريائه وتمرده على الله، ويمثل في التقليد المسيحي الشيطان أو «إبليس»، ولاحقًا ستحدث عنه باستفاضة.

(333) Augustine Martinez de las Heras, Diccionario político y social del siglo XIX español (Madrid, 2003), p. 440-441, "Masonry."

(334) Pere Sánchez Ferré, La maçoneria a Catalunya (in Catalan), L'Avenç 76, (1984), pp. 53-61.

(335) ibid.

(336) الأناركيين هم أنصار الفلسفة الأناركية (أو اللاسلطوية)، وهي عقيدة سياسية ترفض السلطة المركزية والحكومة، وتدعو إلى تأسيس مجتمع يقوم على التعاون الطوعي والتنظيم الذاتي. يعتقد الأناركيون أن السلطة المنظمة مثل الحكومات والقوانين، تؤدي إلى القمع وتعيق حرية الفرد، ويرون أن الناس قادرون على التعايش بسلام وتلبية احتياجاتهم عبر شبكات تطوعية من التعاون المباشر بدون الحاجة لسلطات فوقية.

(337) Matthew Scanlan, "Freemasonry and the Spanish Civil War: Part I, the Path to War."

(338) Matthew Scanlan, "Freemasonry and the Spanish Civil War: Part II."

(339) Julius Ruiz, Franco's Justice: Repression in Madrid After the Spanish Civil War (Oxford University Press), p. 25.

(340) Hugh Thomas, The Spanish Civil War (Penguin, 1965), pp. 47-48.

(341) Matthew Scanlan, "Freemasonry and the Spanish Civil War: Part I, the Path to War."

(342) Wayne H. Bowen, Spain during World War II (University of Missouri Press, 2006), p. 249.

(343) Matthew Scanlan, Freemasonry and the Spanish Civil War: Part II.

(344) El Pais, "Legalizada la masonería española," (May 20, 1979.)

(345) Robert Freke Gould, A Concise History of Freemasonry (New York & London, 1904), pp. 455-47.

(346) Holocaust Education & Archive Research Team, "Alfred Rosenberg."

(347) Art DeHoyos and S. Brent Morris, Freemasonry in Context: History, Ritual, Controversy (Lexington Books, 2004), pp. 100-101.

- (348) Richard S. Levy, *Antisemitism: A Historical Encyclopedia of Prejudice and Persecution*, vol. 1 (ABC-Clio, 2005), pp. 433-435.
- (349) Adolf Hitler, *Mein Kampf*, pp. 315, 320.
- (350) Bro. E. Howe, *Freemasonry in Germany*, Quatuor Coronati Lodge, No. 2076 (UGLE), (1984 Yearbook).
- (351) "Evidence from the U.S. Holocaust Memorial Museum Pertaining to the Persecution of the Freemasons."
- (352) "World War II Documents Showing the Persecution of Freemasonry," Mill Valley Lodge #356, (December 10, 2012).
- (353) Christopher Hodapp, *Freemasons for Dummies* (Wiley Publishing Inc., Indianapolis, 2005), p. 85, sec. "Hitler and the Nazi."
- (354) Denslow, *Freemasonry in the Eastern Hemisphere*, at page 111, citing a letter from Otto Arnemann in 1947, cited as Note 22 in *Bigotry and the Murder of Freemasonry* by Paul M. Bessel.
- (355) Vereinigte Großlogen von Deutschland, *Über die VGLvD*.
- (356) Douglas Smith, "Freemasonry and the Public in Eighteenth-Century Russia," *Eighteenth-Century Studies* 29, no. 1 (1995): p. 25-44.
- (357) Ludwik Hass, "The Russian Masonic Movement in the Years 1906-1918," *Acta Poloniae Historica* 48 (1983): pp. 95-131.
- (358) Александр Семенович Кац, *Протоколы Сионских Мудрецов и Всемирный Жидомасонский Заговор*, samlib.ru.
- (359) W.J. Halen, "Freemasonry," *The New Catholic Encyclopedia* (1967), David Trosch's website.
- (360) Сергей Карпачев, *Масоны. Словарь, Великое искусство каменщиков*. — М: «АСТ: Олимп», 2008 — с. 82.
- (361) Commission on Information for Recognition "2009 Commission Report."
- (362) Портал-Credo.ru: Великая ложа России и Объединённая Великая ложа России.
- (363) N. Holm, "Freemasonry and its Social Position in Finland," *Scripta Instituti Donneriani Aboensis* 20 (2008): pp. 68-77.
- (364) Ibid.
- (365) Kirja-arvosteluja. L. J. Niinistö: Paavo Susitaival 1896 - 1993, *Aktivismi Elämäntapana*, Genos.
- (366) N. Holm, "Freemasonry and its Social Position in Finland," *Scripta Instituti Donneriani Aboensis* 20 (2008): pp. 68-77.
- (367) Ibid.
- (368) Uskonnot Suomessa - Kansainvälinen Vapaamuurarijärjestö Miehillä ja Naisille Le Droit Humain Suomen Liitto ry - Internationella Frimurareorden för Män och Kvinnor Le Droit Humain Finska Federation rf.

- (369) Miriam Erickson, "Don José Rossi y Rubí and Spanish Freemasonry in the Revolutionary Atlantic, 1785-1798," *Latin Americanist* 63, no. 1 (2019): pp. 25-47.
- (370) Karen Racine, "Freemasonry," in *Encyclopedia of Mexico: History, Society, and Culture*, ed. Michael S. Werner (Fitzroy Dearborn, 1997), 1: pp. 538-540.
- (371) Bogdan and Snoek, eds., *Handbook of Freemasonry* (2014), pp. 439-440.
- (372) Karen Racine, "Freemasonry," in *Encyclopedia of Mexico: History, Society, and Culture*, ed. Michael S. Werner (1997), 1: pp. 538-540.
- (373) Renata Ribeiro Francisco, "Os Heróis Maçônicos na Historiografia da Abolição em São Paulo," *História da Historiografia* 13, no. 34 (2020): pp. 271-302.
- (374) *Handbook of Jamaica*, Google Books: Jamaica Government, (1908), p. 449.
- (375) "Charting the History of Freemasons in Jamaica", *Jamaica Gleaner Newspaper*, (December 10, 2017).
- (376) Jeff Stein, "Bay of Piglets: How the Freemasons Got Caught in a Plot to Topple the Castros," *Newsweek*, (April 7, 2014).
- (377) Claude Wauthier, "Africa's Freemasons - A Strange Inheritance," *Le Monde Diplomatique*, (September 1997).
- (378) Paul M. Bessel's website, April 30, 2016.
- (379) Lars LaBounty, ed., 2012 *List of Lodges* (Springfield, Illinois: Pantagraph Printing and Stationery Co., 2012).
- (380) Camer.be, "La Franc-Maçonnerie et l'Afrique," (July 28, 2014).
- (381) LaBounty, Lars, ed., 2012 *List of Lodges* (Springfield, Illinois: Pantagraph Printing and Stationery Co., 2012).
- (382) Cercle Damien Kandolo, *La Franc-maçonnerie au Congo-Kinshasa*, (December 30, 2011).
- (383) *La GLDF dans le monde*, (June 17, 2011).
- (384) *Sur 7, Mise au Point: La Grande Loge du Congo recadre La Lettre du Continent*, (August 8, 2014).
- (385) Claude Wauthier, "Africa's Freemasons - A Strange Inheritance," *Le Monde Diplomatique*, (September 1997).
- (386) "Foreign Grand Lodges," *United Grand Lodge of England*, (August 5, 2021).
- (387) *Paris Times*, "Bref panorama de la F.: M.: en Afrique aujourd'hui", (February 26, 2014), [http://paristimes.net/fr\\_culture/FM\\_afrique.html](http://paristimes.net/fr_culture/FM_afrique.html).
- (388) *Grand Lodge of Ghana, Grand Lodge of Antient, Free & Accepted Masons of Ghana*, (July 18, 2017).
- (389) *Fédération Ouest Africain du Droit Humain, Nos Divers Orients*, (July 26, 2014).
- (390) Lars LaBounty, ed., 2013 *List of Lodges* (Springfield, Illinois: Pantagraph Printing and Stationery Co., 2013).
- (391) *Fédération Ouest Africain du Droit Humain, Nos Divers Orients*, (July 26, 2014).

- (392) Chris Hodapp, "The Tragic History of Freemasonry in Liberia," Freemasonry for Dummies Blog.
- (393) La Gazette de la Grande Ile, "Franc-maçonnerie: Une loge de hauts grades pour le Droit Humain."
- (394) Foreign Grand Lodges". United Grand Lodge of England. (August 5, 2021).
- (395) FM Symbolism, Rite Ecossais Rectifié, (November 18, 2013).
- (396) "Foreign Grand Lodges," United Grand Lodge of England, (August 5, 2021).
- (397) Droit Humain Worldwide, (August 1, 2013).
- (398) Provincial Newsletter, Ross and Cromarty, (November 2012), pp. 13-16.
- (399) Grand Lodge of South Africa website.
- (400) Droit Humain Worldwide, (August 1, 2013).
- (401) DH France website, "Le Droit Humain International," (July 26, 2014).
- (402) Sven G. Lunden, "The Annihilation of Freemasonry," Pietre Stones, The American Mercury, Volume LII, No. 206, (February 1941).
- (403) John Hamill, The Craft: A History of English Freemasonry (Wellingborough, GB: Crucible, 1986).
- (404) Paul M. Bessel, "Bigotry and the Murder of Freemasonry," (November 1994).
- (405) "Foreign Grand Lodges," United Grand Lodge of England, (August 5, 2021).
- (406) Zetland Hall Website of Masonic Centre, (January 17, 2014).
- (407) DGL Bombay website, (July 18, 2014).
- (408) DGL Bombay, Lodge Leslie Wilson, Installation Meeting, (July 19, 2014), attendance of representatives of DGL Northern India.
- (409) GL of the State of Israel website.
- (410) "The Grand Lodge of the State of Israel," Freemasonry.org.il.
- (411) Stock Association Records, Grand Lodge "Jerusalem" (in Hebrew).
- (412) "Le Droit Humain - Israeli Jurisdiction - Entrance."
- (413) "The Official Website of Grand Lodge of Japan," (August 20, 2017).
- (414) «В Казахстане создана Великая ложа — КОРРИДА: слухи, скандалы, инсайд," (November 26, 2016).
- (415) IGLPI Home, Independent Grand Lodge of Free and Accepted Masons of the Philippine Islands.
- (416) The Edge Galerie, DGLEA, (February 1, 2018).
- (417) Provincial Grand Lodge of South East Asia, Provincial Grand Lodge of South East Asia.
- (418) Paul Dumont, Theo D'haen, eds., "Freemasonry in Turkey: A By-product of Western Penetration," European Review 13, no. 3 (July 2005): pp. 481-493.
- (419) Barbara De Poli, "6: Sufi and Freemasons in the Ottoman Empire," Freemasonry and the Orient: Esotericisms between the East and the West, ed. (Ca' Foscari-Digital Publishing, 2019),

pp. 75-86.. Summary 6.1 'Abd Al-Qādir Al-Jazā'irī. - 6.2 Jamāl Al-Dīn Al-Afghānī. - 6.3 Rizā Tevfik.

(420) Barbara De Poli, "Chapter 6: Sufi and Freemasons in the Ottoman Empire," *Freemasonry and the Orient: Esotericisms between the East and the West*, ed. (Ca' Foscari-Digital Publishing, 2019), pp. 75-86.

(421) M. Landau, Jacob, "Prolegomena to a Study of Secret Societies in Modern Egypt," *Middle Eastern Studies* 1, no. 2 (1965): p. 139.

(422) Philippa Faulks and Robert L.D. Cooper, *The Masonic Magician: The Life and Death of Count Cagliostro and His Egyptian Rite* (London: Watkins Publishing, 2008), p. 6.

(423) شريف سامي، إدريس النبي (القاهرة: دار دون للنشر والتوزيع، يناير ٢٠٢٥).

(424) Andrew Prescott, *The Cause of Humanity: Charles Bradlaugh and Freemasonry*, p. 15

(425) Ellic Howe, "Theodor Reuss: Irregular Freemasonry in Germany, 1900-23," *Ars Quatuor Coronati*, (February 1978).

(426) [www.memphis-misraim.com](http://www.memphis-misraim.com).

(427) Christopher De Bellaigue, *The Islamic Enlightenment: The Struggle Between Faith and Reason - 1798 to Modern Times* (New York: Liveright Publishing Corporation, 2017), p. 103.

(428) Andrew Prescott, *The Study of Freemasonry as a New Academic Discipline*, pp. 13-14.

(429) Kent Henderson, "Freemasonry in Islamic Countries," (2007 paper), *Pietre Stones*.

(430) David R. Sands, "Saddam to be Formally Charged," *The Washington Times*, (July 1, 2004).

(431) *ibid*.

(432) رابطة العالم الإسلامي: هي منظمة إسلامية عالمية جامعة، تأسست عام ١٩٦٢م، مقرها مكة المكرمة.

(433) Cecil Layiktez, "Freemasonry in the Islamic World," (*Pietre-Stones Review of Freemasonry*, 1996).

(434) Peerzada Salman, "Masonic Mystique," (December 2009), *Dawn.com*.

(435) *Memoirs of Sharif-Emami, Prime Minister*, [Persian Language] (Publishers, English & Persian Books about Iran since 1979), *Ibexpub.com*.

(436) 2020 List of Lodges Masonic, *Pantagraph Printing & Stationery Co.*, Bloomington, ILL, p. 315.

(437) *The Edge Galerie*, DGLEA, (February 1, 2018).

(438) *Provincial Grand Lodge of South East Asia*, *Provincial Grand Lodge of South East Asia*.

(439) "Foreign Grand Lodges," *United Grand Lodge of England*, (August 5, 2021).

(440) *DH France website*, "Le Droit Humain International," (July 26, 2014).

(441) *Masonic Press Agency*, "Sadio Lamine SOW was Elected Grand Master of the National Grand Lodge of Mali (Grande Loge Nationale Malienne)," (July 23, 2014).

(442) "The History of Freemasonry in Turkey," *Freemasons-Freemasonry.com*.

- (443) *ibid.*
- (444) *ibid.*
- (445) "Atatürk'ü Böyle Zehirlediler," *Yeni Şafak* (in Turkish), (April 6, 2015).
- (446) "Welcome to Grand Lodge of Free and Accepted Masons of Turkey - the History of Freemasonry in Turkey," [eng.mason.org.tr](http://eng.mason.org.tr).
- (447) "Foreign Grand Lodges," United Grand Lodge of England, (August 5, 2021).
- (448) В Казахстане создана Великая ложа — КОРРИДА: слухи, скандалы, инсайд", (26 November 2016).
- (449) Fédération Ouest Africain du Droit Humain, *Nos Divers Oriens*, (July 26, 2014).
- (450) [Camer.be](http://Camer.be), "La franc-maçonnerie et l'Afrique," (July 28, 2014).
- (451) Grand Lodge of Scotland website, (September 12, 2017).
- (452) "Report of the Commission on Information for Recognition," *masonicrecognition*, (2023).
- (453) Grand Orient Arabe Œcuménique, "Grande Maîtrise Mondiale," [Grandorientarabe.org](http://Grandorientarabe.org).
- (454) Cecil Layiktez, "Freemasonry in the Islamic World," (*Pietre-Stones Review of Freemasonry*, 1996).
- (455) [craftsmenonline.com](http://craftsmenonline.com), "Freemasonry in Lebanon and Morocco: History, Culture, and Societal Influence.."
- (456) GLM website, (August 26, 2014).
- (457) GLNF Magazine, no. 110, July 2013, *Dernières Nouvelles*, p. 7, GLRRM re-establishes relations with GLNF.
- (458) 13° Rencontres de l'Union Maçonnique Méditerranéenne, (January 8, 2014).
- (459) [m.alayam24.com](http://m.alayam24.com), «الأيام» تخترق محافل الماسونية في المغرب وتجاوز واحدًا من كبار «البنائين الأحرار».
- (460) [craftsmenonline.com](http://craftsmenonline.com), "Freemasonry in Lebanon and Morocco: History, Culture, and Societal Influence."
- (461) Antonia Frazer, *The Weaker Vessel* (Mandarin Paperbacks, 1989), pp. 108-109.
- (462) James Anderson, *The Constitutions of the Free-Masons* (Philadelphia ed.; Philadelphia, Pennsylvania: Benjamin Franklin, 1734 [1723]), p. 49.
- (463) "Adoptive Freemasonry," entry from Mackey's *Lexicon of Freemasonry*.
- (464) "Maria Deraismes (1828-1894)," (October 4, 2013), *Droit Humain* (French Language).
- (465) Jeanne Heasleywood, "A Brief History of the Founding of Co-Freemasonry," (*Phoenix Masonry*, 1999).
- (466) Barbara L. Thames, "A History of Women's Masonry," *Phoenix Masonry*.
- (467) *Phoenix Masonry*, Barbara L. Thames, *A History of Women's Masonry*.
- (468) Reuters, "Le Grand Orient de France Autorise l'Initiation des Femmes," *L'Express*, (October 30, 2012).

- (469) Karen Kidd, *Haunted Chambers: the Lives of Early Women Freemasons* (Cornerstone, 2009), pp. 204-205.
- (470) Damien Gayle, "Freemasons to Admit Women - But Only if They First Joined as Men," *The Guardian*, (August 1, 2018).
- (471) Anderson's Constitutions Franklin's Reprint, (June 22, 2012).
- (472) "How to Become a Freemason," Masonic Lodge of Education.
- (473) "Comment Devenir Franc-Maçon?" Grande Loge de Luxembourg.
- (474) "How to Become a Freemason," Masonic Lodge of Education.
- (475) "Swedish Rite FAQ," Grand Lodge of British Columbia & Yukon.
- (476) "Faut-Il Croire en Dieu?" Foire aux Questions, Grand Orient de France, (September 28, 2013).
- (477) Michael Johnstone, *The Freemasons* (Arcturus, 2005), pp. 101-120.
- (478) *ibid*, pp. 95-98.
- (479) «وَرَأَى حُلْمًا، وَإِذَا سَلَّمَ مَنُصُوبَةً عَلَى الْأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَهُوَ ذَا مَلَائِكَةَ اللَّهِ صَاعِدَةً وَنَازِلَةً عَلَيْهَا.» (سفر التكوين: ٢٨: ١٢).
- (480) ٢١ وَأَوْقَفَ الْعَمُودَيْنِ فِي رِوَاقِ الْهَيْكَلِ. فَأَوْقَفَ الْعَمُودَ الْأَيْمَنَ وَدَعَا اسْمَهُ «يَاكِين». ثُمَّ أَوْقَفَ الْعَمُودَ الْأَيْسَرَ وَدَعَا اسْمَهُ «بُوعَزَّ». (سفر الملوك الأول: ٧: ٢١).
- (481) المسطرين.
- (482) *New Catholic Encyclopedia*, (January 30, 2013).
- (483) [www.scottishrittenmj.org](http://www.scottishrittenmj.org), "What is a 33rd Degree Mason?"
- (484) Fred L. Pick, *The Pocket History of Freemasonry*, pp. 268-280.
- (485) Jan A. M. Snoek, "Masonic Rituals of Initiation," in Henrik Bodgan and Jan A. M. Snoek (eds.), *Handbook of Freemasonry*, Brill Handbooks on Contemporary Religion, Vol. 8 (Leiden: Brill Publishers, 2014), pp. 319-327.
- (486) Edward L. King, "GAOTU," (April 1, 2022).
- (487) James Stevens Curl, *The Art and Architecture of Freemasonry* (Overlook Press, New York, 1991), pp. 56-62.
- (488) Old Ritual Book, <https://www.shrinersinternational.org>.
- (489) Christopher Hodapp, *Freemasons for Dummies* (Indianapolis: Wiley, 2005), pp. 17-18, 154.
- (490) *Murderous Character of Freemasonry: Freemasonry Exposed by Captain Wm. Morgan, History of His Abduction and Murder, Confession of His Murder by Valance, Bernard's Reminiscences of Morgan Times, Oaths and Penalties of Thirty-three Masonic Degrees...* (E.A. Cook & Company, 1882).
- (491) [www.freemason.org](http://www.freemason.org), "Freemasonry Symbols."
- (492) Christopher Knight and Robert Lomas, *The Second Messiah: Templars, the Turin Shroud, and the Great Secret of Freemasonry*.
- (493) "How to Decipher Less-Well-Known Freemasonry Symbols," [www.dummies.com](http://www.dummies.com).

- (494) Ian Gittins, *Unlocking the Masonic Code: The Secrets of the Solomon Key*, pp. 110-200.
- (495) ١١ أَهْبَطَ إِلَى الْمَأْوِيَةِ فَخَرُّكَ، رَنَّةُ أَعْوَادِكَ. تَحْتَكُ تُفْرَشُ الرَّمَّةُ، وَغَطَاؤُكَ الدُّوْدُ. ١٢ كَيْفَ سَقَطَتْ مِنْ السَّمَاءِ يَا زَهْرَةَ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعَتْ إِلَى الْأَرْضِ يَا قَاهِرَ الْأُمَمِ؟ (سفر إشعياء: ١٤: ١٢).
- (496) هي فلسفة قديمة، ومحاولة لتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، وابتكار إكسير الحياة لإطالة العمر، وكانت مزيجًا من العلم والفلسفة والروحانية، ووضعت الأساس للكيمياء الحديثة عبر اكتشافات في المواد والتفاعلات.
- (497) Jesper Aagaard Petersen, *Contemporary Religious Satanism* (Ashgate Publishing, 2009).
- (498) William Jay Kar, *Stones On The Chessboard*, (The Masonic Book Club Publishing House 1976).
- (499) Jesper Aagaard Petersen, *Contemporary Religious Satanism* (Ashgate Publishing, 2009).
- (500) S. Brent Morris, *The Complete Idiot's Guide to Freemasonry* (Alpha Books, 2006), p. 204.
- (501) Cardinal Bernard Law, "Letter of 19 April 1985 to U.S. Bishops Concerning Masonry," *CatholicCulture.org*, (April 19, 1985).
- (502) Leland Royce Harper, *Attributes of a Deistic God*, in *Multiverse Deism: Shifting Perspectives of God and the World* (Rowman & Littlefield, 2020), pp. 47-68.
- (503) Gregory Claeys, "Revolution in Heaven: The Age of Reason (1794-95)," in *Thomas Paine: Social and Political Thought* (1st ed., Routledge, 1989), pp. 177-195.
- (504) Joseph Cardinal Ratzinger, Prefect, *Declaration on Masonic Associations*, (Sacred Congregation for the Doctrine of the Faith, November 26, 1983).
- (505) Emanuela Tulli and Angela Pellicciari, "From Clement XII to Ratzinger, the Popes and Freemasonry," (ANSA, 26 June 2023).
- (506) "Vatican Confirms Catholics Still Forbidden to Join Masonic Lodges," (15 November 2023).
- (507) "Freemasonry: Official Statement of the Church of Greece (1933)," *Orthodoxinfo.com*, (12 October 1933).
- (508) Arturo de Hoyos and S. Brent Morris, *Leo Taxil: The Hoax of Luciferian Masonry*, (2nd ed., 1988), pp. 27 - 36.
- (509) Jeff Straub, "Baptists and Freemasonry? Can a Christian Be a Faithful Believer and Be a Freemason?"
- (510) Howard Snyder, *Populist Saints*, Grand Rapids, Michigan: (William B. Eerdmans Publishing Company, 2006), p. 727.
- (511) Yasha Beresiner, "Archbishop Fisher - A Godly Man and a Brother," *Masonic Quarterly Magazine* 18 (July 2006).
- (512) *ibid.*
- (513) "Home of Freemasonry | United Grand Lodge of England," [www.ugle.org.uk](http://www.ugle.org.uk).
- (514) "Freemasonry Article from the New Catholic Encyclopedia," (1964), Volume 6, pp. 132-139.
- (515) موقعًا خارج أسوار القدس، ووفقًا للأناجيل الأربعة: صُلب عليه يسوع.

- (516) Steiner, Rudolf, Exoteric and Esoteric Christianity [Das Sonnenmysterium von Tod und Auferstehung], (1922).
- (517) "Masonry (Freemasonry) in the Catholic Encyclopedia," footnotes 113 and 114.
- (518) Arthur Edward Waite, The Book of Black Magic, p. 244.
- (519) A Short Treatise on the History, Culture, and Practices of The Hermetic Order of the Golden Dawn,(September 28- 2007).
- (520) "Choosing Truth Ministries Archived," citing "Manley Palmer Hall 33°," The Secret Teachings of All Ages, p. CIV.
- (521) Manly P. Hall, The Secret Teachings of All Ages, (may 24 -2010)
- (522) "Plymouth Brethren Citing 'Manley Palmer Hall 33°,' The Lost Keys of Freemasonry, p. 48."
- (523) Manly P. Hall, The Lost Keys of Freemasonry, Chapter IV, (October 24 - 2005)
- (524) H. P. Blavatsky, The Secret Doctrine, (September 03 - 2019)
- (525) أدوناي في اليهودية أحد الأسماء التي تُستخدم للإشارة إلى الله، خصوصًا في الصلوات والنصوص المقدسة، ويُستخدم كبديل عن اسم الله المقدس «يهوه» (יהוה) عند القراءة الجهرية لكتابهم المقدس، وذلك بسبب قداسته التي تمنع نطقه بشكل مباشر.
- (526) "Learnthebible.org Citing Albert Pike 33°," Instructions to the 23 Supreme Councils of the World, (Supposedly issued 14 July 1889), A. C. De La Rive in La Femme et l'Enfant dans la Franc-Maçonnerie Universelle, p. 588.
- (527) Noah Nicholas and Molly Bedell, "Mysteries of the Freemasons - America," Decoding the Past, A&E Television Networks, The History Channel, (may 05 -2007).
- (528) Joseph P. Laycock, Satanism: Imagining the Black Mass, The Taxil Hoax, (1981), Section 2.
- (529) National Magazine, an Illustrated American Monthly, Volume XXIV: (April - September), 1906, pp 228 - 229.
- (530) Joseph P. Laycock, Satanism: Imagining the Black Mass, The Taxil Hoax, (1981), Section 2.
- (531) "Aleister Crowley: Freemason!," freemasonry.bcy.ca.
- (532) S. Brent Morris, The Complete Idiot's Guide to Freemasonry, (Alpha books, 2006), p. 20.
- (533) Thomas Smith Webb· Freemason's Monitor Or Illustrations of Freemasonry - Charge at initiation into the first degree. (Originally published 1818, Republished by Kessinger Publishing, 1995), p. 43.
- (534) The brotherhood ought to disown the rebellion, but only in order to preserve the fraternity from annoyance by the civil authorities." from the article Masonry (Freemasonry) in the Catholic Encyclopedia.
- (535) If we were to assert that under no circumstances had a Mason been found willing to take arms against a bad government, we should only be declaring that, in trying moments, when duty, in the masonic sense, to state means antagonism to the Government, they had failed in the highest and most sacred duty of a citizen. Rebellion in some cases is a sacred duty, and none, but a bigot or a

fool, will say, that our countrymen were in the wrong, when they took arms against King James II. Loyalty to freedom in a case of this kind overrides all other considerations, and when to rebel means to be free or to perish, it would be idle to urge that a man must remember obligations which were never intended to rob him of his status of a human being and a citizen." "Freemason's Chronicle" 1875, I, 81, quoted as footnote [89] in Masonry (Freemasonry) in the Catholic Encyclopedia.

(536) Arturo de Hoyos and S. Brent Morris, Is It True What They Say about Freemasonry?, (2nd ed. Revised, M. Evans and Company, 2004).

(537) *ibid.*

(538) Gregory S. Camp, Selling Fear: Conspiracy Theories and End-Times Paranoia, (Commish Walsh, 1997).

(539) علم الأخرويات المسيحي هو فرع ثانوي من فروع الدراسة ضمن اللاهوت المسيحي الذي يتعامل مع عقيدة «الأشياء الأخيرة»، وخاصة المجيء الثاني للمسيح.

(540) Richard T. Hughes, "Revelation, Revolutions, and the Tyrannical New World Order," The Huffington Post, (24 February 2011).

(541) John E. Flint, Cecil Rhodes, (1st ed., Little Brown & Company, 1976).

(542) "MR. RHODES'S IDEAL OF ANGLO-SAXON GREATNESS: Statement of His Aims", Written for W.T. Stead in 1890, The New York Times, (April 09- 1902).

(543) James Wilkenson and H. Stuart Hughes, Contemporary Europe: A History, Englewood Cliffs, (NJ: Prentice Hall, 1995), p. 237.

(544) Michael Johnstone, The Freemasons, (Arcturus, 2005), pp. 73-75.

(545) Michael Barkun, A Culture of Conspiracy: Apocalyptic Visions in Contemporary America, (1st ed., University of California Press, 2003).

(546) Thomas J. Knock, To End All Wars: Woodrow Wilson and the Quest for a New World Order, (New Edition, Princeton University Press, 2019).

(547) H. G. Wells, The Open Conspiracy, (Book Tree, 2006).

(548) Robert Powell, The Sidereal Zodiac, Tempe, AZ: American Federation of Astrologers, (1979), p. 45.

(549) في علم الكونيات الباطني، تُعنى فكرة الطائرات الداخلية بتقسيم الكون إلى مستويات وجود متعددة، حيث يُعتقد أن كلاً منها يمثل حالة وعي مختلفة وتركيبية من الطاقة والجوهر الروحي. تُعرف كل «طائرة» بأنها جزء من الهيكل الكوني الباطني وتختلف في سماتها من حيث الاهتزازات والكثافة والطاقة الروحية.

(550) Alice A. Bailey, The Externalization of the Hierarchy, USNISA, 5 August 2009 (originally published 1957).

(551) Constance Cumbey, The Hidden Dangers of the Rainbow: The New Age Movement and Our Coming Age of Barbarism, (Huntington House Publishers, 1985).

- (552) Senate Report, Senate Foreign Relations Committee, Revision of the United Nations Charter: Hearings Before a Subcommittee of the Committee on Foreign Relations, Eighty-First Congress, (United States Government Printing Office, 1950), p. 494.
- (553) Chip Berlet, "Dances with Devils: How Apocalyptic and Millennialist Themes Influence Right Wing Scapegoating and Conspiracism," *The Public Eye*, (April 15- 1999).
- (554) Scienta Press staff, Carroll Quigley: Theorist of Civilizations, (20 December 2011).
- (555) Lawrence P. McDonald, "Introduction," *The Rockefeller File*, by Gary Allen, Seal Beach, (CA: '76 Press, 1976).
- (556) David Rockefeller, "Memoirs, Random House", (2002).
- (557) Chip Berlet, "Dances with Devils: How Apocalyptic and Millennialist Themes Influence Right Wing Scapegoating and Conspiracism," *The Public Eye*, (April 15 - 1999).
- (558) (clip) "George Bush Sr. New World Order Live Speech Sept 11 1991". (YouTube. 3 December 2011).
- (559) Chip Berlet and Matthew N. Lyons, *Right-Wing Populism in America: Too Close for Comfort*, (Guilford Press, 2000).
- (560) Robert Alan Goldberg, *Enemies Within: The Culture of Conspiracy in Modern America*, (Yale University Press, 2001).
- (561) Ibid.
- (562) George Romero, *The Rescue*, (2011), p. 246.
- (563) Christopher Monfette, "SXSW 09: New World Order Review," *ign.com*, (March 16 2009).
- (564) Travis L. Gosa, "Counterknowledge, Racial Paranoia, and the Cultic Milieu: Decoding Hip Hop Conspiracy Theory," *Poetics*, 39, no. 3 (June 2011): pp 187-204.
- (565) Chip Berlet, "Dances with Devils: How Apocalyptic and Millennialist Themes Influence Right Wing Scapegoating and Conspiracism," *The Public Eye*, (April 15 - 1999).
- (566) Christopher Hodapp, *Freemasons for Dummies*, (Wiley, Indianapolis, 2005), p. 86.
- (567) Michael Barkun, *A Culture of Conspiracy: Apocalyptic Visions in Contemporary America*, (1st ed., University of California Press, 2003).
- (568) Trevor W. McKeown, "Is the Eye and Pyramid a Masonic Symbol?" *Anti-Masonry Frequently Asked Questions*, Grand Lodge of British Columbia and Yukon A.F. & A. M., (May 05 - 2004).
- (569) Peter Knight, *Conspiracy Theories in American History: (An Encyclopedia, ABC-CLIO, 2003)*, pp. 227.
- (570) *Novus Ordo Seclorum - Origin and Meaning of the Motto Beneath the American Pyramid*", GreatSeal.com.
- (571) *Soviet Jewry: Hearing Before the Subcommittee on Human Rights and International Organizations, United States Congress, House, Committee on Foreign Affairs, Commission on Security and Cooperation in Europe*, (1984), p. 56.
- (572) John Spargo, *The Jew and American Ideals*, (Harper & Brothers, 1921).

- (573) Chip Berlet, "Dances with Devils: How Apocalyptic and Millennialist Themes Influence Right Wing Scapegoating and Conspiracism," *The Public Eye*, (April 15- 1999).
- (574) Michael Barkun, *A Culture of Conspiracy: Apocalyptic Visions in Contemporary America*, (1st ed., University of California Press, 2003).
- (575) سلالة الميروفنجيين: كانت العائلة الحاكمة للفرنجة من حوالي منتصف القرن الخامس حتى عام ٧٥١م.
- (576) Henry Lincoln, Michael Baigent, and Richard Leigh, *The Holy Blood and the Holy Grail*, (Corgi, 1982).
- (577) Barbara Aho, *The Merovingian Dynasty: Satanic Bloodline of the Anti-Christ & False Prophet*, (December 12 - 2009).
- (578) Philip C. Plait, *Bad Astronomy: Misconceptions and Misuses Revealed, from Astrology to the Moon Landing "Hoax"*, (John Wiley & Sons, New York, 2002).
- (579) Tony Phillips, *The Great Moon Hoax*, *Science@NASA*, (February 23 - 2001).
- (580) *History's Greatest Conspiracy Theories*, *The Daily Telegraph*, (November 12 - 2008).
- (581) *History's Greatest Conspiracy Theories*, *The Daily Telegraph*, (November 12 - 2008).
- (582) Stephen Fraser, "Phantom Menace? Are Conspirators Using Aircraft to Pollute the Sky?" *Current Science* 94, no. 14 (2009): 8-9.
- (583) Thomas Schlatter, "Weather Queries: Chemtrail Controversy," *Weatherwise*, (March 09 - 2001).
- (584) Steven C. Bullock, "Initiating the Enlightenment? Recent Scholarship on European Freemasonry," *Eighteenth-Century Life* 20, no. 1 (1996): 80-92.
- (585) Norman Davies, *Europe: A History*, (Oxford University Press), 1996, p. 634.
- (586) Christopher Hresher-Andrews, "An Introduction into the World of Conspiracy," *PsyPAG Quarterly*, 1, no. 88 (2013): 5-8.
- (587) QAnon Reshaped Trump's Party and Radicalized Believers. The Capitol Siege May Just Be the Start, *The Washington Post*, (January 13 2021).
- (588) Ted Goertzel, "Conspiracy Theories in Science," *EMBO Reports* 11, no. 7 (2010): 493-499.
- (589) Dominique Brossard, James Shanahan, T. Clint Nesbitt, *The Media, the Public and Agricultural Biotechnology*, (CABI, (2007 , pp. 343, 353.
- (590) Douglas, Karen M., and Robbie M. Sutton. "What Are Conspiracy Theories? A Definitional Approach to Their Correlates, Consequences, and Communication." *Annual Review of Psychology* 74 (January 2023): pp. 271-298. Edited by Susan T. Fiske.
- (591) *The Right Size and Future for Masonry*, " accessed at [forthright.space](http://forthright.space).